

لجنة حفظ الآثار العربية - دار الآثار العربية

كتاب

خفيران في الفسطاط

ألفه ورواه في حياته الشيخ العلامة العربية

المرحوم علي بهجت بك
مستوفى الأثر العربية
أرشيد بك دار العلوم الحكومية القومية
دمشق في الأندلس

وتمت في سنة ١٣٠٠

المرحوم علي بهجت بك

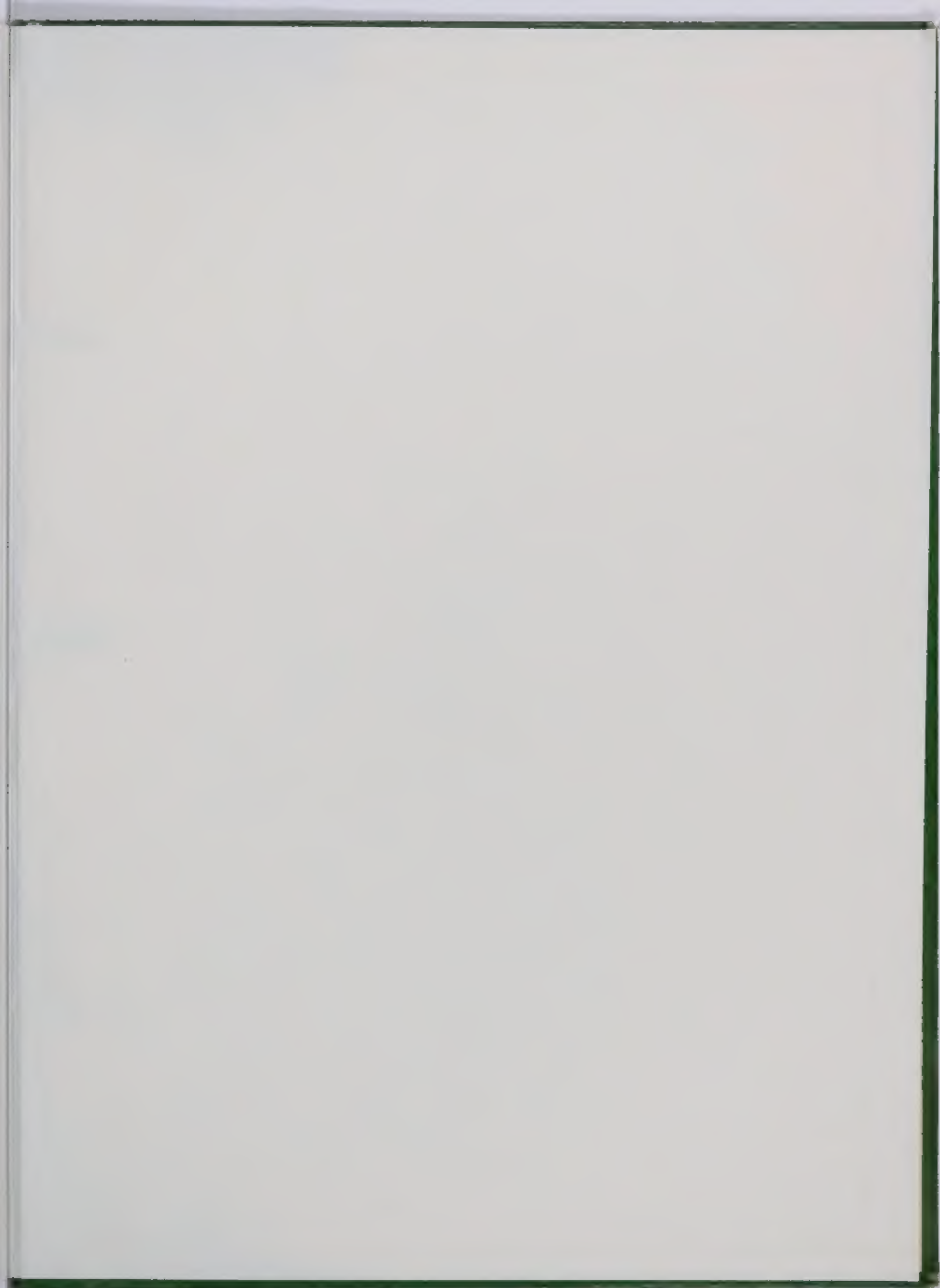
محمد مصطفى



الطبعة الأولى

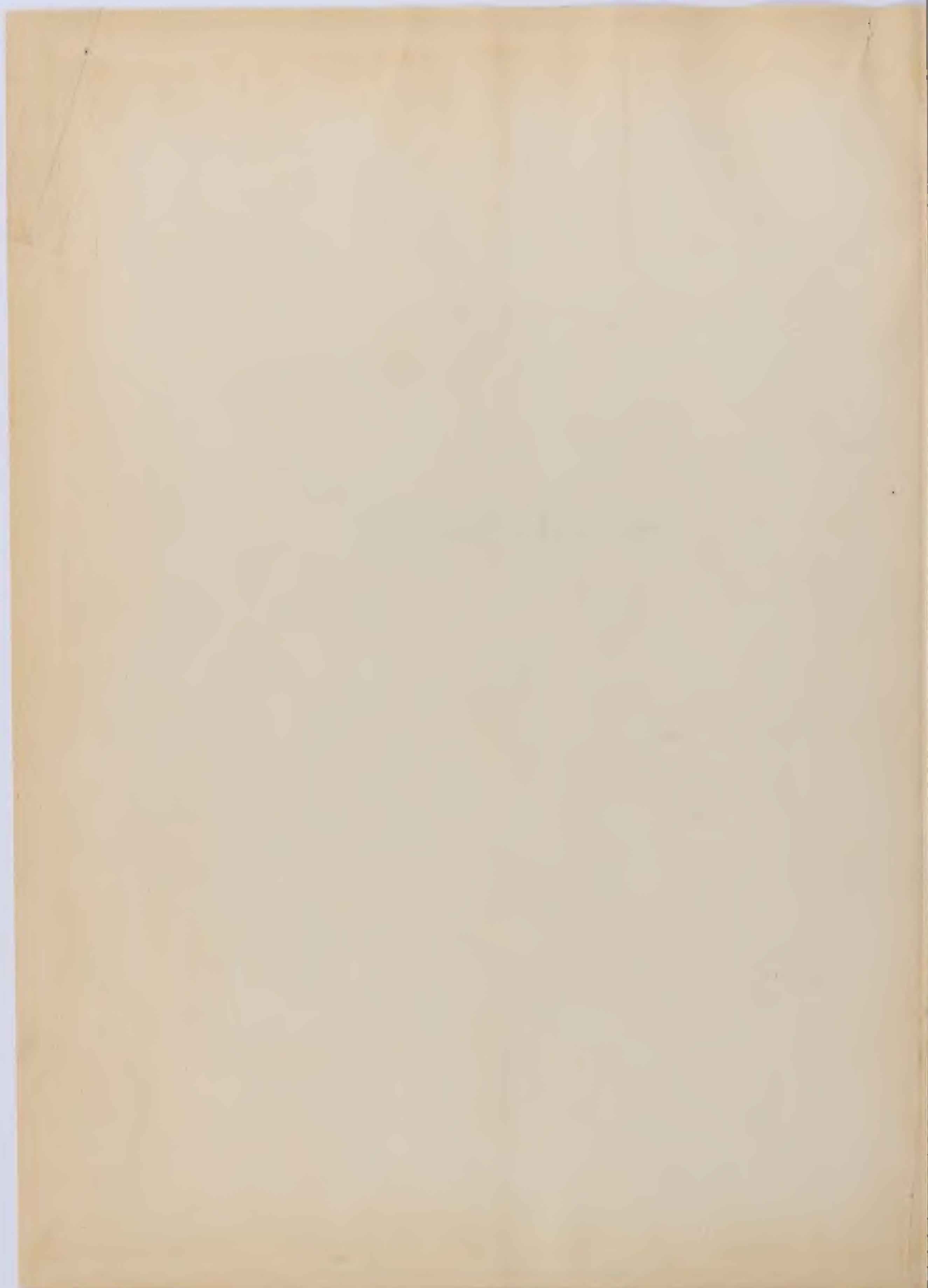
طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

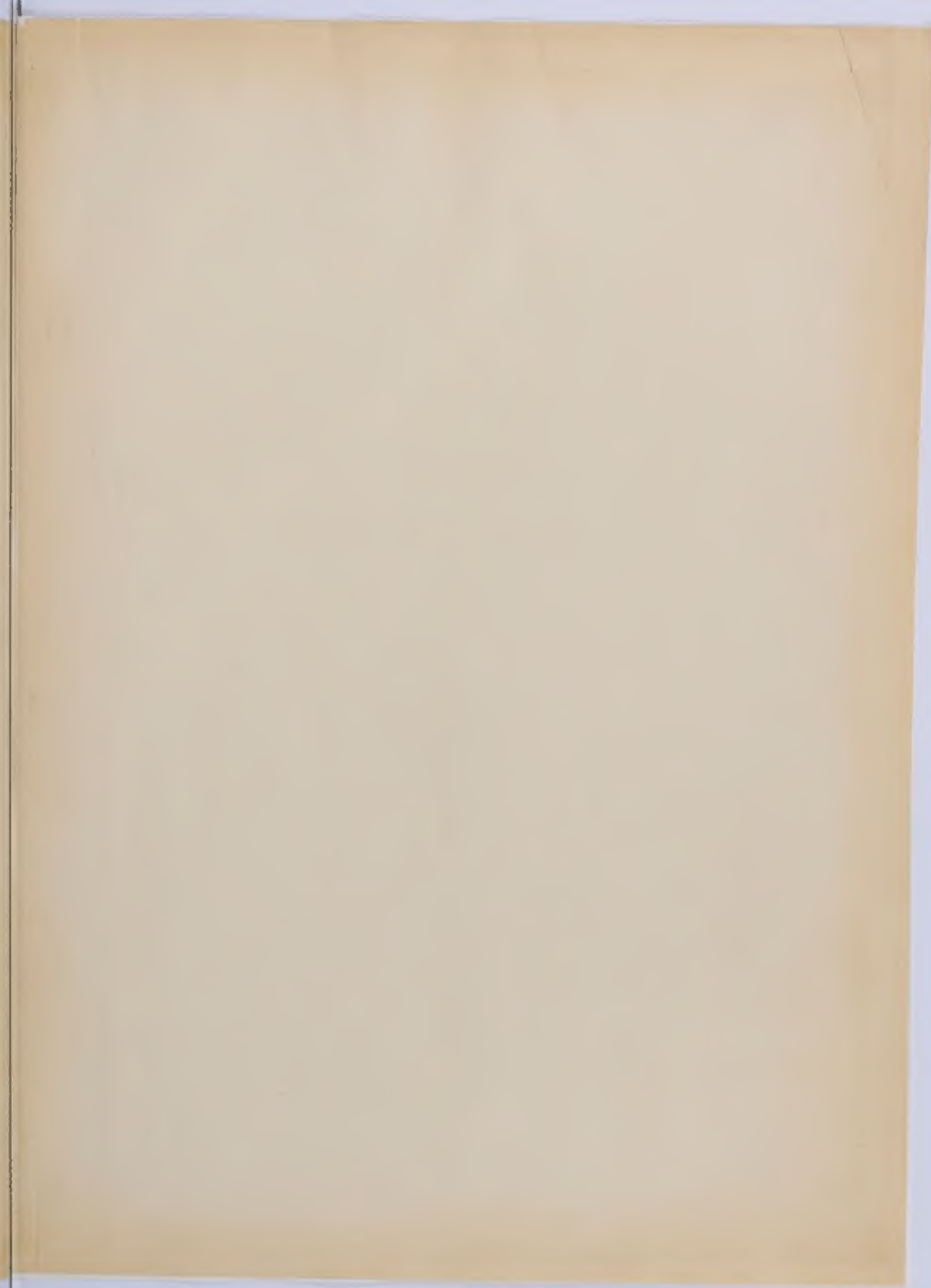
١٩٢٠ - ١٣٣٩











حريات الفسطاط

1897
11/11/97
1897

1897
11/11/97
1897

1897
11/11/97
1897

لجنة حفظ الآثار العربية - دار الآثار العربية

كتاب حَفَرَاتُ الْفُسْطَاطِ

ألفه ووقف على طبعه ونشره باللغة الفرنسية

المرحوم علي بهجت بك و مسيو أليز جبريل
مدير أوشينكت حائر لديوم الحكومة الفرنسية
دار الآثار العربية سابقا و دكتور في الآداب

وقاله الى اللغة العربية

المرحوم علي بهجت بك

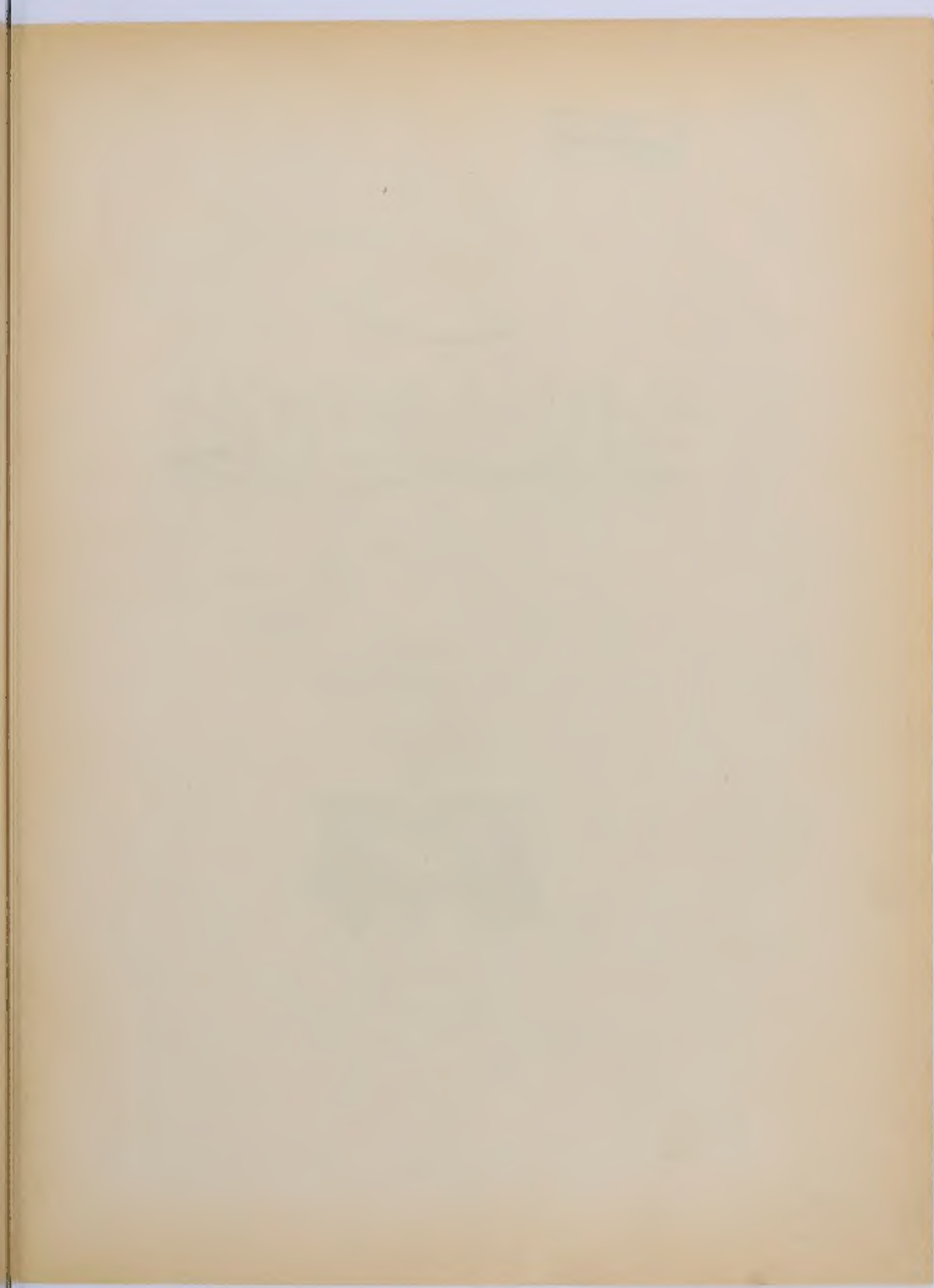
و
محمود عكوش



[الطبعة الأولى]

طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٢٨ - ١٣٤٧



فهرست الكتاب

صفحة	
(ي)	كلمة افتتاحية
(ك)	مقدمة الكتاب
٢	تاريخ التنقيب على آثار القسطنطينية
٣	١ - الحالة التي كانت عليها التلال في سنة ١٩١٢
٣	٢ - عملية التنقيب على الآثار من سنة ١٩١٢ - ١٩٢٠
٤	٣ - اختيار موقع الحفر
٤	٤ - تحديد التواريخ وفي أصول التلال وتكوينها
٥	٥ - النتائج الأولى لعمليات الحفر
٩	الباب الأول - شيء من تاريخ القسطنطينية
٩	١ - بابليون والفتح الاسلامي
١٠	٢ - في تخطيط مدينة القسطنطينية
١١	٣ - في تأسيس مدينة المعسكر
١٢	٤ - في منشآت أحمد بن طولون وتأسيس مدينة القطائع
١٣	٥ - تأسيس القاهرة وأقول نيم القسطنطينية
١٦	٦ - حريق القسطنطينية
١٧	٧ - في تاريخ القسطنطينية من عهد صلاح الدين الى يومنا هذا
١٩	الباب الثاني - بحث في خطط القسطنطينية
١٩	١ - في شغل ساحل النيل
١٩	(أ) في أيام الفتح
٢٠	(ب) في عصر الخلفاء الفاطميين
٢٠	(ج) في عصر اللاتين من بني أيوب
٢١	(د) في العصر الذي أعقب الدولة الأيوبية
٢١	٢ - في تأسيس القسطنطينية وتوزيع خططها على القبائل
٢٣	٣ - الكلام على المدينة الأولى

صفحة

٢٥	٤ - في حدود الفسطاط والعسكر والقطائع ...
٢٧	٥ - رسم تقريبي بين مواقع الفسطاط والعسكر والقطائع ...
٢٨	٦ - في خراب المدينة ...
٣٠	٧ - في جزيرة الروضة ...
٣١	الجسران الموصلان بين الروضة وساحل النيل ...
٣٢	٨ - دار الصناعة ...
٣٢	٩ - في مينا الفسطاط ...
٣٣	١٠ - في القرافة ...
٣٥	الباب الثالث - الخريطة العمومية للفسطاط وهيئتها ...
٣٥	١ - مميزات عملية التقيب على الآثار في الفسطاط ...
٣٦	٢ - خريطة الفسطاط العمومية ...
٣٦	(أ) الشوارع والدروب ...
٣٧	(ب) هيئة الدروب وخصائصها ...
٣٨	(ج) أبواب الدروب ...
٣٨	(د) الزحاب ...
٣٩	(هـ) طبقة أرض الفسطاط ...
٣٩	(و) الآبار السائلة ...
٣٩	٣ - منظر بقايا المدينة ...
٤٥	الباب الرابع - الدور ذوات الحيشان المتوسطة ووصفها ...
٤٥	المجموعة الأولى من الدور ...
٥٥	الدار الثانية ...
٥٩	الدار الثالثة ...
٦٤	الدار الرابعة ...
٦٥	الدار الخامسة ...
٦٩	مجموعة الدور السادسة والسابعة ...
٧٢	الدار السادسة ...
٧٨	الداران السابعة والسابعة «مكرر» ...
٨١	الدار الثامنة ...

٨٥	الباب الخامس - مميزات الدار التي يوسطها حوش
٨٦	١ - النسب
٨٨	٢ - الاتجاه
٨٨	٣ - مشتملات الدار ..
٨٨	(أ) الحشوش ..
٨٩	(ب) الرواق والقاعة ..
٩٢	(ج) الأواوين ..
٩٣	(د) باب الدار ..
٩٣	٤ - الطبقات ..
٩٥	٥ - الغرف واستعمالها وتقسيم الدار ..
٩٩	الباب السادس - صناعة البناء
٩٩	١ - الأسس
٩٩	(أ) الأسس المبنية بالطين ..
٩٩	(ب) الأسس المبنية بالآجر ..
١٠٠	(ج) البناء بالمدر (كل الطين) ..
١٠٠	٢ - البناء بالآجر ..
١٠٠	(أ) الآجر ..
١٠١	(ب) نظام البناء ..
١٠٢	(ج) اللون ..
١٠٢	(د) اللغات والياض ..
١٠٣	(هـ) القوائم الحجرية ..
١٠٤	(و) الأرضية ..
١٠٥	(ز) العقود والأفنية والصفف ..
١٠٥	٣ - التبيط ..
١٠٦	٤ - المعدات السحبة ..
١٠٦	(أ) المراحيض ..
١٠٨	(ب) المجاري ..
١١٠	(ج) البساتين ..

صفحة	
١١٣	٥ نظام توزيع المياه
١١٣	(١) الآمر
١١٣	(ب) القسوات
١١٤	(ج) الفساق
١١٦	(د) أحواض غسيل الأيدي
١١٧	الباب السابع - قطع من الزخارف
١١٧	١ - الكسوة بالحصص
١٢٠	٢ - الكسوة بالحصص والآجر
١٣١	الباب الثامن - فى العهد الذى ترجع اليه الأبنية التى كشفت من القساط

لما أثمرت مجهودات المرحوم على بهجت بك، في عمليات الحفر باطلال القسطنطينية، وظهرت
النتائج العملية لهذه المجهودات . بفضل رعاية حضرة صاحب الجلالة الملك "فؤاد الأول"
وتشجيعه. أبدى جلالته رغبته السامية في تدوين هذه النتائج، في مؤلف يشمل البحث العلمي
فيها من الوجهتين الفنية والتاريخية .

فتحقيقاً لهذه الرغبة السامية . وضع المرحوم على بهجت بك مؤلفاً باللغة الفرنسية أسماه
"حفريات القسطنطينية"، واشترك معه في وضعه جناب مسيو اليو جرييل . أحد تلاميذ المدرسة
الفرنسية المختصة بدراسة آثار اليونان، الذي سبق له مزاولة التنقيب عن الآثار في جزيرة ديوس
وغيرها . وقد قوبل هذا المؤلف عند ظهوره في المجتمعات العلمية بالاستحسان .

ولما كان نشر العلم بين الجمهور، من أجل رغبات حضرة صاحب الجلالة الملك، تفضل
حفظه الله . وأصدر نطقه الكريم . بتقل هذا المؤلف الى اللغة العربية ليستفيد الناطقون بالضاد
من أبحاثه الأثرية والتاريخية .

فبدأ المرحوم على بهجت بك بتنفيذ الأمر . وعرب قسماً من الكتاب . وقد عنت بعد ذلك
وزارة الأوقاف بانعام تعريبه . وعهدت الى دار الآثار أن تقوم بهذا الواجب خدمة للعلم وتحقيقاً
لرغبة ملك البلاد . وها هو، بحمد الله، قد تم تعريبه وطبعه . في عهد حضرة صاحب الجلالة
الملك "فؤاد الأول" أيد الله ملكه .

كلمة افتتاحية

من المآثر الجليلة والمتن الخالدة في تعضيد البحوث العلمية المفيدة والعناية بنشرها، صدور الارادة الملكية السامية لوزارة الأوقاف بنقل كتاب "حفريات القسطنطينية" الى اللغة العربية، وهو الكتاب الذى وضعه أساذنا وصديقنا فقيده العلم، المرحوم على بهجت بك، بالاشتراك مع جناب مسيو بير جبريل تنفيذا لرغبة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك، "قواد الأول" حفظه الله، فى تدوين المعلومات التى استخلصت من عمليات الحفر والتنقيب فى أطلال مدينة القسطنطينية . ولقد كان من اهتمام وزارة الأوقاف، بانجاز هذا العمل الذى بدأه المرحوم على بهجت بك ولم يتمه فى حياته . رحمه الله . أن تعهد باتمامه الى دار الآثار العربية .

وصادف صدور أمر الوزارة فى الوقت الذى عينت فيه مديرا لدار الآثار العربية .

وكان المرحوم على بهجت بك قد اختار للاشتراك معه فى ترجمة قسم من الكتاب، حضرة محمود عكوش افندى الموظف بقسم الآثار العربية بوزارة الأوقاف . بعد أن استبقى لنفسه الأبواب الثلاثة الأولى من المتن . وقد أتم ترجمتها كما أتم عكوش افندى ما كاف به الى آخر الباب السابع، وتمكن من مراجعة ذلك مع المرحوم على بهجت بك .

ثم حالت المنون دون إشتغال المرحوم على بهجت بك بما بقى من الكتاب، وهو الباب الثامن والمواشى .

واذ عهد إلى بانجاز الكتاب، طلبت القسم المترجم واستصدرت قرارا من لجنة حفظ الآثار العربية بطبع الكتاب على نفقة دار الآثار العربية . وقد وقع الاختيار على مطبعة دار الكتب المصرية .

وفى أثناء العمل، أتم عكوش افندى القسم الباقى ووقف على عملية الطبع .

ونرجو أن يجد القراء فى هذا الكتاب، وقد انتهى بحمد الله . ما يبيهم فى دراسة الآثار والحرص عليها، واستقصاء ما تنطوى عليه من المعلومات الجليلة . والميزات الخاصة التى تزيدنا معرفة بأعمال السلف .

ولقد كان من عناية ادارة مطبعة دار الكتب المصرية بطبع هذا الكتاب، على هذا الوجه . ما يسوغ لها قبول شكرنا . كما أننا نتبت هنا شكر دار الآثار العربية وامتنانها، للعهد العلى الفرنسى الذى تفضل جناب مديره العالم الفاضل مسيو بير جوجيه . بتقديم الحروف اللازمة لطبع الكلمات اليونانية الواردة فى المتن .

أدام الله حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك، نصيرا للعلوم والفنون . وأبقاه للأمة المصرية وحفظ أنجاله ما

مدير دار الآثار العربية

جاستون فييت

مقدمة الكتاب

لما كان كشف موقع الفسطاط بجمامه يستدعى عدة سنين وكانت النتائج التي حصلنا عليها حتى اليوم لا يستهان بها، فكرنا في أنه من الممكن الشروع في نشر هذا الكتاب دون انتظار انتمام عمالية الكشف .

وسنشر فيما بعد في بيار الأحوال التي بإشرافنا فيها هذه العمالية. مدة السنين الثمانية التي مضت، ونرجو أن يسمر الكشف على الطريقة الأصولية، والأمل عظيم في أن تأتي أعمال السنين المقبلة بنتائج عظيمة .

وقد وفقنا، حتى اليوم، إلى كشف جانب كبير من الفسطاط بما فيه من : دوره . وحواليته، ومخازنه، وحماماته، ومصانعه . وأظهرنا السور الذي أقامه السلطان صلاح الدين فيها بين القلعة والنيل، وحفرنا في سمته جملة حفر للتثبيت من وجوده، هذا من حيث الآثار الثابتة . أما الآثار المنقولة فقد عاد الحفر على دار الآثار العربية بالخبر العميم، إذ ضم إلى مجموعاتها الكثير من الطرف الأثرية، وأخصها، مجموعة الخزف التي هي فريدة في بابها، ولا شك عندنا في أن بعض هذه المكتشفات يؤدي إلى ظهور عدة مباحث تتعلق بخطط المدينة وتاريخ الفنون، وقد أحيينا أن نعجل بتدوين مشاهداتنا الأولية منذ الآن، لأننا نرى أن النتائج الأولى التي حصلنا عليها تكفي على أفرادها، لأن تلقى شعاعاً من النور على أصول الفنون الإسلامية. ونقدم لتاريخ رقبها شواهد جديدة .

مع ذلك نخشى أن نقدم من الآن قولاً قاطعاً في الموضوع، وإن كنا لم نقصر في الحفر على ما كشفناه من الخطوط التي يدور عليها البحث في كتابنا هذا، بل عملنا بعض مباحث متباينة الأهمية في مواقع مختلفة . وذلك لأننا لانزال في حاجة إلى اتمام البحث في مناطق أخرى لفتت نظرنا منذ زمن طويل .

ومن ثم يعلم . أن غرضنا من وضع هذا المؤلف إنما هو جمع جملة شواهد ثابتة لا تنقض ، ولم يكن في مقدورنا أن نعيد الأبنية إلى أصلها ، لأسباب منها : الكيفية التي كانت تتبع في عملية الحفر ، والحالة التي وجدت عليها المباني . وقرب العهد بالمسائل التي يدور عليها البحث لحداثتها ، فلو حمينا بإعادة المباني كأصلها لكان جانب التخيل راجحا في عملنا .

أما فيما يخص العهد الذي شيدت فيه الأبنية التي كُشِفَتْ . والمصدر الذي أخذت عنه ، فإنا نقتصر على سرد الشواهد التي يمكن اعتبارها منذ الآن مقبولة . فإذا ما أتت عقب النتائج الأولى للحفر نتائج متممة لها ، بسوء لنا وقتئذ أن نضع بيانا عاما يحدد أصول العبارة العربية في الديار المصرية .

وسيجد القارئ فيما بعد . بيانا بأسماء الكتب التي ورد ذكرها في كتابنا هذا . ونخص بالذكر من بينها الكتاب الذي عني بتأليفه في موضوع تخطيط الفسطاط ، العالم الكبير المدرس في كلية فرنسا ، ميسو پول كازانوفا . إنا قد رجعنا غير مرة إلى الأجزاء التي ظهرت منه حتى اليوم . فكان لنا منها المرشد في أبحاثنا ، المؤيد لاستنتاجاتنا .

ولقد كان لنا . من أعضاء لجنة حفظ الآثار العربية . العضد القوي في أعمال التنقيب . والمهد لنشر هذا المؤلف . ونخص من بينهم جناب متر فرنل ، لما أظهره من ارتياحه لعملنا والاهتمام به . وجناب ميسو لاكو . لما حققه لنا دائما من صادق ولائه . إذ كان يتعرف أخبار بحثنا ويشجعنا . ولقد تفضل فأعارنا ما كان في غنى عنه من أدوات الحفر . ولذلك نقدم للجميع هنا خالص الشكر .

وإنا لنرى من الواجب علينا أن نذكر حضرة محمود أفندي أحمد المهندس في لجنة حفظ الآثار العربية ذكرا خاصا ونقر له بالتفضل لما بذله من الجهد والاجتهاد ، وبرهن عليه من الكفاءة والاستعداد ، في رفع رسوم المباني . ونعترف له بالمعونة الحقة في ملاحظة عمليات إرجاع الشيء لأصله .
والتفضل في الصور الفوتوغرافية التي حل بها هذا المؤلف . يرجع إلى حضرة أحمد أفندي صادق الذي أخذ هذه الصور بكل عناية وحذق .

وإنا نشكر كذلك ، جناب ميسو لوكاس مدير المعمل الكيماوي . لإزاء ما قام به من تحليل مواد البناء . وفي الختام . نعتق لنا أن نثنى الثناء العاطر على ضباط فرقة الطيران الانكليزية الذين قدموا لنا مساعدتهم بالأجمل وأن نسدي شكرنا لكل من مد لنا يد المساعدة في عملنا .

ناتج التنقيب عن آثار الفسطاط

في سنة ١٨٣٥، رغبت الحكومة المصرية في حفظ آثارها الأهلية من الضياع، فأنشأت لذلك مصلحة خاصة لم تزل تعمل حتى يومنا هذا. أخذت على عاتقها من جملة ما أخذت من الأعمال ملاحظة التلال المحيطة بالقاهرة، وبقيت تلاحظها الى أن كانت سنة ١٨٩٢ حيث طلبت لجنة حفظ الآثار العربية أن تكون ادارة هذه التلال من اختصاصها، فأجيب هذا الطلب وعمل به الى سنة ١٩٠٦، ثم تحولت اللجنة عن تلك التلال. فأعيدت الى مصلحة الآثار التاريخية كما كانت من قبل .

وفي سنة ١٩١١، باشرنا بعض أعمال الحفريات على سبيل التجربة في باطن التلال المذكورة، وحصلنا على نتيجة مرضية، فاستندنا على ذلك وأوضحنا للجنة فائدة هذه المنطقة من وجهة الآثار الإسلامية، فتقرر فصل التلال من جديد عن مصلحة الآثار التاريخية وإلحاقها بدار الآثار العربية، فأصبحت تدير مجموعتنا وتنمي حاصلاتنا .

١ - الحالة التي كانت عليها التلال في سنة ١٩١٢

أقل ما يقال عن الطريقة التي كانت متبعة وقتئذ في ملاحظة هذه التلال - انها لم تعد على دار الآثار بفائدة ما، إذ بينما كانت المجموعات الخصوصية الكبرى، مثل مجموعات : فوكيه واينيس وكيننج، تكون وتمنق، والكثير من الأنثنيات العربية ينقل الى أوروبا وأمريكا، لم يكن قد دخل دار الآثار العربية حتى سنة ١٩١٢، إلا بعض القطع غير النادرة .

ومما يؤسف له شديد الأسف، أن أطلال الفسطاط أخذت تلعب بها يد التخريب : فسمح لبعض مستخرجي الأحجار أن يفتحوا المحاجر، ليس في جوانبها الأربعة فقط بل وفي وسطها،

ففسف أكثر من ربع المدينة الذى كان مخبوءا تحت طبقات التراب ورخص، كتابة، مستخرجى الآجر القديم أن يستخرجوه من منطقة القسطاط .

واذ كانت التلال يستخرج منها السباخ الجيد لتسميد الأراضى، أذن لبعض الأفراد باستخراجه لمدد تختلف فى الطول بشروط مكتوبة . ولكن هذه القيود لم يطالب صاحب الرخصة بالعمل بها . فلم يدخل دار الآثار العربية شىء من الأنتيقات التى تظهر أثناء الحفر، ولم يكشف بناء واحد من الأبنية .

ولما أريد ردم بعض منخفضات جزيرة الروضة، فى سنة ١٩٠٥، أخذت الأثرية اللازمة للردم من تلال القسطاط، كما هى، دون أن يراعى فى أخذها جمع ما عساه يظهر من القطع الأثرية أو المحافظة على الأبنية القديمة .

هذا ما وقع فى أطلال القسطاط فى العهد القريب . أما ما تم فيها فى القديم، فكان صورة مصغرة من هذه، فانه لما حدث ما اتفق المؤرخون على تسميته "خراب القسطاط"، فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) . كما ستقف عليه فيما بعد . ونهبت الدور التى هجرها ساكنوها . جاءها راغبو العمارة فى القاهرة . فأخذوا منها ما بقى من مواد البناء . واستمر الناس يأخذون منها ما يلزمهم عدة قرون حينما شيدت المباني على ساحل النيل . ولا يعلم إلا الله مبلغ الأهمية الأثرية فى هذه المنطقة التى امتدت إليها الأيدى ونحرتها قديما وحديثا وما ضاع فيها من الفوائد الجمة التى كانت تعود منها لو تركت على أصلها .

وما عرفناه من تاريخ المدينة وتحققنا بالعيان، مما كشف من أبنيتها . يجعلنا نأسف كل الأسف، لبقاء التخريب يعمل عمله . حتى الزمن الذى نحن فيه، مع أن سائر البلاد تحرص كل الحرص على دراسة بقايا العصور الماضية بكل دقة، وإن كانت دون بقايا القسطاط فى الأهمية . ومن أجل ذلك . يسوغ لنا أن نصرح بأن من الغلطات التى لا تغتفر، عدم حماية بقايا العاصمة الإسلامية الأولى للديار المصرية . حماية أجل خطرا وأفعلا أمرا .

٢ - عملية التنقيب على الآثار من سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩٢٠

من أول يوم فوّضت لنا ادارة الحفر في أطلال الفسطاط، كان جل قصدنا، عدم الترخيص بقدر الطاقة بفتح محاجر جديدة في وسط المدينة البائدة، ولكنا لم نحصل على غرضنا كله . بل يسوغ لنا أن نصرح ، بأن خطة الرصد بتمامها التي كانت تشرف على بركة الحبش وكذلك الدور الفاتحة والمناظر الخالصة التي كانت تحف بهذه البركة، حتى أثرها دون أن يبحث باحث أو يدرسه دارس .

وفي اللوحين الثالثة والرابعة، ترى مواقع المحاجر من المنطقة التي كشفناها . وفيها يرى الناظر كيف ان شركة السباخ تمكنت من ابتلاع أرض واقعة في بقعة من أكبر البقاع فائدة لعلم الآثار "الاركيولوجية"، وكيف أقامت عليها أبنية أصبحت حائلا دون البحث فيها .

وكان بوجدنا، لو أننا تمكنا من الحفر في الأرض الخالصة من الموانع والمخظورات على مقتضى الطريقة العلمية الحديثة . أعني بذلك : كشف الأتربة طبقة بعد طبقة . ولكن حال دون العمل بهذه الطريقة، ارتفاع التلال، واتساع المنطقة المقتضى كشفها، ونقل الأتربة المخلفة عن الكشف الى أماكن بعيدة . وكل ذلك كان يستدعى كثيرا من العمل والنفقة .

لذلك، رأيت الاستفادة من عملية استخراج السباخ، فكنتنا من كشف جانب عظيم من المدينة . ولكنا اضطررنا لأن نضع للعمل نظاما خاصا غير الذي كان متبعنا من قبل ، فالفنا طائفة كبيرة من الحراس لم تقتصر مهمتها على جمع ما عساه يظهر أثناء الحفر من الانثيقات بل منع هدم أى جزء من المباني قبل أن يعاينه أمين دار الآثار بنفسه . وبهذه الطريقة حفظت بقايا الأبنية وان صغر حجمها . وكنا نعمل المساند عند الحاجة، حتى لبقايا الجدران المعلقة (أى التي اقتلع الطوب من أسفلها فبقيت معلقة بين طبقات الأتربة) اذا ظهرت أهميتها، بحيث أصبح بيع الآجر قاصرا على بعض قطع الجدران المقتلعة التي لا فائدة من وجودها .

٣ - في اختيار موقع الحفر

اخترنا لعملية استخراج السباخ - المنطقة الواقعة شرق جامع عمرو المساة حلقوم الجمل - المتصلة بكوم الشفاف، لوقوعها في وسط مدينة الفسطاط . ولكننا لم نقصر البحث على هذه المنطقة، بل أذنا، كما سبقنا الإشارة اليه، بالعمل في جملة مناطق أخرى . يقع بعضها في العسكر والبعض في القطائع والبعض في الفسطاط عند حدود القرافة قرب عين الصيرة . كما تراه مينا في الشكل الأول . وبهذه الوسطة كشفنا جملة مبان . وان لم تكن كلها في درجة واحدة من الأهمية . ولكنها تنطق بوجود الشبه التام في الوضع والبناء بين جميع الأبنية التي كشفت في هذه المناطق المتباعد بعضها عن بعض .

٤ - في تحديد التواريخ وفي أصول التلال وتكوينها

سيجيء لنا، فيما بعد، كلام مطول عن العهد الذي ترجع اليه مباني الفسطاط . وهي مسألة نصرح من الآن بأنها في متهى الدقة، فلا ندعى بأننا وصلنا فيها الى رأى قاطع، وإنما نتمشى فيها تبعاً لما يظهر لنا من نتيجة الكشف دون أن نهمل قول المؤرخين، وان كان يتعين أخذه بالاحتراس الكثير .

وهنا نستأذن القارئ في الجواب على اعتراض اعترضه البعض أكثر من مرة . بشأن الطريقة التي اتبعناها في الحفر . على ظن أنه كان من الممكن الحصول على تواريخ مضبوطة، لو عملنا بالطريقة المألوفة في مثل هذا النوع من الحفر . أعني بها : رفع التراب من التلال . طبقة بعد طبقة ، وحصر ما يوجد في كل طبقة من القطع الأثرية .

وانا ترد على هذا الاعتراض . أولاً : بأن مدينة الفسطاط لا تقام بمدينة تزوادة ولا بمدينة ميسين . حيث الطبقات المتتالية تدل على توالى العمار التي أقيمت بعضها على أنقاض بعض . بل أن الفسطاط لم تعمر أكثر من خمسمائة سنة ، وسيرد عليك أنها كانت مشرفة على الخراب حينما أوقد فيها شاور النار سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م) فان السكان كانوا قد هجروا معظمها أيام المستنصر، وانتقلوا الى القاهرة أو على ساحل النيل، واتخذوا فيها مباني انتزعت موادها من أطلال المدينة المتداعية .

أما الخطط التي كانت لا تزال معمورة فيها، فكان سكانها وسكان القاهرة نفسها يلقون ما يختلف من أنقاض أبينتهم التي يشيدونها فوق ما قرب منهم من تلك الأطلال . وكلما أصبح المكان الذي يلقون فيه الأنقاض تلالا عاليا يصعب ارتقاؤه تتجاوزوه الى مكان بجواره . ولما امتد خراب القسطة، امتدت معه التلال بعضها تلو بعض .

على هذا النسق تكونت تلال القسطة . ومن السهل اذن، أن يدرك الانسان أن الشيء الذي يعثر عليه في ذروة أحد التلال قد يكون من عصر الشيء الآخر الذي يوجد في سفلى التل المجاور له . ومن ثم يسوغ القول، بأن توزيع الأشياء التي توجد في باطن التلال على طبقاتها لا يمكن أن يتخذ شاهدا على تحديد تواريخ الأبنية التي كشفت .

ولقد ادعى صاحب الانتقاد أن حريق القسطة ترك أثرا واضحا جليا يراه المتأمل في صفحة قطاع التلال، وهو خط أسود يتعرج يتعرج صفحتها، يريد الناقد أن يعين بمقتضى ظهور هذا الأمر تواريخ ثابتة . ونحن نقول له : إن المتأمل في صفحة التل لا يرى خطا واحدا بل خطوطا منشؤها احتراق المواد العضوية المختلطة بالآتربة، على أن هذه الخطوط ليست بالانتظام والاستمرار اللذين يريد أن يصفها بهما ذلك المتقيد .

نقول ذلك، ونحن نعرف مع السرور بأن عمالية استخراج السباخ مهما كانت ملاحظتها دقيقة لا تنفق مع البحث العلمى . ولكنا لا نظن أنه في حالنا الخاصة، كان من الممكن بأية طريقة أخرى من طرق الحفر أن نحصل على شواهد أتم وفوائد أعم . ونختم هذا الباب بأن تؤكد للقارئ أنه من يوم أن تولت دار الآثار العربية زمام العمل في القسطة لم يهدم جزء واحد من أجزاء البناء مهما صغر حجمه .

٥ - النتائج الأولى لعمليات الحفر

قلنا أن عمليات الحفر عادت على دار الآثار العربية بأعظم فائدة إذ ضمت الى مجموعاتها الطرف الأثرية الآتية، وذلك بخلاف ما انكشف من بقايا المباني التي هي موضوع كتابنا هذا :

(١) جمع جبات منزهة في قول . مراقب صدوق الدين الانكيزى ومن أعضاء لجنة حفظ الآثار العربية، كلاهما دارك الجرائد من الجداول في موضوع الحفر القسطة . وقد نشر في مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩١٥ - ١٩١٦ مكرش

فما دخل دار الآثار من الفسطاط :

(أ) عدد جـم من قطع الخزف المدهون بالمينا على اختلاف أنواعه . بعضه عليه كتابة منقوشة ، وشارات ورنوك سلاطين مصر وأمرائها . ومنها أيضا ما ينسب لجماعة عرفوا في التاريخ . وبعضه عليه صور للإنسان والحيوان . والبعض عليه رسوم هندسية وغير هندسية^(١) .

(ب) قطع من الزجاج المطلى بالمينا . عليه زخارف مختلفة ورسوم متنوعة وكتابات وشارات .

(ج) قطع من أثاث الدور والقصور . ولوحات دقيقة النجارة . وأغلاق وضباب وسماعات أبواب ، وأدوات طبخ ومباخر ، ونعب أطفال . وأمشاط وأدوات زينة .

(د) بعض أوراق من ورق البردي . مكتوب باللغة العربية . مما يرجع عهد أكثره الى عصر الدولة الفاطمية .

(هـ) بعض أوراق عادية ، مكتوب فيها عقود ونصوص تجارية وإدارية ، ترجع الى القرون السادس والسابع والثامن للهجرة .

(و) تيجان أعمدة مصنوعة من الرخام والحجر منقوشة نقشا بديعا .

(ز) زخارف من الجص .

(ح) بعض أحجار عليها نقوش هيروغليفية (أهديت لدار الآثار المصرية) .

ومن الاطلاع على اللوحات الملحقة بهذا الكتاب . نعرف أهمية ما يعثر عليه بالحفر وما فيه من التنوع .

(١) عما قريب يظهر كتابه حافى في -وصف الخزف المصري في العهد الاسلامي-



شكل ١ - موقع المظفر



الباب الأول

شئ من تاريخ الفسطاط

١ - بابليون والفتح الاسلامي

في سنة عشرين للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام (سنة ٦٤٠ م) .
هم عمرو بن العاص في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بفتح مصر بجيش صغير . فلم يقاومه
أهلها إلا بالأمر الخفيف حتى جاء قرية أم دنين . وفيها جاءه المدد من عمر الى أن بلغ جيشه
اثني عشر ألفا على رواية . وكان من ضمن المدد الذي بعث به الخليفة الزبير بن العوام ، فتقدم
هذا الجيش حتى مدينة بابليون وحاصرها . وليس من السهل معرفة ما كانت عليه هذه المدينة
من الأهمية وتعيين موقعها . وقد ذهب مسيو كازانوفكا الى احتمال وجود حصن آخر أو قصر
متفصل عن المدينة ، وقال : إن قصر الشمع بقية من استحكامات المدينة التي كانت في يد الاقباط ،
أما الحصن فكان موقعه على الشرف ، وقد يكون البناء المنعزل المتخذ الآن معملا للبارود المعروف
عند الأهالي بأسطبل عترة^(١) .

على أنه مهما كان لهذه الأقوال من الفائدة والأهمية . فإن فيها شيئا من التناقض وليس بينها
ويعين بحثنا رابطة .

(١) قال القريري ان قرية أم دنين تعرف الآن بالقس (ص ٣٥٩ ج ١ وص ١٢١ ج ٢) . ومن المعلوم أن هذه التلة كان بها جامع القس الذي
أنشأه الحاكم بأمر الله . وهو الآن جامع أولاد عنان على مقربة من محطة مصر . (٢) القريري ج ١ ص ٢٨٨ وما يليها . (٣) راجع ما كتبه
كازانوفكا عن بابليون وقصر الشمع في محوطة بلجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٠٦ (نقرر رقم ١٢٧) وفي مقدمة طيوغرافيا الفسطاط ص ٢٢ وما يليها .
وقد كتب المرحوم هرتس باشا فصلا في مجلة الاسلام الألمانية سنة ١٩١٧ لخص فيه هذه المسألة وبين اختلاف الأقوال فيها بعنوان « بابليون
وقصر الشمع » . (٤) يلاحظ أن التسمية بأسطبل عترة لا تطبق على جبل البارود الموجود الآن ولكن على منارة في جانب الشرف المطل على
بركة الجيش . وبالقرب من أسطول مدفن معروف أيضا بأسطبل عترة .

ولا تنكر فائدة البحث عما كان لهذه المدينة الرومانية من التأثير في عاصمة مصر الإسلامية، غير أن التثبت من ذلك يستلزم وجود معلومات وافية عن بابليون، وما نقل إلينا عنها منهم جداً، فضلاً عن أنه لم يخلف من معالم هذه المدينة غير بعض قطع من الأسوار وبابين خارجين : أحدهما الباب الغربي، وهو باب الحديد، ولم يبق منه غير الفل . والآخر القلبي، وهو باب المعلقة. وقد وصل إلينا ولم يتغير معالنه وأصلحته أخيراً لجنة حفظ الآثار العربية^(١).

أما تفصيلات فتح هذه المدينة، فإنها مبسطة في كتب الفتوح، فلا نتصدى لسردها، بل نلخصها في أن حاكم مصر من قبل امبراطور قسطنطينية واسمه المقوقس، كان مقبلاً ببابلليون وقت الفتح فتركها والتجأ إلى جزيرة الروضة. وفيها قاوض عمراً على تسليم الحصن، وذلك في سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م)^(٢).

ولم يتوان عمرو بعد الاستيلاء على هذا الحصن عن فتح الاسكندرية، فسار إليها ووضع عليها الحصار إلى أن سلمت بعد شهرين . ثم عاد إلى بابليون .

٢ - في تخطيط مدينة القسطنطينية

اختلف الرواة في أصل تسمية مصر بالقسطنطينية وفي معنى هذا اللفظ وتكاثرته . ولكن الرواية الأكثر شيوعاً، هي أن عمرو بن العاص لما نزل على حصن بابليون نصب قسطنطينية خارج أسواره، ولما فرغ من فتح الحصن وأحب أن يسير لفتح الاسكندرية أمر بترع قسطنطينية فإذا فيه بمقام قد فرخ، فقال : لقد تحرم بجوارنا، فأمر به فأقر كما هو وأوصى به صاحب القصر فلما قفل المسلمون من الاسكندرية، قالوا : أين نزل ؟ قالوا : القسطنطينية . هذه هي الرواية المشهورة في أصل تسمية المدينة .

(١) الجنوب الشرقى . (٢) القريش ج ١ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ ، لا يمكن موافقة جاييه على أن القسطنطينية المشتهرة المعروفة بفتح السبع هو حصن بابليون كله (راجع جاييه "الجزء القبطي" ص ١٩١) . لأن هذه المدينة رواية مؤرخ العرب كان فيها عدد عظيم من الروم والأقباط بينهم كثير من الطوائف، واحتاج الاستيلاء عليها إلى نحو ألف رجل ، مما يفهم منه أنها كانت من المدن المهمة . (٣) بحسن مقابلة قول ابن عبد الحكم (ص ٥٤ وما يليها) قول قصاصي وقد ذكره القريش (ص ٢٨٧ و ٢٨٨ ج ١) لأن سيرة كازانوفا، بالرجوع إلى مدينة القبولين، استنتج أن المدينة كان يحيط بها حصن غير القصر .

وهناك رواية أخرى. وهي : أن مدينة بابليون كان يحيط بها خندق والخندق في اليونانية اسمها "فساطن". ومن ثم نشأت كلمة فساط التي يذكرها بعضهم مقارنة لفسطاط . وهذه الرواية الثانية وإن لم تكن في رقة الأولى وظرفها، إلا أنها ربما كانت أقرب للعقل .

ولقد كان أول ما عني به عمرو لما أصبح أمير مصر أن شيد جامع . وهذا الجامع ، وإن لم يبق به الآن شيء على أصله يحدد، ولا شبهة في تحديده، مكان أول حرم أقام فيه المسلمون الجمعة في أرض مصر . ثم توزعت الخطط حول الجامع على الجماعات من القبائل المتنوعة التي تألف منها جيش عمرو، فاختير لكل جماعة خطة تنزل بها . وعلى ذلك تأسست مدينة القسطنطينية . وابتنى عمرو دارا له وبنى أميرا على مصر يحكمها باسم الخليفة . إلى أن كانت سنة ٢٣ هجرية (٦٤٣ م) . دعى إلى المدينة معزولا . ثم عاد إلى عمله في سنة ٣٨ هـ (٦٥٨ م) . وبنى إلى أن توفي فيها في سنة ٤٣ هـ .

وانسعت المدينة وارتقت حالها على عهد الخلفاء من بني أمية . وبقيت مقرا للأمراء الذين بعث بهم الأمويون إلى مصر . قال القلقشندي : ولم يكن على أيام هؤلاء الأمرء دار خاصة للامارة . إلا أن عبد العزيز بن مروان الذي كان أمير مصر من قبل أخيه عبد الملك اتخذ له دارا تعلوها قبة مذهبة ، وكانت هذه الدار فسيحة جدا حتى سموها المدينة^(١) . ومن ثم يظهر أن بعض الأبنية التي شيدت في ذلك العصر بلغت من الكبر والزخرف حدا عظيما .

٣ - في تأسيس مدينة العسكر

لما كانت سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) وقدم مروان آخر الخلفاء الأمويين إلى مصر فازا من جيوش العباسيين وجاء هؤلاء على عقبه . نزل صالح بن علي وأبو عون اللذان كانا يقودان هذه الجيوش بعسكرهما في الشمال الشرقي من القسطنطينية . وهناك اتخذوا مساكنهم وأقاموا دورهم، فتكون من مجموعها مدينة العسكر التي يشبه أن تكون ضاحية كبيرة أو امتدادا لمدينة القسطنطينية نحو الشمال

(٢) المقريزي ج ١ ص ٢٢٤

(١) راجع مقدمة كتاب طبرستان القسطنطينية لكارانوف ص ٢٤ رقم ٢

الشرقي . وفي وسط هذه الدور أقام صالح بن علي دارا سماها دار الامارة، أصبحت مقر الأمراء .
وفي سنة ١٦٩ هـ (سنة ٧٨٥ م)، وضع الفضل بن صالح أساس جامع كبير سماه جامع العسكر .
وكان بجوار دار الامارة . قال المقرئى : وكان موقعهما فيما بين جامع ابن طولون وكوم الجارح^(١) .

٢ - فى منشآت أحمد بن طولون وتأسيس مدينة القطائع

لما تولى أحمد بن طولون على مصر سكن فى أول أيام ولايته دار الامارة بالعسكر . ولكن لما وجدها تضيق بعسكره وحاشيته بنى فى سنة ٢٥٩ هجرية (٨٧٢ م) ، قصرا كبيرا تحت الشرف الذى أقام السلطان صلاح الدين عليه فيما بعد قلعة الجبل، واتخذ فى السهل الممتد من قصره الى جبل يشكر ميدانا للعب بالكرة والصوبلخان. حتى أصبح القصر نفسه يعبر عنه بالميدان .
ثم أذن لأمرائه وعساكره أن يبتنوا حول الميدان . فاخطت كل أمير لنفسه ولعسكره خطة، فأصبحت خططهم يضيق بها الفضاء وامتدت حتى انصرفت بخطط الفسطاط . وسميت كل خطة من هذه الخطط باسم الأمير الذى يتزل فيها أو باسم طائفة العسكر التى تسكنها . ومن مجموع هذه الخطط تكونت المدينة الثالثة التى سميت بالقطائع .

وأقام ابن طولون على جبل يشكر فى وسط القطائع جامعاً فى سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) .
وفى آخريات أيامه كانت الفسطاط والعسكر والقطائع كتلة من الأبنية متصلة بعضها ببعض، تمتد على ساحل النيل فيما بينه وبين جبل المقطم .
وسنين . فى الباب الآتى . حدود كل مدينة من هذه المدن الثلاث وامتداد كل واحدة منها .
وأطلق على مجموع المدن الثلاث اسم مصر أو الفسطاط . وقد تميزت به فيما بعد عن القاهرة لما أنشأها جوهر القائد شمالى الفسطاط .

(١) كان عسكر فى القرب الرابع المسمى (الشارع الملاحى) لا يزال مذكور . ولكن تلتحق اسمه الآن بكلى معروف فى الفسطاط والقطائع (راجع المقرئى ج ١ ص ٣٠٤ و ٣٩٧ و ج ٢ ص ٢٦٤) .
(٢) المقرئى ج ٢ ص ٢٦٤ .
(٣) راجع من جغرافيا القطائع كتاب ج . سالمون الذى عنوانه « مباحث فى طبوغرافيا القاهرة » - قصة الكبريت وبركة النيل ه .

وفي سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٤ م) زالت دولة بني طولون من مصر. فغلب عمال بني العباس الذين جاءوا بعد الطولونيين قصور بني طولون كراهة فيهم. لما هموا به من الاستقلال بحكم مصر. ولكنهم تركوا الجامع على حاله وكذلك القسطنطينية لم يتعرضوا لها بأذى. فبقيت زاهرة زاهرة أكثر من قرن. بعد زوال حكم مؤسسيها.

٥ - تأسيس القاهرة وأول نجم القسطنطينية

لما أسست القاهرة شمال مصر القسطنطينية اتخذها الخلفاء الفاطميين مقراً لهم ولحاشيتهم دون سواهم. أما طوائف العسكر والتجار والعملة فكانوا يسكنون القسطنطينية. ثم أخذ الناس ينتقلون بكثرة إلى القاهرة يوماً فيوماً حتى أربت على العاصمة القديمة بيهجتها وروائها.

نعم. أن مدينة القسطنطينية بقيت زمناً مركزاً للتجارة والصناعة المصرية. ولكن قيام القاهرة صوبت إلى مقتلها ضربة قاضية بحيث أصبحت المدينة الجديدة كلها قطعت مرحلة في سبيل التقدم والرفق. تخطو القسطنطينية بجانبها مرحلة في طريق التدهور والسقوط. قال ابن سعيد: ومنذ بسيت القاهرة ضعفت مدينة القسطنطينية وفرط في الإغتراب بها بعد الإفراط.

ولقد عقد المقرري فصلًا نسب فيه سقوطها للغلاء والحريق حيث يقول: «وكان لخرب مدينة قسطنطينية مصر سببان: (أحدهما) الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر بالله الفاطمي. (والثاني) حريق مصر في وزارة شاور بن مجير السعدي».

(١) وقد ذكرنا في هدم القسطنطينية كلها. وفي ابن دقاق عن مصر: «أما الأمان المنصهر بالله العباسي ثم بعدهما خلفه بنو العباس في سنة الثمانين وتسعين ومائتين بعد انقضاء دولة آل مولود». وكان يقول تحريمها محمد بن سليمان الكاتب ج ١ ص ١٢١ و ١٢٢ ولكنهم أنفوا بهدم القصر.

(٢) المقرري أول ص ٣٤٠ (٣) المقرري أول ص ٣٣٥ - ويخبر عن هذا قول المقرري: «أما الشدة العظمى فإن سببها أن جمع بمصر في سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٤ م) ... وفي سنة ٤٤٧ هـ ... الغلاء وكثرة ... مصر زاهرة وأصبحت إلى سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٣ م) ... حدث مع ذلك الفتنة العظيمة التي حارب بسببها قايص مصر ... وأقام (حتى الغلاء) ... سنة ٤٤٦ هـ ... فقام ذلك مع سبب ... في ذلك فلا يحسن من تاريخ ... وصار الحال إلى أن بيع وعيف من انخرطوا في ... على بركات القضاة في كبح الحروب والسداء بأربعة عشر درهماً ربيعاً أربعاً من الفصح بتأنيب ديارا (يعنى ٤٠٠ مرة فوق السعر الأصلي) ثم عدم ذلك. (أول ص ٢٢٧)»

نعم، ان الغلاء والفناء اللذين أعقبا الشدة العظمى بجلا بخراب الفسطاط الذى أتمه الحريق، ولكنهما لم يكونا السبب الأصلى - بل كان السبب الأول كما قلنا - حدوث القاهرة واتخاذها مقرا للخلفاء ومركزا لحكومتهم ثم قيام المباني الفخمة التى لم يكن لأحد بها عهد من قبل، حول قصور الخلفاء .

ولست أنكر أن الشدة العظمى على أيام المستنصر كان لها أثر فعال فى خراب مدينة الفسطاط . وقد نقل الينا مؤرخو العرب فى موضوع حال البلاد وقتئذ روايات مزججة . ومع غض النظر عما فى هذه الروايات من المبالغة - فالظاهر ان المرور خلال الفسطاط كان خطرا على الأنفس . ومن إطلاق الأسماء على بعض الحوارى والدروب التى ذكرها ابن دقاق . يقف القارئ على أن تلك الحوارى كانت وقتئذ مكا للتهابة والقنلة .

ولست أنكر أيضا أن مدينة الفسطاط هجر السكان على عهد المستنصر بعض خططها ، ونشأ عن تركهم تلك الخطط ما يسميه المؤرخون "خراب المدينة" ، وسنين فيما بجه حدود منطقة الخراب .

ولما قدم بدر الجبالى الى مصر فى سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م) وهم باعادة العمارة الى مدينة القاهرة، لم يكن من نتيجة عمله إلا زيادة خراب الفسطاط . ذلك : أنه أباح للناس من العسكرية والملحبة والأرمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة أن يعمر ما شاء فى القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومات أهله . فأخذ الناس ما كان هناك من أنقاض الدور وغيرها وعمروا به المنازل فى القاهرة وسكنوها وأخذ الناس أيضا فى نقل ما كان بالقطائع والعسكر من أنقاض المساكن حتى أتى على معظم ما هنالك الخدم وصار موحشا . ونحرب ما بين القاهرة ومصر من المساكن، ولم يبق هنالك إلا بعض البساتين ... ولم يبق من العسكر ما هو عامر سوى جبل يشكر الذى عليه جامع ابن طولون وما حوله .

(١) وكان بمصر طوائف من أهل بلاد كرماء يسمون بـ "خشوف قرية من يسى وخرقات وخرقات" وقد أخذوا سلبا وسطاطيف فاذا من جم أحد شالوه فى أقرب وقت ثم خرجوه بالأخشاب وشرحوها لجه وأكروه . القهرى أول ص ٣٣٧ . وقد ذكر ابن دقاق فى الأربعة التدافين والسكابين والقنل . وكان يجرى فيها مثل هذه الأمور (راجع ج ٤ ص ١٦ و ١٨) . (٢) القهرى أول ص ٣٦٤ . (٣) القهرى أول ص ٢٠٥ .

نعم، انه وقع بعد ذلك أى فى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) سعى فى تعمير الخسطة الخراب تعميرا جزئيا. قال المقرئى : فلما كان فى خلافة الأمر بأحكام الله أبى على منصور بن المستعل أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فاتك المتعوت بالأجل المأمون بن البطانعى فنودى مدة ثلاثة أيام فى القاهرة ومصر بأن من كان له دار فى الخراب أو مكان فليعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقل شئ من أنقاضه، ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه . والظاهر ان ما أمر به الوزير أنى بالغرض المقصود فى وقته و " عمر الناس ما كان من ذلك مما يلى القاهرة من جهة المشهد النبوى الى ظاهر باب زويلة " .

ولكن يظهر لنا، أن الجانب الذى هم وزراء القواطم بتعميره. انما هى الخسطة المجاورة للقاهرة، وأن نواب القسطنطينية بقى دائرا على حاله . وانا نقول ذلك استنادا على جملة أوردها المقرئى . أن فيها حدود ما أعيد تعميره، حيث قال : فعمر من الباب الحديد طولاً الى باب الصفا بمدينة مصر حتى صار المتعيشون بالقاهرة والمستخدمون . يصلون العشاء الآخرة بالقاهرة ويتوجهون الى سكنتهم فى مصر ولا يزالون فى ضوء وسرج وسوق موقود. من الباب الحديد خارج باب زويلة الى باب الصفا حيث الآن كوم الخارج، والمعاش مستمر فى الليل والنهار .

وهذه الخطة ينطبق عليها الطريق الذى كان يسلكه الخلفاء فى ذهابهم الى صلاة الجمعة فى جامع عمرو أو الى المقياس لحضور موسم كسر الخليج . يؤيد ذلك، أنه فى أيام الشدة العظمى التى كانت على عهد المستنصر اضطر وزيره اليازورى أن يقيم حائطاً يستر نواب العسكر والقسطنطينية عن عين الخليفة . قال المقرئى : ولما استولى الخراب فى المحنة أمر ببناء حائط يستر الخراب من نظر الخليفة اذا سار من القاهرة الى مصر . فيما بين العسكر والقسطنطينية وبين الطريق . وأمر ببناء حائط آخر عند جامع ابن طولون . لذلك نقول : أن المباني إنما أقيمت على حافة هذا الطريق العام . ولذلك . لا نأخذ رواية المقرئى بحروفها حينما يؤكد أن مدينة القسطنطينية عادت زاهية كما كانت عليه قبل الشدة العظمى . حيث يقول : وتراجعت أحوال القسطنطينية بعد ذلك حتى قاربت ما كانت عليه قبل الشدة .

(١) المقرئى أول ص ٣٠٥ (٢) المقرئى قديم ص ١٠٠ (٣) المقرئى أول ص ٣٠٥ (٤) المقرئى أول ص ٣٠٥

وعلى كل حال فقد أصبحت مساحة القسطنطينية وتمدنت أصغر مما كانت عليه من قبل . وهو استنتاج المقرري نفسه ، حيث يقول : « بسبب هذا الغلاء حرب القسطنطينية وخلا موضع العسكر والقطاع وظاهر مصر مما إلى القرافة . حيث الكيان الآن إلى بركة الحبش » .

٦ - حريق القسطنطينية

كل من له اطلاع على التاريخ يعرف الغيرة التي وجدت بين شاور وضرغام بسبب الوزارة ثم دخول أموري دى لوزينيان متصرا للأول منهما في سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) كما يعرف أيضا ، ان أموري بعد سنتين من انتصاره لشاور قصد القسطنطينية غازيا ، فاستولى في طريقه إليها على بليس ، ثم نزل بجيشه على بركة الحبش .

وفي ذلك الوقت كان أكثر العسكر والقطاع خاليا عن السكان كما قلنا ، أما القسطنطينية نفسها فلأنها وإن لم تكن على عهدهما الأول من القوة كانت ساكنوها غير قليلين ، فلما لم يسع شاور اندفاع عنها أمر باخلائها وحرقتها . قال المقرري : « فنادى شاور بمصر ألا يقيم بها أحد وأزج الناس في النقلة منها فتركوا أموالهم وأثاثهم ونجوا بأنفسهم وأولادهم ، وقد ماج الناس واضطربوا قائما نخرجوا من قبورهم إلى المشر لا يعبأ والد بولده ولا يلتفت أخ إلى أخيه ، وبلغ كراء الدابة من مصر إلى القاهرة بضعة عشر دينارا وكراء الجمل إلى ثلاثين دينارا ، ونزلوا بالقاهرة في المساجد والحمامات والأزقة وعلى الطرقات فصاروا مطروحين بمالهم وأولادهم وقد سلبوا سائر أموالهم ، إلى أن قال : وبعث شاور إلى مصر بعشرين ألف قارورة نبط وعشرة آلاف مشعل نار فرق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق إلى السماء فصار منظرا مهولا فاستمرت النار نائى على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتسام أربعة وخمسين يوما والنهابة من العيد ورجال الأسطول وغيرهم بهذه المنازل في طلب الخبايا . ومن ثم تحولت مصر القسطنطينية إلى تلك الأطلال المعروفة الآن بكيان مصر » .

(٢) المقرري أول من ٣٣٨ و ٣٣٩

(١) المقرري أول من ٣٣٧

٧ - في تاريخ القسطنطينية من عهد صلاح الدين الى يومنا هذا

بعد أن أوقد شاور النار في القسطنطينية كما مر. التجأ الى القاهرة . أما أموري فلم يتمكن من نفاذ غرضه من الاستيلاء على مصر لأن صلاح الدين كان قد ظهر في عالم الوجود وأضحى سيد مصر واستولى على الشام .

ولما عاد صلاح الدين الى مصر صمم على أن يجمع بين القاهرة وما بقى من القسطنطينية بسور واحد . وهو السور الذي كشف لنا الحفر القسم القائم منه بين القلعة وحدود القسطنطينية من الجهة القبلية . ومن ثم انتقلت حركة التجارة والصناعة الى ساحل النيل حيث كانت ترسو المراكب وتكثر المخازن والمصانع التي حفظت للقسطنطينية الى درجة ما بعض عمارها . قال ابن سعيد (سنة ٦١٠ - ٨٦٧٣ = ١٢١٣ - ١٢٧٤ م) : «وقد نفخ روح الاعتناء والنمو في مدينة القسطنطينية الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبني على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر» . قال المقرئى : «يعنى» ابن سعيد، ما بنى على شقة مصر من جهة النيل» . ومن أول القرن السابع الهجرى (الثالث عشر المسيحى) شيدت من مواد انتزعت من الخطط التي هجرها أهلها من القسطنطينية، الخطة الواقعة على ساحل النيل جنوبى دار الملك التي كانت في أول أمرها آخر حدود المدينة من قبلها .

وفي أيام الناصر قلاوون امتدت المباني الجديدة على الخصوص فيما بين القسطنطينية والقاهرة حتى غدت المدينتان مدينة واحدة، قال المقرئى : «وفي أيام الناصر اتصلت عمار مصر والقاهرة فصارتا بلدا واحدا يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والرباع والقياسر والأسواق والفنادق والخانات ...» .

وفي رأينا أن الأبنية لم تكن ليتصل بعضها ببعض بل كانت الدور تخللها البساتين تمتد في غير منطقة الخراب . وبالإجمال كانت تخيل المدينة في أواخر القرن السابع الهجرى أى الثالث عشر المسيحى على الصورة الآتية البديعة : في شمال القاهرة، يجمعها بالقسطنطينية ضاحية مكونة من بعض

(١) المقرئى أول ص ٢٨٠

(٢) المقرئى أول ص ٢٦٥

الدور والقصور تطلها البساتين . ويلبها الفسطاط على ساحل النيل على سمت جامع عمرو وقصر الشمع ، وإلى ذلك كله من الجنوب على شط النيل خطة المناظر والقصور المتصلة ببركة الحبش .

ولقد ترك لنا كل من ابن دقاق والمقرئ والقلقشندي عن مدينة الفسطاط في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر المسيحي) ، معلومات دقيقة وكلها تنفق في أن تدهور المدينة إنما كان يزداد قرناً بعد قرن . وفي الجملة الآتية لخص القلقشندي الحزن التي نزلت بالفسطاط . قال : " ولم يزل الفسطاط زاهي البنيان نامى السكان الى أن كانت دولة الفاطميين بالديار المصرية وعمرت القاهرة فتقهقر حاله وتناقص . وأخذ الناس في الانتقال عنه الى القاهرة وما حوطا ، نفلا من أكثر سكانه ، وتنازع الخراب في بنيانه . الى أن غلب القرع على أطراف الديار المصرية في أيام العاضد آثر الخلفاء الفاطميين " .

وقال : وبعد حريق شاور "تزايد الخراب فيه وكثر الخلو ولم يزل الأمر على ذلك في تقهقر أمره الى أن كانت دولة الظاهر بيبرس أحد ملوك الترك بالديار المصرية فصرف الناس همهم الى هدم ما خلا من أخطاطه والبناء بنقصه بساحل النيل بالفسطاط والقاهرة وتزايد الهدم فيه واستمر الى الآن حتى لم يبق من عمارته إلا ما بساحل النيل وما جاوره الى ما يلي الجامع العتيق وما داني ذلك ودرت أكثر الخطط القديمة وعنى رسمها واضمحلت ما بقي منها وتغيرت معالمه " .

أما اليوم فلم يبق من الفسطاط إلا كيانها القائمة فيما بين النيل والمقطم . وما يطلقون عليه اليوم اسم مصر القديمة لا يمكن اعتباره من بقايا الفسطاط . فان الدور الحفيرة التي تتكون منها هذه الخطة حديثة العهد . قام أكثرها على الأرض التي خلفها النيل الذي ما زال ساحله ينتقل الى جهة الغرب ، ولم يخلف من بقايا المدينة البائدة سوى جامع عمرو وقصر الشمع والمباني التي كشفها الحفر .

الباب الثاني

بحث في خطط الفسطاط

١ - في تنقل ساحل النيل

معلوم أن ساحل النيل فيما يجاور القاهرة لم يثبت على حالة واحدة بل كان يتنقل من الشرق الى الغرب . وهذه الحركة التي يرجع عهدها الى ما قبل الهجرة النبوية لم تقف بل استمرت حتى يومنا هذا . من أجل ذلك . يلزمنا قبل الدخول في موضوع أى بحث بمس التخطيط أن نعين بالضبط الحدود التي كان يصل اليها ساحل النيل في تنقله مدة بقاء الفسطاط .

(١) في أيام الفتح

اتفق المؤرخون على أن جامع عمرو بنى على شاطئ النيل^(١) . وهو اليوم يبعد عنه بنحو خمسمائة متر . وكذلك قصر الشمع كان على ساحل النيل ، وكان بابه الغربي أو باب الحديد مطلا على النيل مباشرة ومنه نخرج المقوقس حاكم مصر من بابليون ليحتفى بجزيرة الروضة ، كما رواه المقرئى . وعلى هذا الباب وجد المقوقس المراكب التي عبر عليها النيل^(٢) .

ومن هذه الرواية ، تعينت لنا نقطتان من المعالم الثابتة نشفعهما بثلاثة نحو الشمال وهي القنطرة الأولى التي أقيمت على الخليج في سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م) . وقد ذكرها المقرئى فقال : إنها كانت

(١) راجع عن هذا الموضوع فيو عماليا الفسطاط لكارابوقا ص ٤١٧ ، والوجه الثالثة الواردة فيه ، فانها تبين التغيرات التي طرأت على شاطئ النيل الأيمن في أزمنة مختلفة . (٢) المقرئى أول ص ٣٤٣ وقد ورد في المقرئى أيضا « وكان بجوار الحصن (بين قصر الشمع) من بحريه وهي الجهة الشمالية أشجار وكروم حار موشها الجامع العتيق » أول ص ٢٨٦ راجع أيضا المقرئى ص ١٣٢ (٣) أورد المقرئى خبرين يخفضان عن رجل المقوقس (المقرئى أول ص ٢٨٦ ر ٢٩٠) . وسنورد الكلام على ذلك عند ذكر الروضة . وعلى كل حال « كان النيل يمر بجانب جدار القصر » .

قائمة في المكان الواقع بين قناطر السباع (حوالي المشهد الزينبي) وقنطرة السد (حوالي كنيسة مارمينا) ومن ثم يعلم أن ساحل النيل في سنة ٦٩ هجرية كان يمتد بين الموقعين المذكورين .

وقد أورد ميو كازانوفا نقطة رابعة نوافقه عليها حيث يقول : إن موقع دار الملك كان كالأنف يدفع تيار النيل عن الفسطاط . ونحن نقول : إن هذه الجهة الواقعة جنوبي الفسطاط تبتدى منها حركة تنقل الساحل ، لأن ما بين دار الملك ودار الطين من الشاطئ بقى ثابتاً على حاله لم يطرأ عليه تغيير ما .

(ب) في عصر الخلفاء الفاطميين

وكذلك في أيام الفوالم . استمر ساحل النيل المقابل لجزيرة الروضة ينتقل نحو الغرب ، إذ كان خليج مصر الخارج من النيل يسير والطريق المؤدى الى الحمراء القصوى . وكان على شاطئ الخليج الغربي بساتين منها بستان الخشاب القائم في أرض المريس . أما بعد سنة ٥٥٠ هـ (١١٠٦ م) فإن النيل انحسر وخلف أرضاً بين ميدان باب اللوق وبستان الخشاب . وهذه الأرض غلب عليها فيما بعد اسم بستان الفاضل . نسبة للقاضي الفاضل الذي كان لديها بستان كبير^(١) . ومكان ذلك يكاد ينطبق على الأماكن الواقعة حوالي مستشفى القصر العيني ومدرسة الطب .

(ج) في عصر السلاطين من بني أيوب

ولدينا من عهد الدولة الأيوبية المعالم الآتية :

- (١) قلعة المقدس التي أقامها صلاح الدين . قال المقرئى : «إنها كانت مطلة على النيل»^(٢) ، ولما نحدد موقعها ونعينه في الجهة التي تشغلها الآن محطة السكة الحديد العمومية .

(١) المقرئى ١٤٦ ص

(٢) راجع طبرغرافيا الفسطاط لكازانوفا ص ٢١٧ . وقد وردت بعض كثيرة عن حركة النيل . ولكنها غير صحيحة . من ذلك ، قول المقرئى رواية عن ابن عبد الظاهر : «إنه جبل يشكر كان مطلاً على النيل» دون تعيين الزمن . وقوله أيضاً : «وكان الكباش يشرف على النيل من غربيته» المقرئى أول ص ١٢٥ و ٣٥٩ و ٣٦٠

(٣) المقرئى أول ص ٣٤٥

(٤) المقرئى أول ص ٣٨٠ وثان ص ١٢١ و ١٢٣

(٢) قنطرة السد التي أقيمت في أعوام بضع وأربعين وستائة هجرية (١٢٤٢ م) على الخليج .
وهذه القنطرة التي لم تكن تبعد عن ساحل النيل^(١) مرة بك تحديد موقعها .

أما فيما يتعلق بساحل النيل حذاء الفسطاط ، فليس لدينا عنه معلومات ثابتة . وإنما يمكن القول بأن حركة النقل على العموم في هذه الجهة كانت منتظمة ومستمرة .

(د) في العصر الذي أعقب الدولة الأيوبية

استمرت حركة النقلة نحو الغرب على حالها حتى الأيام الأخيرة ، ولكن مساحة الأرض التي انحصر عنها ماء النيل في هذه المدة ، كانت فيما سامت القاهرة أكبر منها حذاء الفسطاط . ومن ذلك حدثت خطة بولاق جميعها بعد سنة سبعائة من الهجرة . وليست حركة النقلة في هذا العصر مما يهم موضوعنا .

٢ - تأسيس الفسطاط وتوزيع خططها على القبائل

لما رجع عمرو بن العاص من فتوح الاسكندرية ، قسم بعض الأرض التي قامت عليها مدينة الفسطاط على القبائل ، فاجتمع أهل كل عشيرة في ناحية .

وقد كانت هذه القسمة الأولى ، الأصل في تسمية خطط المدينة . وانه وإن لم يكن من الممكن أن يهتدى الانسان بمقتضى الأوصاف التي أوردتها المؤرخون الى معالم تكفي لوضع خريطة مستوفاة تحدد موقع خطة كل قبيلة بالضبط ، إلا أنه من المتيسر الاهتداء الى مواقع خطط بعض القبائل بمعونة كتاب المقرئ الذي ينقل طبعا عن سبقه .

فمثلا : خطة أهل الراية ، تقع على مقربة من جامع عمرو وتمتد الى قصر الشمع ، وخطة مهرة تقع في الجنوب الشرقى من أهل الراية . لأن المقرئى عبر بأنها في قلبها . وكان لها خطة

(١) المقرئى ثان ص ١٤٦

(٢) قال المقرئى : أهل الراية حانة من قريش والأنصار ونزارة وأسم ربح ذلك وإنما سموا أهل الراية وضمت الخطة اليهم لأنهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما يفرده بدعوة من الديوان ، ففكر كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلة ، بفعلهم عمرو بن العاص راية . وبهذا الى أحد . فقال : يكون موقعها تحتها . فكانت غير كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها (المقرئى أول ص ٢٩٧) .

أخرى على جبل يشكر . وخطبة تجيب نجى . بعدها . فتكون في الجنوب أى الجنوب الشرق من مهرة اذ كان من بين دروبها، درب المنصورة الذى يؤدى الى شرق قصر الشمع، أى الشمال الشرق منه . أما قبيلة نلح . فكان لها ثلاثة خطط : (الأولى) فيما بين أهل الراية مباشرة، نحو الشمال فتكون في الشمال الشرق من الجامع . (والثانية) شرق كنيسة ميكايل التى لا تزال قائمة حتى اليوم، (والثالثة) غير بعيدة منها . وخطبة اللقيف كانت تلاصق خطة أهل الراية . أما خطط أهل الظاهر، فكانت تمتد شرق نلح (الشمال الشرق) حتى العسكر . وخطبة وعلان في جنوب قصر الشمع .

وهناك خطط لم تحدد مواقعها مع الدقة التامة . مثل : خطة الفارسيين ، فإنه يظهر أنهم اختاروها بعيدا عن الخطط السابقة على مقربة من الشرف الذى أقيم عليه فيما بعد جامع ابن طولون، أو على الأرض التى أقيمت عليها مدينة العسكر . وقد اختير لخولان خطتان : (الأولى) جنوب قصر الشمع ، (والثانية) في مكان الكوم المشرف على مصلى خولان . وخطبة المعافر موقعها على الشرف المطل على بركة الحبش .

أما القبائل من غير الجنس العربى . وهم الذين أطلق عليهم الحمراء فقد خصص لهم خطط ثلاث ، تلى الواحدة الأخرى ، من جامع عمرو حتى جبل يشكر ، وهذا الجبل سمي باسم القبيلة التى سكنته .

(١) طبرستان القسطنطينية للكاتبة ص ٤٩ (٢) ينسب على النظر أن هذه غلبة كانت كثيرة العدد لأنها اختلطت في مواقع أخرى (راجع المقيري أول ص ٢٩٧) . (٣) الظاهر أن كزانوقا من موقعها أبعد من ذلك جنوب . (راجع تكملة المقيري في القوس رقم ٢) . (٤) خطة الفارسيين عين كزانوقا موقعها في الخريطة جنوب قصر الشمع . على أن المقيري يقول صريحا : أنه كانت شرف حمراء من العسكر . (٥) اكتشفت في هذه الجهة بقايا بناء يشاهد فيه . بالرغم من تداخله ، حصن منيع قائم الإوايا . وجدار يدق بقلعة محكمة الاتجاه . وربما كانت هذه البقايا من مصلى خولان . (٦) حمراء الدنيا والحمراء اليملى والحمراء القصرى . وزاد مير كزانوقا حمراء رابعة سماها الحمراء الأول وهو يريد أن يقول أنها حمراء اللهيد ولكن يرى أن الحمراء الدنيا والحمراء الأولى يدلان على موقع واحد . وقد بين له المؤلف (راجع طبرستان بول كزانوقا ، لوحة رقم ٣) لا يمكن أن تنطبق على الموقع الأصلية ، لأن ما بين البنايات كانت تعبر الممرات التى فيها . وقد يكون اعتمد في تخطيطه ، على ما رواه المقيري عن ابن المتوج (ج أول ص ٢٩٨) . وإذا أردنا أن نأخذ بهذه الرواية نحتم علينا أن نعهد . أنه ما كان يحصر منه النيل في انسحابه الى الجهة الغربية من المواقع ، كان يسكن باسماء المواقع الأصلية الى على الشاطئ .

٣ - الكلام على المدينة الأولى

قلنا فيما سبق : ان المساكن الأولى لتنتجى مصر كانت قائمة حول الجامع ، وعلى مقربة من قصر الشمع ، وان هذه المساكن كان يزاحم بعضها البعض . في تلك المنطقة ، وكلما بعد الانسان عنها قل العمار . وأشرنا أيضا الى أن خطة كل قبيلة كانت قائمة على انفرادها منعزلة عن غيرها اذ لا يعقل أن تكون الخطط التي ذكرها المقريري وأتينا على ملخصها متصلة الدور من النيل حتى عين الصيرة . ومن جبل يشكر حتى الشرف المطل على بركة الحبش . نقول لا يعقل ذلك . حتى لو فرضنا أنه انضم الى الجند الذي قدم لفتح مصر وعدده اثنا عشر ألفا ، أضعاف أضعافهم . بل المعقول أن يتخيل الانسان أن مجموع هذه الخطط ما كان لينشأ عنه مدينة واحدة . وانما كانت الخطط متوزعة في السهل . من النيل في الغرب حتى عين الصيرة في الشرق ، ومن جبل يشكر في الشمال حتى الشرف في الجنوب ، وأكثرها التصاقا ما كان تلي مقربة من الجامع ومن قصر الشمع . وثاما ابتعد الانسان عنهما خف الالتصاق حتى يبلغ محيط الدائرة . ومن بين هذه الخطط ، خطة الخراء القصوى . هدمت في غضون الحروب الأهلية ، ولم تعد لتعمر إلا عند تأسيس مدينة العسكر .

هذه كانت حالة مدينة القباط في القرن الأول الهجري . ولكنها بعد ذلك . اتسع نطاقها على توالى القرون ، ورفقت حالها ، فاستبدلت خططها بغيرها ، واتسعت حدود الخطط وتلاصقت حتى نشأ عن مجموعها مدينة واحدة . سنأتي فيما يلي على بيان حدودها في الوقت الذي بلغت فيه أوج كمالها . حوالي القرن العاشر المسيحي .

(١) وما يدل على تفرق القبائل ، الخبير الذي جاء فيه : « ان همدان ومن والاهما استنبت الخيرة فكتب عمرو بن العاص الى عمرو بن الخطاب رضي الله عنهما بعه بما صنع الله للدين ، وما فتح عليهم ، وما فعلوا في نططهم ، وما استنبت همدان من الزول بالخيرة » فكذلك الى عمرو بن محمد الله على ما كان من ذلك ويقول له : كيف وضعت أن تحرق أصحابك ؟ لم يكن ينبغي لك أن ترضي لأحد من أصحابك أن يكون بينك وبينهم حرة . ولا تحدى . بغيرهم هم ، فذلك لا تغدو على غيائهم حين يزل بهم عاتكة . فاعلمهم اليك . فدأبوا عليك وأحجمهم موصمهم بالخيرة وأحوا . همدان . فابن عليهم من في المملوك حصن . مرض عليهم عمرو ذلك ، فأبوا . وأحجمهم مرضهم بالخيرة . ومن والاهم على ذلك من رطهم يافع وبها . وأحوا . همدان . فابن لهم عمرو بن العاص الخيرة . في سنة إحدى وعشرين . وبلغ من سنة في سنة اثنين وثلاثين . (المقريري أول ص ٢٠٦) .

٤ - في حدود القسطنطينية والعسكر والقسطنطينية

قال المقرئى : " ان مدينة مصر محدودة بحدود أربعة . فحدها الشرق اليوم . من قلعة الجبل وأنت أخذ إلى باب القرافة ، فتمر من داخل السور الفاصل بين القرافة ومصر إلى كوم الجارح ، وتمر من كوم الجارح وتجعل كيان مصر كلها عن يمينك حتى تنتهى إلى الرصد حيث أول بركة الحبش . فهذا طول مصر من جهة المشرق . وكان يقال هذه الجهة عمل فوق . وحدها الغربى من قناطر السباع خارج القاهرة إلى موردة الخلفاء وتأخذ على شاطئ النيل إلى دير الطين . فهذا أيضا طولها من جهة المغرب . وحدها القليل من شاطئ النيل بدير الطين حيث ينتهى الحد الغربى إلى بركة الحبش تحت الرصد حيث انتهى الحد الشرقى . فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التى تسميها أهل مصر الجهة القبلية . وحدها البحرى من قناطر السباع حيث ابتداء الحد الغربى ، إلى قلعة الجبل حيث ابتداء الحد الشرقى . فهذا عرض مصر من جهة الشمال التى تعرف بمصر بالجهة البحرية . وما بين هذه الجهات الأربع يطلق عليه الآن مصر^(١) " .

ولقد حدد المقرئى المنطقة التى كانت لا تزال عامرة على أيامه حيث قال : " وهذه الجهة (يعنى الغربية) هى أعمر ما فى مصر الآن . وأما الجهة الشرقية فليس فيها شئ عامر إلا قلعة الجبل وخط المراغة المجاور لباب القرافة إلى مشهد السيدة نفيسة . ويجاور خط مشهد السيدة نفيسة من قبليه ، الفضاء الذى كان موضع الموقف والعسكر إلى كوم الجارح ، ثم خط كوم الجارح . وما بين كوم الجارح إلى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش تحت الرصد فإنه كيان^(٢) " .

ويجدر بنا أن نتبع حدود القسطنطينية التى ذكرها المقرئى بشئ يرضيها فنقول : قد وجدنا فى سائر المواقع التى حفرنا فيها على سبيل البحث حتى عين الصيرة ، بقايا مبان شبيهة من كل

(١) هذا الفصل فيه بعض تعديل أدخله المرحوم على نسخة من أرخته فعلاه كما هو من نسخة وقد حصر مثل ذلك فى مواضع أخرى من الكتاب .

(٢) المقرئى أول ص ٣٤٣ " (٣) المقرئى أول ص ٣٤٣

وجه بالمباني التي عثرنا عليها في وسط الفسطاط . ومن ذلك نستنتج : ان المدينة في أيام عمارها كانت تمتد الى حدود القرافة الحالية . بمعنى أن حدها الشرق كان فيها وراء الحد الذي عينه المقرري .

أما حدها القبلي . فكان ينتهي الى الرصد . وهذا الرصد وان كان لا يتأق اليوم تعيين موقعه بالدقة والضبط . لأن أرباب المحاجر نسفوا مكانه كما سيجي ، لكن يظهر انه كان قائما على ذروة الشرف المطل على بركة الحبش . قال المقرري : « هذا المكان عرف بالرصد من أجل ان الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجاني أقام فوقه كرة لرصد الكواكب ، فعرف من حينئذ بالرصد » .

هذه نقطة من نقط الحد القبلي . وقد مر بنا أنه في غضون القرن السابع الهجري (الثالث عشر المسيحي) . حدثت خطة جديدة جنوبي الفسطاط ، امتدت مبانيها حتى دير الطين على ساحل النيل . أما ما سامتها في الشرق . بين دير الطين والرصد ، فلم يكن معمورا . وهذه الخطة الجديدة ذكرها المقرري فقال : « وأما الجهة القبلية من مصر ، فان خط دير الطين حدثت العمارة فيه بعد سنة ستمائة . لما أنشأ صاحب نجر الدين محمد بن صاحب بهاء الدين على ابن حنا الجامع هناك ، وعمر الناس في جسر الأفرم ، وكان قبل ذلك آخر عمارة مدينة مصر ، دار الملك التي موضعها الآن بجوار المدرسة المعزية » .

وهذه نقطة ثانية من هذا الحد ، لأن المدرسة المذكورة عين مكانها مسيو كازانوفا فقال : انها واقعة في الجنوب الغربي من قصر الشمع ، شمالي باب القنطرة . ونحن نوافقه على هذا التحديد ، لمطابقته لما نعتقد من أن الحد القبلي للفسطاط ، كان ينتهي الى النيل في القرن السابع الهجري . يؤيد ذلك جميعه . اتجاه السور الذي أقامه السلطان صلاح الدين في سنة ٥٧٥ هـ

(١) المقرري أول من ١٢٥ و ١٢٧ هـ لما مرغوا من صب هذه الكرة وتركها بربوها . وجدوا الشرق الاول لبروز الشمس مبدوها ، فانفقوا على غلها الى السب الجيوش فوق القنطرة . راجع أيضا مذكره مكس فان رستم من « جامع الجيوش » طبع مصر سنة ١٨٨٨ هـ (٢) المقرري أول من ٢٩٧ هـ (٣) طبع جيزا في مخطط كازانوفا من ٦ كوكبي ٢

(١١٧٩ م) وكشف لنا عنه الحفر . فعثرنا على امتداده كله . عدا الجنوب منه الذي تحت المحاجر أثره الى أبد الدهر . فإن المتنبع هذا الاتجاه بحكم . ولا شك . بأن السور كان ينتهي الى النيل عند دار الملك .

أما حد مصر من جهة الغرب . فكان هو الساحل الأيمن للنيل . وهذا الحد كان ينتقل على شاطئ السين مع تنقل الجسر نحو الغرب .

بقى علينا من حدود مصر القسطنطينية . حدد الشمال . وأنا نستعين على تعيين مكانه . بتعيين مكان العسكر التي تأتيها من الشمال . قال المقرئ : ان حد العسكر من الجنوب هو كوم الجراح . وحدها من الشمال قناطر السباع . ومن الغرب قنطرة السد . ومن الشرق باب المجدم . فيكون حد مصر الشمال واقعا بين كوم الجراح وقنطرة السد . ومكانهما معروف .

هذا وفي الشمال من العسكر . قامت القطائع حول جامع ابن طولون . وهذه القطائع كانت تمتد غرب القلعة وتختصر في الحدود الآتية : من الشمال ، خط ينطبق عليه شارع الصليبية . ومن الغرب ، قناطر السباع أي نواحي المشهد الزينبي . ومن قبلها . العسكر . ويدخل في هذه الحدود : سوق جامع ابن طولون . والقيبات . والرميلة . الواقع كل ذلك تحت القلعة .

٥ - رسم تقريبي يبين مواقع القسطنطينية والعسكر والقطائع

من مقتضى البيانات المتقدمة . قد وضعنا الرسم التقريبي (شكل رقم ٢) . وهو رسم تخميني في غنى عن القول بأنه لا يطابق الحقيقة تمام المطابقة . إلا أن الغرض منه تقريب أوضاع المدن الثلاث السابقة على تأسيس القاهرة . ومنه يعلم . مع الوضوح التام . أن إمارة مصر الإسلامية كانت تنتقل من الجنوب الى الشمال . من مكان الى مكان يليه . كما هو الحال في الوقت الحاضر . إذ نرى المدينة تمتد خطتها الحديثة نحو الشمال .

(٢) الفردي أول ص ٣٠٥

(١) الفردي أول ص ٣٠٥ وثان ص ٢٦٥

٦ - فی خراب المدينة

فی الرسم التقریری السابق . عینا للمدينة النطاق الذي كانت تشغله فی أيام بلوغها أوج کالها عند تأسيس القاهرة . فی القرن الرابع الهجری (العاشر المسیحی) . وليس عندنا شك فی أن القسطنطین من هذا الوقت وقت تموتها . ثم أخذت تندهر . فان قيل وكم بلغ خرابها علی عهد المستنصر الذي حکم من سنة ٤٢٧ الى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٣٥ الى سنة ١٠٩٤ م) ؟ نقول ان غاية علمنا ان السكان هجروها فی ذلك العهد بكثرة . وان الخراب استولى شيئاً فشيئاً علی دورها . ومساكنها . حتی جاء حريق شاور .

وليس یخطر لنا علی بال . أن نحدد المنطقة المهجورة تماماً . ولكن يظهر من نصوص المؤرخین التي ذكرناها فیما سبق . أن مدينتي العسكر والقطائع كانتا فی أوائل القرن السادس الهجری یساراً خراباً . كما أن المناطق البعيدة عن وسط القسطنطین كانت خالية عن السكان ، بحيث كان منظر المدينة كلها وقتئذ عبارة عن صف من المبانی یمتد علی ساحل النيل .

وفي نحو سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) . أمر صلاح الدين ، بأقامة سور یصل القلعة بمجنوبي القسطنطین . وقد تبين لنا من الحفر . أن هذا السور كان یضم فی باطنه بعض دور متخربة ، كما مبينه عند ما یحدد العصر الذي ترجع اليه الأبنية التي کشفناها ، فانه جاء قاطعاً لسلسلة من الدور حفر خلالها خندق رمی فيه أساسه . ولم تكن القسطنطین وقتئذ تشغل الثلث المكون

(١) التقریری أول من ٣٠٤ و ٣٣٧ و ٣٦٤ و ٣٦٥ من ١٠٠٠ ح .

(٢) التقریری : أن صلاح الدين ابتدأ فی عمارة السور فی سنة ست وستين وحرمانه ، وهو يومئذ علی وزارة العاصم لدين الله ، ولما كانت سنة ٥٦٩ هـ وقد استولى علی الملكة انتدب لعمیل السور الطوائف بها ، الدين قراقوش الأسدي فیاء بالجارة ... (أول من ٣٧٩ من ٢٩) .

وقال فی ترجمة صلاح الدين ، انه . « تقدم القاهرة فی سادس عشر ربيع الأول سنة ٥٧٢ هـ فأمر ببناء سور یحيط بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل ، وأقام علی بانه بها ، الدين قراقوش الأسدي فشرع فی بناء قلعة الجبل وعلل السور وحفر الخندق حوله ... (ثان من ٣٣٣ من ٣٢) .

وعلى علی ذلك فان رسم مرجع التاريخ الآخر . وقال أن سنة ٥٩٦ تبين له الوقت الذي تمكن فيه صلاح الدين من مصر ، لأن الماریزی أتى بهذا التاريخ فی وجهه الاطلاق . (المریدة الأندلسية سنة ١٨٩١ من ٤٤٧ ملحوظ ولم ١) .

وقال كازانوف في الجريدة المذكورة . والمجلد السابع عشر من ٣٢٥ - ٣٢٩ . یحتمل أن صلاح الدين وضع مشروع بناء السور منذ سنة ٥٦٩ هـ ولم یشرع فی تنجده إلا فی سنة ٥٧٣ هـ وقد استمر العمل حتی وفاته ولم یز .

من خط السور والنيل . وهو المثلث الذي تكوّن القلعة رأسه في الشمال الشرق . ودار الملك رأسه الثانية في الجنوب ، وفوهة الخليج رأسه الثالثة في الشمال الغربي . لأن الخراب لم يكن قاصرا على ما كان ظاهر السور ، بل كان يمتد في باطنه أيضا . ولذا كان السور مستقيما ، بمعنى أنه لم يراع في حفر أساسه سميت الخطط التي كانت لا تزال عامرة وقتها .

وقد مرّ بك فيما سبق . أنه في حوالي سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) . أنشئت في المنطقة بين دار الملك ودير الطين : أعنى خارج سور صلاح الدين على حافة النيل . خطة أغلب مبانيها من المناظر والحدائق الفاخرة . وأنه للحصول على مواد البناء اللازمة . نهبت الدور المهجورة من القسطنطينية . بقاء بعض العامة وأقام له مساكن فوق تلك الدور المهجورة متنعها بما أمكنه الانخفاض به من أسسها وجدرانها . ولكن هذه المساكن كانت منعزلة عن بعضها البعض ، فلم يندأ عنها خطة كاملة ، كما أثبتته القلقشندي . ومن ثم يمكن الجزم بأن خراب المدينة لم يعمر من جديد .

أما المدينة التي أتى على وصفها في القرن الثامن الهجري (الخامس عشر للمسيح) ، كل من ابن دقاق والمقريزي ، فإنما هو الجانب الغربي من القسطنطينية . على أن حدود الخراب لم تكد لتغير في القرن الثامن الهجري ، عما كانت عليه في أواخر القرن الخامس . ومن مجموع النصوص المضبوطة المتعلقة بالخطط التي أوردتها مؤرخو العرب ، يمكن الوقوف على امتداد منطقة الخراب ، وامتداد نطاق المدينة المعمورة في ذلك العهد . ويمكن للوقوف على حدودها ، وضع النصوص الآتية بعضها بجانب بعض وتطبيقها على الطبيعة :

(أ) خراب المدينة : يشمل كوم الشقاف . وكوم الجارح ... وكوم الجارح ، وخطة باب الصفا ، وخطة أبي السعود . كل ذلك خراب .

(ب) كوم دينار : يسكنه بعض العامة من الناس وهو مجاور لكوم المشايخ ، وواقع في الخراب .^(١)

(١) القلقشندي ثالث ص ٣٢٨ (٢) ابن دقاق رابع ص ٥٣ (٣) ابن دقاق رابع ص ٥٣

(ج) رحبة دار الولاية . قبا بين حبس بنانة وسوق الغزل في الخراب^(١) .

(د) درب المصاصة : خراب ، وهو مجاور لخط قصر الشمع وزقاق ابن بكر وهو من أزقة درب المنصوعة . ويتوصل اليه من الدرب الحديد من نجيب ، ومن درب الكرمة ، ومن درب أبي بكر بسويقة اليهود بالمصاصة ، وهذه الأماكن كلها اليوم خراب^(٢) .

وموقع الكيمان في هذه النصوص . معروف محدود . ورحبة دار الولاية ، محلها قبا بين جامع عمرو وقصر الشمع . أما خط المصاصة فكان يمتد على ما أبانته مسير كازانوفا في شرق نجيب المعلوم موقعها^(٣) .

وبناء على ما تقدم . يكون حد الخراب من المعمور على أيام ابن دقاق ، هو خط مواز للنيل تقريبا مار شرق جامع عمرو وقصر الشمع . ومن ثم يمكن الجزم بأن المنطقة التي كشفناها واقعة كلها في خراب المدينة .

٧ - في جزيرة الروضة

كانت جزيرة الروضة^(٤) ، من ملحقات الفسطاط الطبيعية . وعند فنوح مصر التجأ اليها الروم في خروجهم من بابلين . وكان بها بساتين . وحدائق جميلة . ولها في جميع جهاتها أسوار منيعة . وبعد أن حاصرها عمرو طويلا . وهرب الروم منها . دك عمرو أسوارها وبقيت خرابا حتى جاء ابن طولون ، وحصلها من جديد في سنة ٥٢٦٣ (٨٧٦ م) . واتخذ فيها القصور لفسانه . ثم طغى عليها الماء فدمر تلك الدور والقصور شيئا فشيئا^(٥) . وجاء محمد بن طغج الاخشيدي وبني فيها في سنة ٥٣٢١ (٩٣٢ م) دارا له . ذات بساتين . واتخذ فيها دارا للنوبة ودارا للغلمان^(٦) .

(١) ابن دقاق رابع ص ٣٠ (٢) ابن دقاق رابع ص ١٤ ورد النص الآتي به رابع ص ١٦ "زقاق الزمامرة نجيب" ناخذ الى المصاصة وقد ساء من أوله لجهة نجيب لاستيلاء الخراب . (٣) طيورغرافيا الفسطاط لكازانوفا ص ١٢ كوك ٦ (٤) هذه الجزيرة على قول كازانوفا . تكن موحدة في زمن القراخنة وكان موضعها فقط جزءا من الشاطئ الأيسر لفيصل (راجع كازانوفا ومقدمة طيورغرافيا الفسطاط ص ٢٥ المخطط الثاني) . (٥) المقرئ ثامن ص ١٨٠ (٦) المقرئ ثامن ص ١٨١

وعلى أيام الفاطميين، أصبحت جزيرة الروضة من المتنزهات، وأنشئت فيها المناظر الكثيرة .
أما في أيام السلاطين من بني أيوب، فقد دخلت الجزيرة بما حوتها، في ملك ابن أخ صلاح الدين
ثم استأجرها الملك الصالح أيوب لمدة ستين سنة . وبني فيها قلعة وكل حراستها إلى المالِك من
جندته وأطلق عليهم اسم البحريَّة . وعلى عهد أوَّل الملوك البحرية . وهو المعز أيُّب، هجرت
الروضة وهدم السلطان قلاوون مبانيها ليستعملها في المارستان المنصوري . وكذلك ابنه الناصر،
انتفع بما بقي من مواد بنائها .

الحسran الموصولان بين الروضة وساحل النيل :

يظهر أن الروضة . كانت متصلة قبل الفتح الاسلامي بساحل النيل بجسرين من المراكب .
وقد أورد المقرئى ، عن خروج المقوقس من بابليون . روايات مختلفة . فقال في الرواية
الأولى : « لما رأى القوم (القبط) الجند من المسلمين على فتح الحصن والحرص . ورأوا صبرهم
على القتال ورغبتهم فيه . خافوا أن يظهروا عليهم ، فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط ،
ونخرجوا من باب الحصن القبلي ، ودونهم جماعة يقاتلون العرب ، فلاحقوا بالجزيرة موضع الصناعة
اليوم وأمروا بقطع الحسran . وذلك في جري النيل^(١) . وفي الرواية الثانية أغفل ذكر الحسran ،
فقال : « وكان هذا الحصن مطلا على النيل . وتقبل السفن إلى بابه الغربى الذى كان يعرف
بباب الحديد . ومنه ركب المقوقس في السفن في النيل . من بابه الغربى قبالة مصر » .

وفي الرواية الثالثة . عند الكلام على شروط الصلح بين المقوقس وعمرو بن العاص ،
قال : « أجاب الثانى الأول الى ما طلب على أن يضمنا (القبط) له الحسran جميعا » . وهذان
الحسran، كما هو المفروض . كانا يصلان الروضة بالساحلين .

(١) ابن دقاق رابع ص ١٠٩ و ١١٠ . وفي أوائل القرن التاسع عشر الميلادي كانت هناك بقايا من الأبنية المهمة لا تزال قائمة (راجع كتاب وصف
مصر، ج ٤ لوحة ٥٣ والجلد الثانى (المتن) قسم ثامن ص ١٥٩ وما بعدها . (٢) سيأتى فيما بعد بيان الخواص التى أقيمت فيها دار الصناعة . وقد ذكر
المقرئى هنا أحد الروايات ولم يأت بالاسم ولا التاريخ . (٣) المقرئى ج ٢ ص ١٧٨ . (٤) المقرئى أول ص ٢٨٦ . (٥) لم يكن موجودا
في القرن الحادى عشر الميلادى غير جسر واحد مكون من ٣٦ مركبا بين الروضة ومصر (ناصر خسرو "سفرنامه" ص ١٥٢) . وورد في هذا الكتاب النص
الآتى : "ومن المدينة قسم على الشاطئ المقابل من النهر (البحيرة) ولا جسر هناك والعبور بالسفن أو القوارب" .

٨ - دار الصناعة

كان لبناء المراكب عدة دور ينشأ فيها الأسطول . يسمونها دار الصناعة . فأول دار للصناعة أنشئت كان مقرها الروضة . قال الكندي : أنها أنشئت سنة ٥٤ للهجرة (٦٧٣ م) وكانت تنى فيها السفن حتى أيام ابن طولون . وهذه أحرقت في سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) أحرقتها أسطول محمد بن طغج الاخشيد . ولما رأى في وجودها على شاطئ الروضة خطراً على القسطاط . نقاهها إليها في سنة ٣٢٥ هـ . وبني في مكانها داراً أحاطت بها البساتين الفيحاء . ولكن يظن أن دار صناعة الروضة بقيت ، أو بقي بعضها ، يبنى بها الأسطول . لأن المؤرخين اتفقوا على القول ، بأنه كان هناك داران للصناعة على عهد الفاطميين : أحدهما في الروضة ، والأخرى في القسطاط . وهذا الظن يؤيده التاريخ ، لأن الظاهر يبصر أنشأ في الروضة أسطولاً كاملاً ليعوض به ما دمره له فرسان القديس يوحنا المقيمون في القدس في محاربتهم إياهم عند جزيرة قبرس^(١) ، وابنى الخليفة المعز لدين الله الفاطمي . دار صناعة في المقس^(٢) . بحيث أصبح حينئذ عدد الدور التي تنشأ فيها المراكب ثلاثة . ولا شك في أن دار صناعة القسطاط منذ انشائها في سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٦ م) . كانت أكبر الثلاثة وأكثرها انشاء . وقد ترك لنا المقرئ نصاً حدد فيه مكانها حيث يقول : «ان البستان الذي قام على أرض دار الصناعة ، هو بستان الطواشي . وهو في أول مراغة مصر حذاء غبط الجرف على يسار الذهاب من المراغة الى باب مصر»^(٣) . وفي هذا الوصف كفاية لتحديد موقع دار الصناعة في المنطقة الواقعة قبل مجرى العيون .

٩ - في مينا القسطاط

لم يمض زمن طويل على تأسيس القسطاط ، حتى غدت ميناء عظيمة على النيل ، بل أعظم ميناء في مصر كلها . استمرت فيها حركة الوارد والصادر حتى في الأيام التي زاحتها القاهرة ، فأربت عليها . وفي أواخر أيام بني أيوب زارها ابن سعيد المغربي ، فأندهش من حركتها حيث

(١) المقرئ قال ص ١٧٨ (٢) المقرئ قال ص ١٨١ (٣) المقرئ أول ص ١٨٢ (٤) ابن دقاق رابع ص ١١٠
(٥) المقرئ أول ص ١٨٢ و ١٨٣ (٦) المقرئ أول ص ١٨٢

يقول : « ثم انفصلنا من هنالك (يعنى عن القسقاط) الى ساحل النيل ، قرأيت ساحلا كدر التربة غير نظيف . ولا متسع الساحة ، ولا مستقيم الاستقامة . ولا عليه سور أبيض . إلا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الأرزاق التي تصل من جميع أقطار الأرض والنيل . ولئن قلت : انى لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل . فاني أقول حقا . والنيل هنالك ضيق ، لكون الجزيرة التي بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قننته ، قد توسطت الماء ومالت الى جهة القسقاط . ويحسن سورها المبيض الشاى . حسن منظر الفرجة في ذلك الساحل ... ، الى أن قال : وأما ما يرد على القسقاط من متاجر البحر الاسكندراني ، والبحر الحجازي . فانه فوق ما يوصف . وبها يجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها تجهز الى القاهرة وسائر البلاد ... »^(١)

وغنى عن البيان . ان الجزيرة التي ذكرها ابن سعيد في الجملة الأولى ، انما يقصد بها جزيرة الروضة التي اتخذها السلطان الصالح أيوب قلعة لجيوشه من الممالك البحرية كما مر . ومن عبارات المؤرخين يعلم أن المراكب كانت ترسو في الميناء في أماكن معينة لها حسب شمتها . فمثلا : المراكب المشحونة بالحبوب^(٢) كانت ترسو في موردة الخلفاء من الساحل . وفي ناحية أخرى منه ، كانت ترسو المراكب المشحونة بالأخشاب^(٣) المخصصة لبناء المراكب أو لأشغال التجارة . وفي أخرى منه كانت موردة السمك التي كانوا يطلقون عليها من باب التغليب اسم ساحل البورى^(٤) ، وهو نوع خاص من السمك .

١٠ - في القرافة

ان أول قرافة للمسلمين . كانت تمتد فيما بين مصلى خولان الى المعافر . وخصص في جنوب هذه القرافة جهة لدفن موتى الأقباط^(٥) .

ولقد كان الخلفاء الفاطميون ، يدفنون موتاهم في تربة الزعفران من القصر الكبير . أما الرعية فكانت تقبر في قرافة مصر . واذ كانت مدينة مصر انحطت منزلتها حينئذ ، امتدت حدود

(١) المقرئى أول ص ٣٥٢ (٢) المقرئى أول ص ٣٤٥ (٣) المقرئى أول ص ٣٣٣ (٤) المقرئى أول ص ٣١١

(٥) المقرئى ثان ص ٤٤٣ و ٤٤٤

القرافة حتى عدت على ما خلا من ساكنيه من خطة المعافر . وعلى الخصوص من خطة
بنى قرافة ، التي هي فرع من الأول . ومن هنا أطلق اسم القرافة على المدافن بتلك الجهة
أولاً ، ثم عم سائر المدافن . وفي أيام سلاطين بنى أيوب . أنشئت حول تربة الامام الشافعي ،
جملة قبور أطلق على مجموعها اسم القرافة الصغرى . وقل الدفن في القرافة الكبرى ، الى أن
عاد اليها على أيام الناصر بن قلاوون .

وبعد سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) . أخذوا يقبرون الموتى تحت المقطم . فيما يلي قلعة الجبل .
وبعد انتشرت القرافات في شرق القاهرة وشمالها .

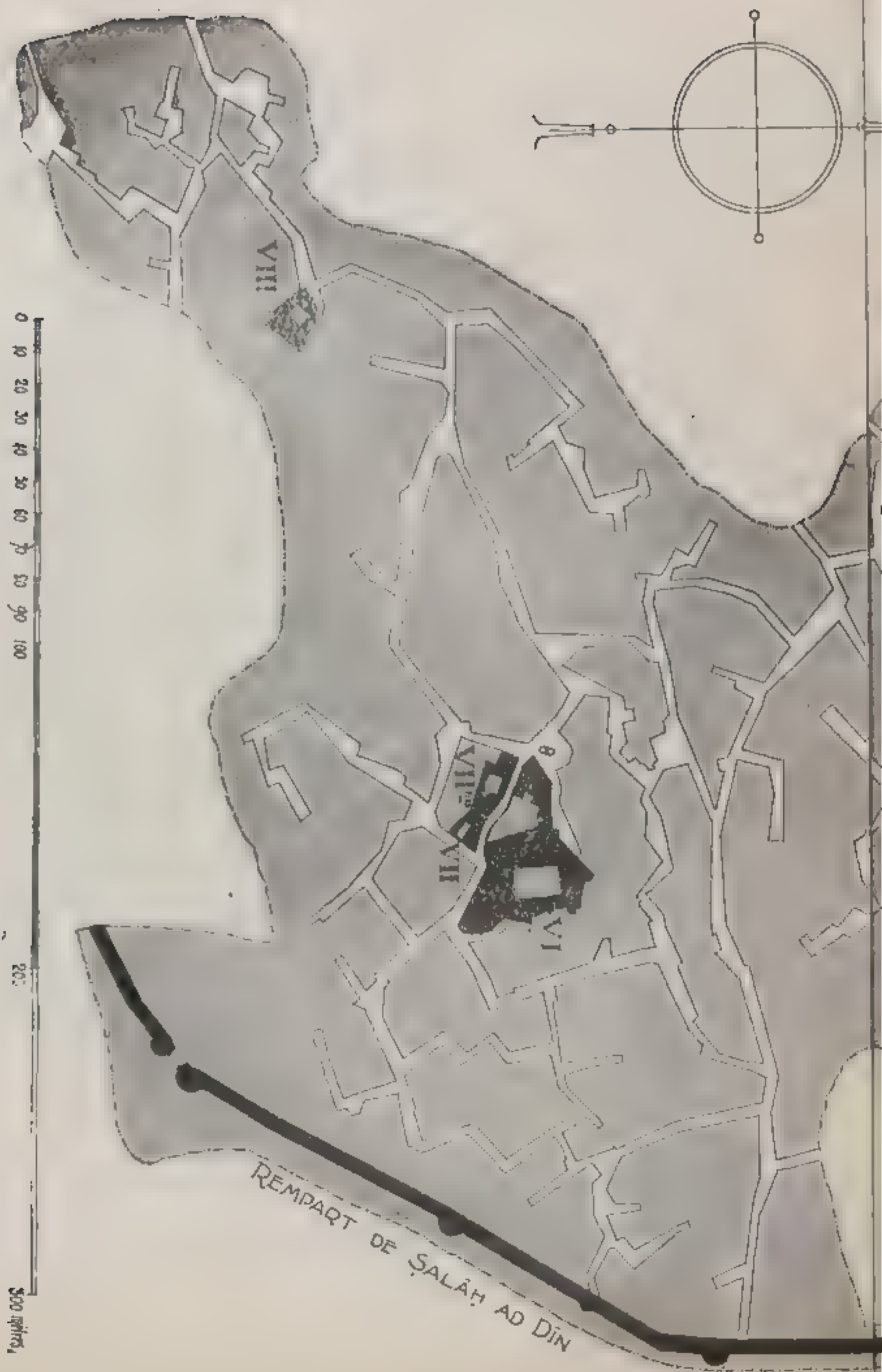
خندق القرافة — ويجدر بنا قبل أن نختم الكلام على القرافة ، أن نذكر الخندق الذي حفر
حولها في القرن الأول للهجرة . ذلك ، أن عامل ابن الزبير على مصر لما خشي أن يأخذه
مروان على غرة في عاصمة ولايته أمر في سنة ٦٥ للهجرة . لحفر على الفسطاط خندق .
وكان هذا الخندق ، يبتدى من المكان الذي دفن فيه فيما بعد الامام الشافعي ويخترق أرض
القرافة الى بركة الحبش . وفي سنة ٢٠٠ هـ (٨١٥ م) كان هذا الخندق قد انطم . فأعيد
حفره عند وقوع الشقاق بين الأمين والمأمون ولدى الرشيد . وقد ذكر ابن زولاق : أن هذا
الخندق جدد حفره على يد جوهر القائد سنة ٣٦٠ هـ (٩٧٠ م) خشية من القرامطة الذين
كانوا يكثرون الغارة على مصر^(١) .

(١) الفريرى ثان ص ١١٢ و ١١٤ (٢) الفريرى أول ص ٣٦٥ وثان ص ١١٤ (٣) الفريرى ثان ص ١٤٨ و ١٤٩

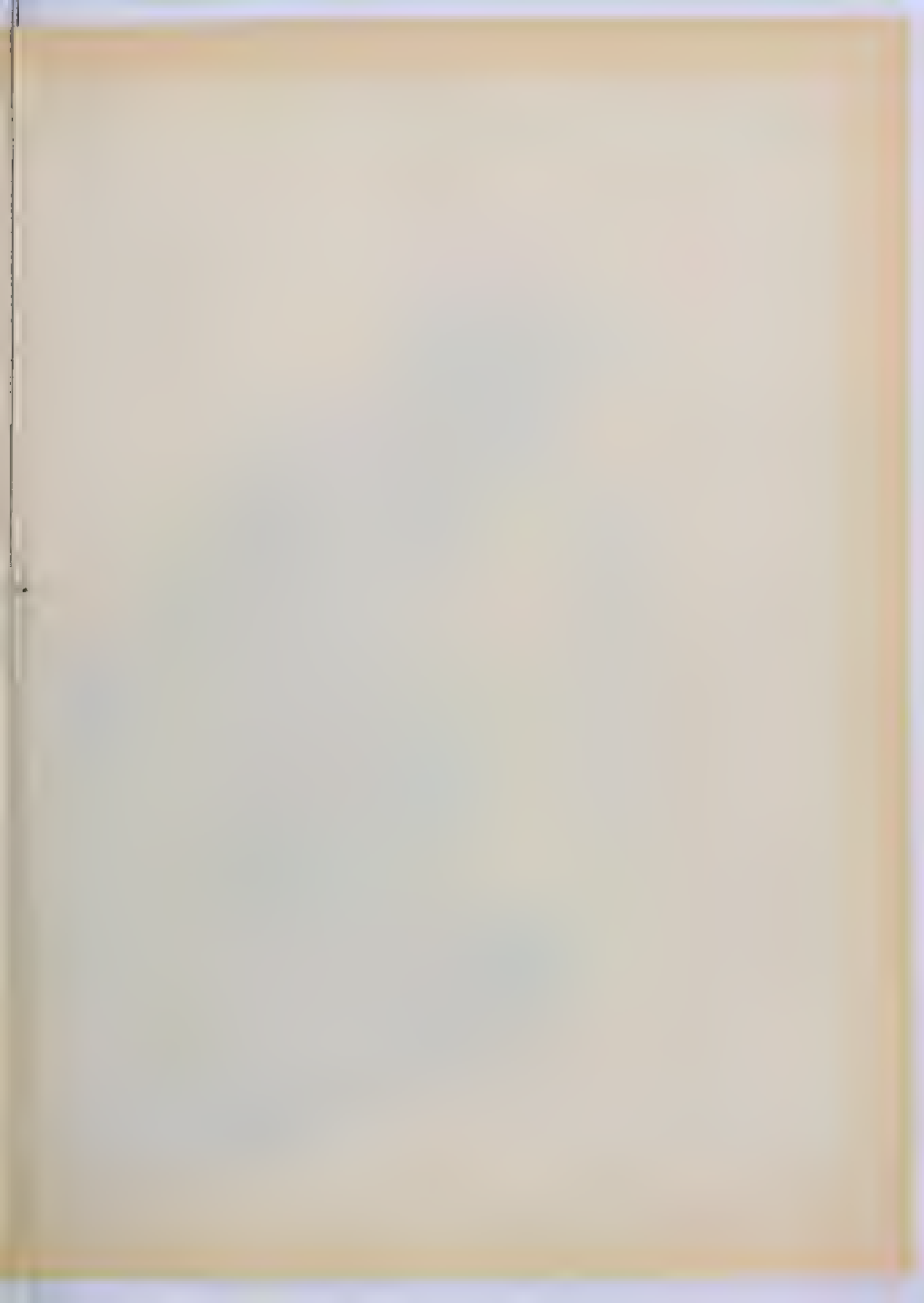




L. C. 1910 -
April



شكل ٢ - الخريطة المرسومة لموقع الحفر



الباب الثالث

الخريطة العمومية للفسطاط وهيئتها

١ - مميزات عملية التنقيب على الآثار في الفسطاط

أشرنا فيما سلف الى المحن التي تزلت باطلال الفسطاط حتى أيامنا هذه، وصرحنا بأن جمع مواد البناء منها وخصوصا الآجر قد أزال بقايا الأبنية القديمة من بعض جهاتها ومحي جدرانها الى الصخر . نقول بعض الجهات . لأن تخريب الأبنية التي كانت باقية لم يحصل على السواء، فيينا نرى دارا من دارين متلاصقتين بقيت جدرانها قائمة على ارتفاع متر ومترين فأكثر، نرى الدار الأخرى محيت جدرانها الى الصخر بحيث لا نجد ملصقا به إلا بعض قطع من الآجر أو أثر المونة فقط . وقلنا، ان زوال الجدران الى هذا الحد سببه الترخيص للجامعي الآجر باقتلاع الجدران من أساسها . وقلنا أيضا، ان الترخيص باستخراج الحجر من وسط المدينة البائدة بفتح المحاجر في قلبها، قد أدى الى نتيجة لم تكن في الحسبان : ذلك . لأن هذا الترخيص اقتضى ضرورة المحافظة على الطريق المؤدى الى المحاجر، والمحافظة عليه أدت الى حفظ المباني القائمة تحته . فكان ما كشفناه من الدور على طول هذا الطريق أهم من غيره حفظا .

وهناك بيان الطريقة التي اتبعناها في كشف الأبنية : كما نتأخر على العمل حفرا كان أو ردما حتى نبلغ مستوى أرض تلك المباني والحواري، ومتى وصل الحفر الى هذا المستوى ووجدنا علامات ثابتة بكلاط الدور أو عتب أبوابها، توقف العمل حتى يكشف البناء الكشف النهائي

(١) من المحتمل جدا أن بعض البيوت هدمت من أطلالها بعد انهيار المدينة زمن قريب . وكاد ذلك على حال قبل أن تتكون الكهفان .

بالطريقة الفنية . أما اذا تعمّر الحصول على شيء من بقايا جدران الأساس ، فقد كنا ننزل بالحفر الى الصخر . هذا ، ولم يؤد بنا الحفر في كثير من المواقع إلا الى الأسس المتخذة من الحجر أو الآجر^(١) . وفي بعضها لم يكن ليقع نظرنا فوق الصخر كما قلنا ، إلا على بقايا قطع من البناء لا يفهم الغرض منها . وفي البعض الآخر ، كان لا يقع على شيء أصلا سوى المجارير والآبار المنقورة في الصخر التي هي من الأدلة على وجود الأبنية القديمة . ومما سبق يتبين أن سائر المواقع التي كشفت ليست في درجة واحدة من حفظ مبانيها ولا فائدتها الأثرية . وهذا هو السبب في عدم وضوح تخطيط الطرقات في بعض المواقع ، كما هي واضحة جلية في تخطيط مدينتي بومبي وديلوس .

٢ - خريطة الفسطاط العمومية (شكل ٢) .

(١) الشوارع والدروب

اتبعنا في رسم شبكة الشوارع والدروب الطريقة الآتية :

لما كان كثير من الجدران لا يزال قائما وكانت جدران الدور الخارجية واقعة على حافة الحواري والدروب ، فقد كانت لنا من هذه الجدران معالم يهتدى بها في التعديد . أما في المواقع التي أزيلت منها الجدران ، فقد لاحظنا أن الآبار التي تصب فيها قصبات المراحيض وتتصل بها مجارى تصافى المياه المنزلية كلها إلا النادر ، قائمة على حافة الدروب . واذ كانت هذه المجارير كثيرة العدد وباقية على أصلها لأنها منقورة في الصخر ، فقد أضحت لدينا معالم ثابتة لم يكن علينا إلا أن نوصلها ببعضها البعض للحصول على مجموع شبكة الشوارع والدروب ، ولا يبقى لدينا مما يشك فيه من الخطوط إلا القليل الذي لا يغير شيئا في هيئة الرسم العمومي .

(١) يشاهد مثلا في الوحدة ١٥ تحت رقم ١ ، بقايا أساس من الحجر . وقد اندثر الجدار وكان من الآجر ولم يبق منه إلا بعض قطع متفرقة . ويشاهد في الوحدة ١٦ تحت رقم ٤ و ٥ ، قطع من أساس من الآجر . ومن نفس الرسوم المنية بها حالة الدور الآن يتضح أننا في أعادتها في الرسم إلحاحنا الأولى ، كان اعتمادنا على بقايا الأساس . (٢) راسع الموصفين الحادية عشر والثانية عشر الموصفين عن الدارين الثالثة والسادسة اثنين نكلا عليها في الباب الرابع . (٣) رابع الوحدة الثالثة عشر . وهي مواقع يتعد فيها بالمرّة محاولة تخطيطها على ما كانت عليه .

(ب) هيئة الدروب وخصوصياتها

لم تتبع في رسم الشوارع والدروب طريقة يشترك فيها الجميع . بل هي عبارة عن تيه من الطرقات المختلفة الاتساع والامتداد ، فأكبرها لا يزيد عرضه عن ستة أمتار . وأضيقها لا يتجاوز مترا ونصف متر . وبجميع الدور التي تحيط بها تلك الدروب تختلف في المساحة عن بعضها البعض . وفي بعض الأحيان نرى المتسع منها منقسما بخوخة أو عدة خوخات .

ولما كانت المنطقة التي كشفناها نحرا ، وقت أن كتب ابن دقاق والمقريزي كتابهما في خطط الفسطاط ، كما سبق . لذلك لا يتأتى البحث في تقريب الدروب والحواري التي كشفت مما ذكر في كتابي هذين المؤلفين . ولذلك أيضا . أدى التقريب الذي عمله مسيو كازانوفا وبرهن به على قوة الصبر على العمل ، الى نتيجة لا تنطبق على الواقع في بعض المواقع .

وقد كان يطلق على الطرقات في الفسطاط ، بنسبة عرضها واتساعها ، إما اسم شارع أو حارة أو درب أو زقاق . وكانت الأسواق بمعزل عن بعضها البعض . ويطلق عليها اسم أرباب الحرفة والصناعة التي تباع فيها مصنوعاتهم ، فيقال مثلا : سوق العطارين ، وسوق السباكين ، وسوق القشاشين ، وسوق الغرابيين . كما هو الحال اليوم في الشرق كله .

وكانت الخطط تنسب الى صناعة من الصنائع . أو تجارة من التجارات . وقد تنسب لبعض الجوامع أو الكنائس . وليس غريبا أن تكون طريقة التسمية هذه باقية من العصور القديمة ، فيصح تطبيقها على المنطقة التي نحن بصدد الكتابة في موضوعها^(١) . ومن ثم يلتمس لنا العذر اذا نحن لم نتمكن من العثور على اسم بعض الشوارع أو الخطط المكشوفة ، خصوصا اذا روعي

(١) الجهات التي تكلم عنها ابن دقاق والمقريزي من المدينة تختلف عن المواقع التي جرى فيها الحفر ، لأنها في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) كان قد مضى عليها زمن طويل وهي مردومة تحت الكيام . ولا يخفى أن ابن دقاق والمقريزي كانا يفتلان عن تيهها من كان قبلهما معاصرا لهما الذي كانت فيه الفسطاط زاهبا زاهرا . ولما كانت العادة والنقل بالواتر لها في الشرق الأثر الذي نعلمه من قوة الريحان ، فإن ذلك يكفي لأن يبرر استنباطنا لابن دقاق والمقريزي .

عدم النصوص الدقيقة في المؤلفات التي كتبت في الخطط والآثار . ولذلك لا يسعنا القول بأن هذا الدروب كان به قبو أو سقيفة إلا بالتقريب على سبيل التخمين .

أما الدروب المسدودة - التي عندنا منها أمثلة كثيرة - فيظهر أنه لم يكن لها أسماء خاصة ، وابن دقاق يسميها زقاق غير نافذ .

(ج) أبواب الدروب

كانت القاعدة المتبعة في الشرق - منع السير في الطرقات ليلاً بواسطة إغلاق أبواب الدروب ، إلى أن كانت سنة ١٦٢ هـ (٧٧٨ م) ، رأى الأمير يحيى بن داود - عامل مصر - أن يبطلها من القسطاط . ويظهر لنا أن عتبة الباب التي كشفناها غربي الدار تمرة ٣ من قبيل عتبات الأبواب التي كانت تغلق في ذلك العهد (راجع شكل ١٤) . وكانت لهذا الباب مصراعان بدليل بقاء سكرجتيه على أصلهما متحورتين في الحجر .

(د) الرحاب

يرى المتأمل في الرسم الذي وضعناه للقسطاط . رحاباً صغيرة ، تقع أحياناً عند تلاقي بعض الشوارع . وهي عبارة عن اتساع ملتقيات بعض الدروب . لارحاب حقيقية . والرحاب التي ذكرها ابن دقاق لم تكن على ما يظهر أوسع ولا أفسح .

- (١) ذكرنا ابن دقاق كثيراً : وكان لبعض بحر الجارى والفساق ومحال الحمامات (ابن دقاق رابع ص ٤٤) .
- (٢) كانت السقائف يقام عليها أيضاً بعض الأبنية الصغيرة . من ذلك سقيفة الزوايا كان بنوها مسجد كبير له سكن حسن (ابن دقاق رابع ص ٤٦) . وكانت هناك سقائف حاملة لحدائق . من الدروب الشراي (ابن دقاق رابع ص ٤٦) . ودار ابن العمان السناء (ابن دقاق رابع ص ٥٠) ، وأخرى مثل مسجد محمد الدين والمؤبر وخجاجة (ابن دقاق رابع ص ٤٦) . وكان البعض على هيئة أروقة على الشارع . ومن ذلك : سقيفة الرمح القادى ، وكانت ساباطاً مستطيلة بطول الرمح المذكور من بحرية إلى شربه . منحوتة على سور الرمح المذكور . وهي على عهد صوان نقاشه (ابن دقاق رابع ص ٥٠) . ومن هذا القبيل قول ناصر حمود : إن بعض الأسواق والشوارع تضاء بالقناديل - لأنها مسقوفة لا يصل إليها النور . ويرى الناس في (ناصر حمود - مسفراته - طبع شهر ص ١٤٧) .
- (٣) ابن دقاق ج ٤ ص ٤٧ ، يطلق على ذلك عتبة . عتبة (ابن دقاق قبله) . والظاهر أن بعض الدروب المسدودة كان مسقوفة ، كسقيفة الكباد . وكان أسفلها كباد عليه أقواس يجرى بها الرمي ويصدره أرواح يرمى به ونحوه . داوود كانت قدما الخوف من المهدوى (ابن دقاق رابع ص ٤٦) .
- (٤) كان ابن داود من أشد الناس ، وأضيقهم عليه . وأضيقهم على الدم . وأكثرهم عقوقاً ، قبح من نلق الدروب والحوائث (المقريزى أزل ص ٣٠٧) .
- (٥) ابن دقاق رابع ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ وما كان أوسع وأفسح من ذلك يسمى "ميدان" .

(هـ) طبقة أرض الفسطاط

بنيت المدينة على كتلة عظيمة من الصخر تشمل هضابا. ووهادا. وتبع الشوارع والدروب على العموم اختلاف وجه الأرض القائمة عليها. وفي غالب الأحيان ترى بين أرحبة الشارع والصخر طبقة غير كثيفة من الرمل. وفي بعض المواقع يرى الصخر ظاهرا مكونا لأرض الشارع. ولقد أشار إلى هذه الميزة، السائح العجمي ناصر خسرو، حيث يقول: بنيت مدينة مصر خشية طغيان الماء عليها فوق هضبة من صخور كبيرة. وسببها. ولما خططت الشوارع والدروب ومهدت أرضها كسرت تلك الصخور، فنشأ عن كسرها عقبات^(١) أه.

نقول: وهذه العقبات قد أبان لنا الحفر في أطلال الفسطاط عن كثير منها. ويظهر أن أرض الدروب وغيرها من الطرقات لم تكن مبلطة، فانا لم نعث مطلقا في أى موقع من مواقع المدينة المكشوفة على أثر للبلاط أو أن الأرض مفروشة بمادة أخرى.

(و) الآبار السائلة

ذكر ابن دقاق بعض الآبار السائلة^(٢)، وقال: ان بعضها قائم في وسط الطريق^(٣). وقد كشف الحفر يثرا من هذا القبيل، واقعة في وسط رحبة صغيرة. وسيجيء لنا، أن هذه البئر كانت تمتد بمائها حوضا في إحدى الدور القريبة منها، يجمعها بها عقد^(٤). وهى أول بئر عثرنا عليها من هذا القبيل. وليس ذلك بالغريب لأن البيوت التى تحوى الآبار كثيرة العدد^(٥).

٣ - منظر بقايا المدينة

كل من زار أطلال الفسطاط التى كشفها الحفر. يشق عليه، أن يتصور أن هذه الكتل من الأجر القديمة الشكل، قائمة في مكان عاصمة كان لها شأن عظيم، وان هذه الدروب والحوارى الضيقة التى ترى على جانبيها قطع من بقايا الجدران، ازدحمت في غابر الأزمان بالمارة

(١) ناصر خسرو سفرنامه طبع شبفر ص ١٤٦ (٢) ابن دقاق رابع ص ٣٦ و ٤٧ (٣) ابن دقاق رابع ص ٤٨

(٤) راجع الدار السادسة في الباب الرابع. (٥) من العلوم أن المياه التى في باطن الأرض تزيد طوعها كلما ابتعدت عن النهر. ولذلك

كان يؤتى للشرب بالماء من النيل ويزرعها السقاؤون في أنحاء المدينة بالقرب (ناصر خسرو - سفرنامه - طبع شبفر ص ١٥٢).

من الناس، من كل الأجناس. وإن هذه البقاع الخالية كان يسمع فيها لغط أكبر الأسواق المصرية المشحونة بالبضائع. مع أن المؤلفات التاريخية تقدم لنا في هذا الباب نصوصاً وطبقاًها على هذه البقايا التي انكشف عنها الحفر، لمساعدت على تصور الحال التي كان عليها الفسطاط قديماً. وأنا أورد هذه النصوص مبتدئين بما ذكره ابن حوقل - الذي ساج في مصر في القرن الرابع الهجري سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) - حيث يقول: والفسطاط مدينة حنة ينقسم النيل لديها وهي كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو فرسخ. على غاية العماراة والطيبة واللذة. ذات رحاب في محالها وأسواق عظام فيها ومتاجر نغام ولها ظاهر أنيق وبساتين نضرة ومترهات على ممر الأيام خضرة.

ولما قدم ناصر خسرو مصر سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٦ م) كانت الفسطاط لا تزال في غاية العماراة، فإنه وصفها بقوله: "حينما يرى الإنسان من بعيد مصر الفسطاط، يظن أنها جبل، فيها دور من أربع عشرة طبقة. وأخرى من سبع طبقات. وقد سمعت من ثقة: أن بعض الناس كان له بستان على سطح دار له من سبع طبقات، فأصعد إلى هذا السطح بحمل صغير. وغذاه حتى غدا ثوراً. وركب في السطح ساقية يديرها الثور، فصعد الماء إلى السطح الذي غرس فيه شجر البرتقان. من الحلوى والمالح. والموز. وأشجاراً أخرى مثمرة، وزرع فيه الأزهار، والرياحين من سائر الأنواع". ولكن ما بلغت النظر من وصف هذا السطح الفارسي. إنما هو كثرة الثروة في الأسواق، والازدحام فيها وجمال الأعياد التي حضرها. حيث يقول: "لو وصفت هذه الأعياد لما وسع كثير من الناس أن يصدق كلامي، ويرموني بالمبالغة والاعراق، فإن حوانيت القصارين والصياغ والحوانيت الأخرى، مفعمة بالذهب، والحلى، والبضائع، والأقشة من الحرير والقصب، لدرجة لا يجد فيها المشتري محلاً يجلس فيه". وختم هذا الوصف، بقوله: "رأيت بمصر ثروة جسيمة. وأموالاً جمّة، لو هممت بوصفها، لما صدق أحد من سكان بلاد العجم كلامي".

(٢) ناصر خسرو مع شيعته، ص ١٢٦ و ١٢٧

(٣) ابن حوقل ص ٩٦

(٤) ناصر خسرو مع شيعته، ص ١٢٦ و ١٢٧

ومع ذلك. لم تكن هذه المدينة التجارية تصلح للسكنى . فان ابن رضوان المصرى الطيب الذى كان طبيب الخليفة الحاكم بأمر الله فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر المسيحى) . قابل بينها وبين القاهرة من حيث الصحة والنظافة فقال : " وأزقة الفسطاط وشوارعها ضيقة . وأبنيتها عالية ... ومن شأن أهل الفسطاط . أن يرموا ما يموت فى دورهم من السائير والكلاب ونحوها . من الحيوان الذى يخالط الناس فى شوارعهم وأزقتهم . فتعفن وتخالط عفوتها الهواء . ومن شأنهم أيضا . أن يرموا فى النيل الذى يشربون منه فضول حيواناتهم . وجيفها . وحرارات كنفهم . تصب فيه . وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء . وفى خلال الفسطاط . مستودعات عظيمة يصعد منها فى الهواء دخان مفرط . وهى أيضا كثيرة الغبار لسخانة أرضها . حتى انك ترى الهواء فى أيام الصيف كدرا يأخذ بالنفس . وينسخ الثوب النظيف فى اليوم الواحد . واذا مر الانسان فى حاجة لم يرجع إلا وقد اجتمع فى وجهه ولحيته غبار كثير . ويعلوها فى العشيات . خاصة . فى أيام الصيف بغبار كدر أسود وأغبر . سيما اذا كان الهواء سليما من الرياح ... " .

وهذه الصورة المنفرة . ربما كانت هى السبب فى تنقل العاصمة . من مكان الى مكان . نحو الشمال . والبحث وراء الموقع الذى يمكن أن تهب فيه الريح الشرقية^(١) . على أن بعض خطط الفسطاط لم تكن لتخلو عن الرياح الطيبة ولا تجرد عن العفونات . كما يصفها ابن رضوان . فان الجانب الذى يصفه يوافق وسط الأسواق . وحركة التجارة^(٢) حيث يبلغ فيها السكان أقصى الزحام فيما جاور الجامع والنيل^(٣) . أما الخطة البخيلة التى يذكرها ابن حوقل . فلا شك فى انها كانت تمتد الى الشرف . والى حافة بركة الحبش التى كانت على أيام خلفاء الفاطميين مفعمة بالمناظر العديدة البديعة^(٤) .

(١) المرقري أول ص ٢٣٩ و ٢٤٠

(٢) ولقد اتخذ الخليفة العزيز جوهرا على اختياره موقع القاهرة لأن مكاء^(١) بمسجده حذاره : « فذلك ماء القاهرة على النيل بهلا كنت بيتنا من الجوف » .

يقع الشرف الذى عليه الرصد^(٢) برصد مكاء^(٣) أطيب هوا . من موقع العاصمة القديمة (المرقري أول ص ١٢٩) « من المواضع التى كانت تعرف بالشرف » راجع

ص ١٢٥ - (٣) ابن حوقل ص ٩٦ (٤) المرقري أول ص ٤٨٦

أما ما جاور القساط . فكانت تكثر فيه البساتين الواسعة : كبستان بنى مسكين^(١) على مقربة من بركة قارون^(٢) ، وبستان بنى منان البصرى^(٣) خارج مدينة القساط . وهذا البستان الذى أعجب به المأمون بن هارون الرشيد^(٤) حينما جاء مصر فى سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٢ م) . كان فى غاية السعة ، فان مالكه كان يؤدى عنه فى كل سنة خراجا يقدر بعشرين ألف دينار . ويحصى منه غلة سنوية مقدارها مائة ألف دينار^(٥) .

وما سبق من وصف القساط . انما ينطبق على زمن سعادتها . وبعد أن هجرها السكان قليلا ، بقيت أسواقها على حالها من الضخامة . وقد أتى ابن سعيد المغربى على وصف ما بلغته المدينة من عظم التجارة ، وكثرة الصناعة ، وقت مروره بها حيث يقول : " وبمدينة القساط مطابخ السكر ومطابخ الصابون ومسابك الزجاج ومسابك الفولاذ ومسابك النحاس والوراقات مما لا يعمل فى القاهرة ولا غيرها من الديار المصرية^(٦) " .

ولقد كانت كثرة الميرة والحبوب ، فى مطابخ القساط ، سببا فى رخاء العيش فيها ، رخاء يزيد على ما كان عليه الحال فى القاهرة ، لأن القاهرة كانت مسكنا للكبراء ومقرا للأمرأ . وفى ذلك الوقت ، كانت ترى أطلال الخطط التى هجرها أهلها من القساط فى شمال أسواقها وشرقيها .

ولقد زار ابن سعيد المغربى القساط ، كما يزور سياح الوقت الحاضر آثار القاهرة ، فركب إليها من باب زويلة حمارا . ولكنه لم يبلغها حتى شاهد منظرا محزنا ، قال : " ولما أقبلت على القساط أدبرت عنى المسرة ، وتأملت أسوارا مثلبة سوداء . وأفاقا مغبرة . ودخلت من بابها ، وهو دون غلق . مفض الى خراب معمور ، بمبان سيئة الوضع ، غير مستقيمة الشوارع ، قد بنيت من الطوب الأدكن ، والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة . وحول أبوابها من التراب والأزبال

(١) المقرئى أول من ٢٩٧

(٢) قدم المأمون الى مصر فى سنة ٢١٧ هجرية كما ذكره الكندى فى تاريخ مصر وولاتها من ١٩٢

مكوف

(٣) المقرئى أول من ٣٣٤ (٤) ابن دقاق رابع من ١٠٨

(٥) يحصل أن يكون ما يربى المفا ، لأنه كان على الطريق عند الخروج من باب زويلة الى القساط هو الخليج .

ما يقبض نفس النظيف . ويقبض طرف الظريف^(١) . وفوق هذه الأطلال الدارسة. أُلقيت شيئاً فشيئاً الأنقاض. بحيث أنه لم يمتص غير قليل. حتى تكونت على خطة "الخراب" هذه الكيان العالية . ومن هذه الكيان كانت تؤخذ مواد البناء التي يمكن الانتفاع بها في الأبنية الجديدة من آجر وخشب وأبواب وبلاط وغير ذلك . حتى أدى إخراج هذه المواد من باطن التلال في بعض المواضع التي كشفناها. الى أن الباقى من المباني كان عبارة عن كَل لا يفهم أصلها كما سنثبت في هذا الكتاب .

(١) ذكر ذلك القرزى أول من ٣٤١



الباب الرابع

الدور ذوات الحيطان المتوسطة ووصفها

الدور التي نتكلم عليها في هذا الفصل منتشرة في عدة نطق بمنطقة الحفر، كما يدين من الخريطة العمومية (شكل ٣) . وهي نوع من المساكن ان لم يكن قد عم مدينة التسطاط، فانه عام في المنطقة التي تم كشفها . وما جمعناه من الأمثلة قد انتقينا من بين دور كثيرة، وضعت تصميماتها على أصول متشابهة .

المجموعة الأولى من الدور

(راجع اللوحات السابعة ٣ والثامنة ٢ والتاسعة والأشكال ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩)

اجتمع في هذه الدور من الجدران ما زاد في الارتفاع على غيره، في المنطقة التي كشفناها حتى الآن . وبعض هذه الجدران ما زال محفوظا بارتفاع خمسة أمتار (راجع اللوحة ١٩ - ١) . ولكن ذلك في نطق منقطعة . وقد اندثر من المباني المجاورة أكثرها حتى الصخر . ومن الاطلاع على المسقط الأفقي للدار (شكل ٤) . تدین هيئتها العامة .

وغنى عن البيان . أنه ليس من السهل . في مثل هذه الأحوال . الاحتذاء الى أوضاع الرسم الأفقي . وتعيين عدد الدور المنفردة . وحدودها . وما نحن بصدد منها . واقع على طريقتين : أحدهما في الشمال . والآخر في الجنوب . ويظهر أن الطريق الشمالي . كان من أهم طرق المدينة . يخرج منه زقاق غير نافذ . ويخلل الدور .

(١) سجد في سياق كلامنا في هذا الكتاب . بجانب الدارات الحفر المتألفة من الرومانية دوسر (domus) وسواها . دور أخرى ذات طائفت عديدة من قبل الدار التي يدعونها الرومانيون أنسولا (insula) . أي جزيرة . لأنها تتكون من عدة دور مجتمعة ثابتة لسلك واحد وتحيط بها طرقات من جميع الجهات فتكون في وسطها كالجزيرة . وسبغ هذا الموضوع في محله بما فيه الكفاية . والآد نكنز بأن حول : أن ما يقين لنا طرزه مريبا في هذه الابحاث الأولية . تكون مع طائفة مخصوصة من دور التسطاط .

MAISON II



مسكن ٤ - الجمهورية الأولى من الدور - المسط الأفقي كما هو الآن



شكل ٥ - المجموعة الأولى من الدور (المسقط الأفقي بعد إعادة إلى أصله)

وفي الجنوب الشرق الحوش الأول ١ . تحيط بثلاثة من جوانبه الأروقة « ١ » ، « ٢ » (راجع شكل ٥) وربما كان هناك إيوان في « ٣ » . كما يستدل على ذلك من أثر الأساس^(١) .

ومن الرواق « ٤ » ، يتوصل إلى قاعة كبيرة « ٥ » ، تكتنفها من طرفيها جرتان « ٦ » ، كما يتضح ذلك من الوضع العمومي الذي نجده في عامة الدور .

وكان لزوال بعض الجدران، أثر عظيم في الصعوبات التي تحول دون الوصول لمعرفة التخطيط الأصلي . واعذته سيرته الأولى . ولذلك كانت تعييننا لموقع المدخل في نقطة « ٧ » ، على سبيل التخمين .

وإذا حاذينا جانب الرواق الشرق في سيرنا ، نجد بابا على جرة صغيرة « ٨ » ، يقابله في الجهة الأخرى من الصحن ، باب يؤدي إلى سلم « ٩ » ، بعض درجاته مازالت باقية في مكانها .

وفي الصحن فسقية « ١٠ » من النوع المعروف ، مربعة الفتحة ، مئنة الجوف ، تحيط بها من الجهات الثلاث : القبلية ، والشرقية ، والغربية ، حفرة (أو حوض) « ١١ » ، وجدت عند فحصها مملوءة بالطمي مما يدل على أنها كانت مزروعة بالزهور وغيرها . وسير علينا ذكر عدة فسقيات من هذا القبيل .

وأما مياه هذه الفسقية ، فتد في براج من الفخار « ١٢ » . وهذه البرائج يمكن تتبع اتجاهها ، فهي تحتاز « ١٣ » . بعد أن تخرج من خزان مثلث الشكل ، في صلب الجدار الذي على الطريق الغربي . وهذا الخزان يكاد يكون على أصله . إذ لا تزال نرى بعض قبوه . وأرضه المبلطة بالحجر ، وملاطه المصنوع من الحير والرماد . وفوق ذلك ، بقية من بلاط آخر ، يستدل منها على أن الخزان الأول . كان فوقه خزان آخر منفصل . وسنرى عند فحص الجهة القبلية الغربية من هذه الدور . أن ظننا هذا له مبرر . ويجاور الخزان بئر « ١٤ » . يمكن ملء الخزائين منها . ومن

(١) يطلق الأيراني في العبارة العربية على ما هو معروف بهذا الاسم وعلى الجزء الداخلي في جوانب الجدران على هيئة الصفة وهو ما صرح به هذا لفظ إيوان . وقد أطلق في بعض الوقفيات على هذه الصفة اسم «مطبة» .

المحتمل . ان الماء كان يرفع بالطريقة المعتادة أى بواسطة البكر والرشاء والدلو . ويصب في مجار موضوعة وضعاً مناسباً ، يساعد على جريان الماء بموازنة السطوح أو الطبقة الأولى .

والسلم / ، لم يبق منه إلا درجتان سفليتان ، وبسطة . وهو ينحطف نحو الجنوب . على شكل زاوية قائمة . وتحت الدرجتين قبو مكسور في مبدئه . وقد ذكرنا هذه التفاصيل عن السلم والخوض . لنبرهن على تبعية الأبنية القائمة في الجهة القبليّة الغربيّة للأبنية التي وصفناها .

وفي الواقع ، ان أول قبة من السلم . تؤدي الى حوش ثالث نرمر له بحرف / . بواسطة فسقية / . وهذه الفسقية تأتيا المياه بواسطة القناة / . من الخزان الأعلى الذي أشرنا اليه فيما سبق . ومن ثم تتحقق الصلة بين الحوشين / و / .

ومما ينبغي التنبيه عليه . أنه لا يزال هناك بقية طيبة من البلاط . في الحوش المرموز له بحرف / ، وفي الأروقة والقاعتين المجاورتين لها . مما يدل على أن مستوى أرض هذا الجناح كله ثابت على أصله تماما . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى . فان محور درج السلم / على سمت محور الحوش / وهناك بلاطة من الحجر مبيتة في الجدار المبنى بالطوب (٤ من الشكل ٦) يستدل منها على أن هذا الجدار كان به باب بمستوى البسطة العليا . ومن ذلك يظهر أن الحوشين / و / كانا تابعين لبيت واحد .

وحول الحوش / ، الرواق / ، والقيعان / ، والايوانان / . ومحور الايوان / يقابل محور الايوان / . والمراحيض / ، مركبة على المجرور / . المنتهى باليابة / (شكل ٦) . وفي الغرب من هذا الحوش . فسقية صغيرة / ، لا تصل اليها المياه من جهة ما . في أرض الحجرة (أو الحوش) . الملحقة بها حجرة صغيرة / .

والظاهر ، أن هذا المكان كان قاصرا على الحوشين / و / بمرافقهما ، فكان محتويا على جناحين متشابهين من البيوت . ويغلب على ظننا أن الحوش المنخفض / ، وهو أوسع الحوشين واليه يسلك من الخارج ، قد كان يتوسط قاعات الاستقبال .



0 1 2 3 4 5 6 7 8 9



White - 1000 psi

1000 psi

شكل ١ - المجموعة الأولى (مضيق من القسم B.A. كما هو الآن)



1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12

Gate



of the same size

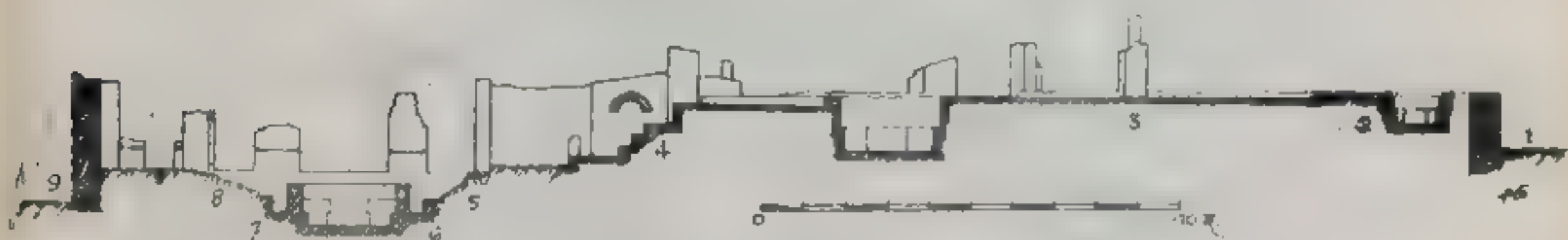
to suit

1000 1200 1400 1600 1800 2000 2200 2400 2600 2800 3000 3200 3400 3600 3800 4000 4200 4400 4600 4800 5000 5200 5400 5600 5800 6000 6200 6400 6600 6800 7000 7200 7400 7600 7800 8000 8200 8400 8600 8800 9000 9200 9400 9600 9800 10000

أما الحوش المرتفع، فكان مخصصا للحريم . وربما، ان كلا من الجناحين كان له مدخل خاص . فكانت الرجال يدخلون من الجهة الغربية من $\frac{1}{2}$ وتدخل الحريم من نهاية الزقاق الغير نافذ $\frac{1}{2}$. فهل يسوغ لنا مما توضح أن نعتبر جميع الأبنية بالحوشين شمالي الدار مستقلة عنها؟ وفي الواقع، ان وجود البيارة δ والبيارة ϵ يربطهما مجرور واحد (شكل ٦)، دليل على أن الجهات البعيدة كانت تابعة لدار واحدة . أو على الأقل في حيازة مالك واحد . ولكن القاعتين الكائنتين في الجهة البحرية الغربية حول الفضاء $\frac{1}{2}$ ، كانتا على استواء أرض الحوش $\frac{1}{2}$ ، وهي متحدة مع الشوارع في مستواها العمومي . ولم يكن لهذه الأرض اتصال بالحوش $\frac{1}{2}$ المرتفعة أرضه . ولذلك نعتبر هذه المنطقة البحرية الغربية كدار مستقلة .

أما الحوش $\frac{1}{2}$ ، فينصل به إيوانان $\frac{1}{2}$ و $\frac{1}{2}$ (شكل ٤) . ولا بد من وجود رواق معهما في $\frac{1}{2}$ وقد وجد في الحوش تاج كورنيش، يظهر أنه كان مستعملا في الرواق . وكان بالدار عدة غرف ومراحيض وحوض للغسيل وغير ذلك .

وقد رسمنا في $\frac{1}{2}$ حوشا حوله قاعة $\frac{1}{2}$ وإيوانين صغيرين $\frac{1}{2}$ ، ومراحيض $\frac{1}{2}$ وكلها صغيرة المقاس ومنظرها على غاية البساطة . ويظهر ذلك من أثر البلاط المركب بغير نظام .

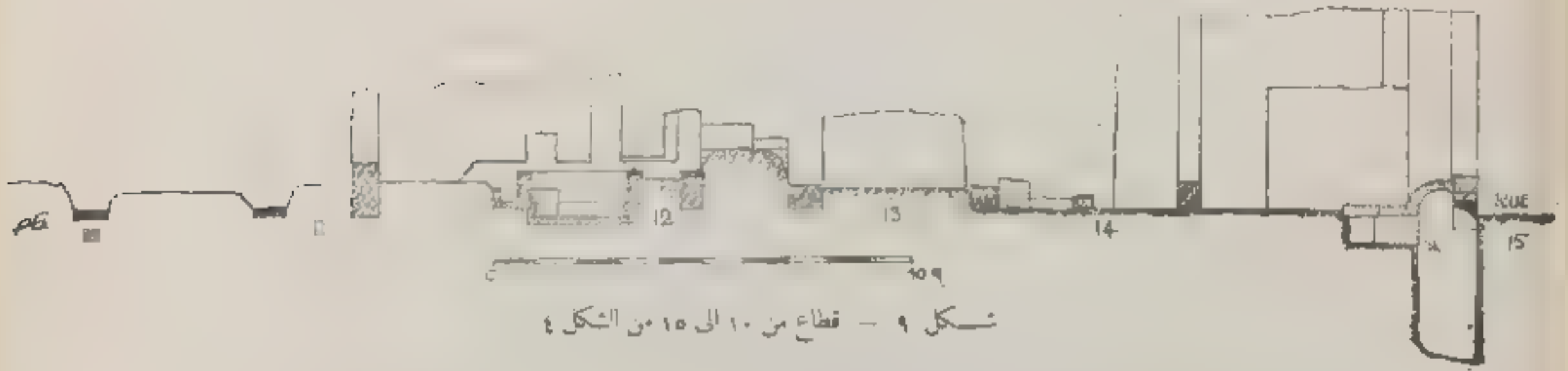


شكل ٨ - قطاع من ١ - ٩ من الشكل ٤

ويجوز أن يكون الحوش $\frac{1}{2}$ ، واقعا أمام قاعات الاستقبال . أما الحوش $\frac{1}{2}$ ، فله خاص بالحريم . وقد جعلنا في $\frac{1}{2}$ على الشارع العمومي، مدخل الدار .

(١) هذا القول لا يخرج من الحقيقة عن محرم والتعميم، هذه حفرة عند فم القوس الذي وصلنا إلى أرض الشارع، ولكنها لا تفتح إلا على أساس جدران ليس به أبواب ولا أعتاب .

ولم يبق إلا أن نفحص الجزء الشمالى الشرقى من المباني . مع ملاحظة أن بعض الجدران المرموز لها بحرف 11 . معدودة من أكثر الجدران ارتفاعا بين ما تم كشفه . وما عداها مما يجاورها . زال أثره حتى الصخر كما سبق ذكره .



شكل ٩ - قطاع من ١٠ الى ١٥ من الشكل ٤

ويلاحظ من جهة أخرى . أن بقايا الأبنية الأكثر قدما وهي المرموز لها بحرف 11, 12 . يصعب تمييزها عن غيرها . وقد رسمناها بهذا الوضع على سبيل الظن والتخمين . ويدل وجود الكتفين المربعين 11, 12 على أنهما كانا مستعملين كدعائم متوسطة . أما الجدران 13, 14 . فيدلان على أن هناك دهليزا يؤدي إلى الحوش 1 . وكل ذلك يحملنا على الظن بأن هذا الجزء من مرافق البيت 13, 14 .

وما سبق بيانه جثنا به احتمالا . وهناك مسألة لا تقبل الشك ، وهي أن القاعات التي من قبيل 11, 12 كانت حوائط مفتوحة على الشارع . فوقها مقعد معقود . ويستدل على ذلك بأثر الأتكايف المبنية بالطوب . ومنها جزء قد تحول عن أصله . ويحملنا على التأكيد بوجود هذه الدكاكين المصنوعة على حافة الطريق . وضع مماثل لهذا لا زال تذكره في شوارع بومبي وديلوس . وقد أتيج لمسيو مرزفلد رؤية شيء من هذا القبيل في سر من راي (سامرا) .

بقيت مسألة تعرض لنا كلما بحثنا في دار من الدور . وهي مسألة الطبقات . فأننا لم نلاحظ بين المباني التي سبق لنا وصفها . وهي لا تحتوي على أقل من مكنتين مختلفتين ، غير

(١) - مرافق رابطة سنة ١٩١٢ ص ١٤ وما إليها .

مبدأ سلم . وقد قلنا أنه ذو قناتين بزاوية قائمة ، ولكن هذا الوضع لا يكفي لأن نأخذ دليلاً على أن هذا السلم كان يوصل لدور عال . إذ ربما كان الغرض منه الوصول إلى الأحواض والمحل الذي تستخرج منه المياه من البئر .

وفي بعض الجدران ، قنوات مستطيلة القطاع شبيهة بالمداخن التي تستعمل الآن . وهي مدهونة من داخلها دهاناً متقناً . وكانت واصله إلى الحجارير أو اليارات . ومن الصعب تحديد وظيفتها . ولا يسعنا التسليم بسهولة بأنها كانت مخصصة لتصريف المياه من السطح إلى الحجارير ، لأنها كبيرة القطاع . ولا يمكن أن يكون المراد منها مثل هذا فقط . نقلة نزول الأمطار في هذه البلاد . ولو كان القصد تهوية اليارات والحجارير ، لكان مقاسها أقل مما هي عليه .

ويغلب على الظن . أن هذه الأقنية مصارف مراحيض الطبقة العليا . وهذا دليل على أن جزءاً من الطبقة السفلى ، على الأقل ، كان فوقه طبقة أخرى . وترى في الجدران العالية ، مواضع ركوب أطراف العروق . وهذه المواضع منحطة قليلاً عن قمة الجدران . ومن وضعها هذا ، يعلم أنها كانت تحمل سقف الطبقة العليا ، أو على الأقل سقفاً متوسطاً بين الطبقتين السفلى والتي تليها . ولكن هذه المعالم لاتساعدنا على ترجيح أحد الرأيين على الآخر . ولما كان أسلوب البناء والمواد المستعملة فيه واحداً ، من الأساس إلى القمة ، فلا يسعنا ، كما هي الحال في ديلوس مثلاً ، أن نحكم أن كذا من الأوضاع لا يصح اتخاذه في غير الطبقة الأولى . وعلى كل حال ، إن ما نخلصه من رسم الطبقة السفلى توجد به البيانات الكافية . لتكوين المرافق التي تكفل الراحة لسكنى إحدى الأمر .

ومما يلاحظ ، أن هذه الدور التي أتينا على وصفها كانت تسكنها أسرة واحدة من متوسطي الناس . وليست من محال الاستغلال التي كانت تنفي على شكل مغاير هذا .

أما البيت الملاصق للحوش A . من الشرق ، فيمكننا تصور مشتملاته كما يأتي : حوش B ، ورواق T ، وقيعان X.Y.Z . ومدخل في Y .

(١) راجع الشكل الرابع B وفي الصفحة التاسعة عشر رقم ١ وسمنا القناة واتصالها بالبحرود .

والمباني التي في الجهة البحرية من هذه الدور - انما هي - من بقايا أساس ولا تكفي للوقوف على الوضع الأصلي .

الدار الثانية

(اللوحة العاشرة ١ و ٢ والأشكال ١٠ و ١١ و ١٢)

يتعذر تعيين حدود هذه الدار على وجه قطعي . والحدود التي أوردناها . انما أخذت من واقع معالم مختلفة . فهي من الفروض غير مقطوع بصحتها . ومن الصعب الاهتداء منها الى أدلة حاسمة .

ويلاحظ أن هذه الدار لها نظام غريب ، انفردت به عن غيرها مما كشف حتى اليوم من الفسائط (راجع الشكلين ١٠ و ١١) . فهي تحتوي على حوشين متجاورين H_8 ، كل منهما بمعزل عن الآخر ومساحتها تكاد تكون واحدة . والفواصل بينهما جدار بسيط . وقد بنيت الأجزاء الداخلة في الحوش H غير مرتبطة بالجدار الفاصل . ولذلك . يغلب على الظن ان المباني الغربية متاخرة عن المباني الشرقية .

وليس هناك فسقية في كل من الحوشين . وانما هناك برّ قطاعها مستطيل ، محفورة تحت الجدار الفاصل .

وهي نازلة الى استواء الماء تحت الأرض . وعليها قبو معقود عقدا دائريا . ولأخذ الماء منها ، ينزل إليها الانسان من الحوش A ، بثلاث درجات منحوتة في الصخر . وفي قبو البرّ من جهة الحوش H . في نقطة B ، فتحة مربعة كانت عليها حُرزة . ولم تزل بهذا الحوش بقية من بلاطه . والأوضاع مماثلة في الجهة القبلية من الحوشين . حيث يشتمل كل حوش على : رواقين بكل منهما ثلاث فتحات في ad وقاعتين ab . وحجر $d'd'e$ ، وخف القاعة h ما يشبه الدهليز . وفي الجدران عدة صفوف g, g, g . (راجع اللوحة العاشرة ٢)

(١) راجع القطاع في شكل ١٢ وعن هذه البرّ المستطيل P, P, P, P من الشكل ١٠



شكل ١٠ - الدار الثانية (المخطط الأفقي كما هو الآن)



شكل ١١ - الدار الثانية (المسقط الأفقي بعد إعادته إلى أصله)

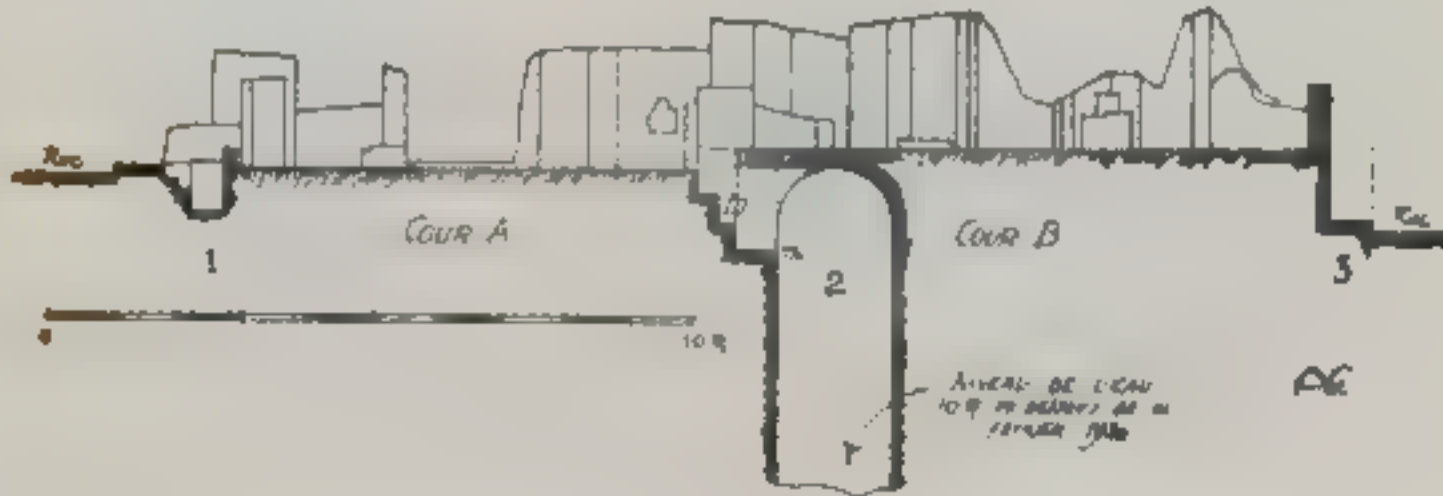
أما الجوانب الثلاثة الأخر من الحوش ١: . ففيها ثلاثة أواوين *hiz* وبعض حجر صغيرة . ولا يوجد في الحوش ٢ . أواوين . وإنما بعض صفوف *hiz* في الجوانب متماثلة الوضع . في كل جانبين متقابلين .

ويحيط بالحوش ١ دهليز . يؤدي إلى حوشين من بايز « . وتحت مجرى مبلط « . تنصرف إليه في « مياه السطوح أو الطبقة العليا . وما زال في « حوض لغسل الأيدي بمكانه الأصلي وقناة صرف تصب في المجرى .

وكانت البيرة « . لا تستعمل إلا لصرف مياه المطر والغسيل لصعوبة نزحها .

على هذا الوجه . تبين لنا نظام البيت فيما يلي الحوشين . لأن الجدران في هذه المنطقة ما زالت باقية بارتفاع كاف يصل في بعض المواضع إلى ٢,٥٠ م وبها عدة صفوف .

أما باقي أجزاء الدار فقد عفت معالمها ، إلا النذر . فلم تبق منها إلا قطع متفرقة من أساس مبنى بالآجر لا يدل على شيء . وكما نقول أحيانا في رسم الجدران على ما نجده من أثر المونة اللاصقة بالصخر .



شكل ١٢ - الدار الثانية (قطاع ١ و ٢ و ٣ من الشكل رقم ١٠)

وقد اعترضنا بقية من أبنية رمزنا لها في الرسم بحرف « *hiz* » بحار العقل في تعليلها ، لأن بينها أثر بلاط يدل على وجود سطح أعلى من الحوشين ١ و ٢ . وهما ليسا باستواء واحد . فضلا عن وجود بعض درجات . مرموز لها بحرف « // » كانت معدة للصعود إلى مكان عال عن أرض الحوش .

لذلك اكتفينا بالبحث عن تخطيط الطرق ورسم الجدران الفاصلة. بالاعتماد على ما شاهدناه من أثر البقايا. فرسمنا المدخل في ١٠. حيث يوجد أثر بلاط متقن الصنع بمكانه الأصلي. ورسمنا حجرة صغيرة في ١٢. والظاهر أنها كانت تستعمل للثواب.

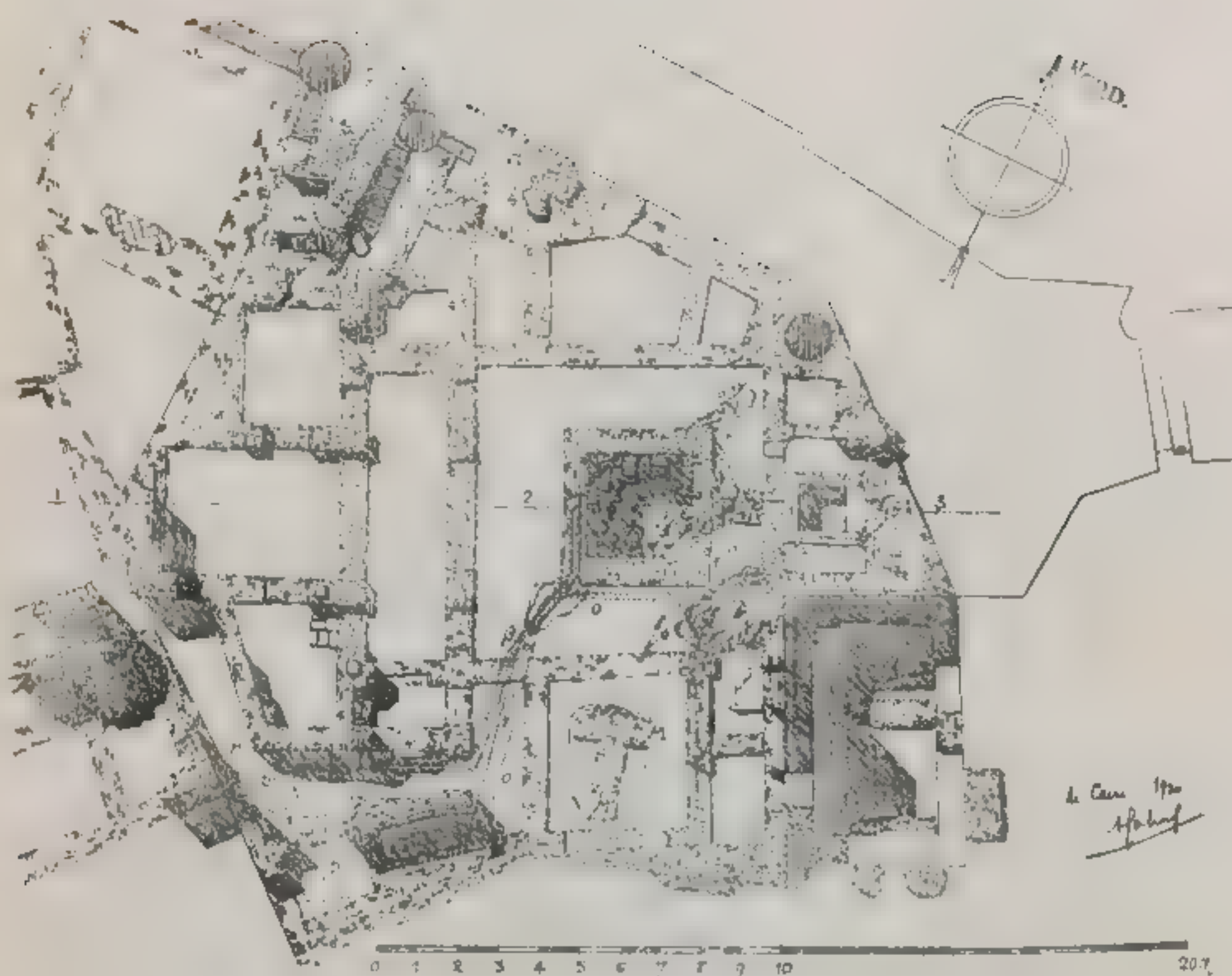
وقد بينا على الرسم بالهاشور. الخال التي عيناها بالظن والتخمين. أما الخطوط السوداء، فقد جعلناها للحوشين وما حولها.

وفي ١١، ست درجات سفلى من سلم يصعد به الى طبقة عليا. وهي لقلة عددها، لا تكفى كما في الدور الأخرى، لتتخذ برهاناً على وجود الطبقة العليا لأن هذا السلم ربما كان معداً للصعود الى السطح دون غيره. على أننا نعتد هذه الدرجات أهم أثر وجدناه من هذا القبيل. ولا يبعد، أن السلم كان ينعطف. ويمتد. في مكان منسج مستطيل. وفي هذه الحالة يكون جزء من الدار على الأقل فوقه طبقة عليا.

الدار الثالثة

(لوحة ١١ والأنشكال ١٣ و ١٤ و ١٥)

هذه الدار قائمة على رقعة من الأرض محدودة بخط كثير الأضلاع، غير منتظم. وفي تركيبها الأفق ما ينم عن محاولة تنظيم أوضاعها حول الحوش المتوسط تبعاً لمحوريه المتعامدين. والظاهر، ان الجزء المين بالأسود في المسقط الأفقي الذي رددناه الى أصله (شكل ١٤) كان داراً قائمة بذاتها. وهي محل البحث في هذا الفصل. ويستدل من أثر التعديل، والتغيير، وانقطاع الارتباط بين الجدران وبعضها، ان هذا المكان كانت به دار قديمة، فسيحة الجنبات. ويظهر أنه حوّر فيها وحوّلت الى عدة مساكن مستقلة عن بعضها. وهو أمر مازال غامضاً. وعلى كل حال، فهو قليل الأهمية. ولذلك نقصر في التوضيحات الآتية على الكلام عن أوضاع الدار الأصلية من واقع الأسس المكتشفة فنقول:



شكل ١٣ - الدار الشاذلي (المسقط الأفقي كما هو الآن)

في الحوش A فسقية مربعة / من الطراز العادي . ويجوانبه الأربعة أماكن ، نظامها مشابه
وفي « رواق له ثلاث فتحات » وقاعة كبيرة « وغرفتان صغيرتان » وفي « دور ايوانان فسيحان
وتجاه الرواق « ايوان » فيه فسقية صغيرة » .



شكل ١٤ - الدار الثالثة (المسقط الأفقي بعد إعادته إلى أصله)

وكانت الفسقيات تأتيها المياه في مجار منظمة من براجح x و y متصلة بمجار أخرى من نوعها ومقاسها، نازلة من أعلى جدار الطرقة إلى أسفله، من خزان مركب في القسم الأعلى من البناء، ومن الصعب تمييز الطريقة التي كان يملأ بها هذا الخزان لانعدام الآبار في جواره، وكانت المياه تبيته في مجار ممتدة على السطح من بئر من الآبار القريبة، مركب عليها بعض الآلات، وبخامرها الشك في أن الخزان كان يملأ بالقرب.



شكل ١٥ - الدار الثالثة (قطاع ١ و ٢ و ٣ من الشكل رقم ١٣)

وفي ١، شتفرع المجرى ٢، إلى فرعين ٢، ٢، فيدور الفرع ٢، حول القسقية ١، ويصب فيها المياه في نقطة ٢، أما الفرع ٢، فإنه ينتهي بماسورة رأسية ١، كانت متخذة للماء حوض صغير في صلب البناء . وهناك تخدر في شاذروان ، تجرى منه إلى القسقية ١، ومنها تمر في مجرى مكشوفة ٣، إلى الحوض المتوسط ٢، والمجرى الثانية ٣، تفوص في الأرض تحت المجرى الأولى وتفرغ مياهها في الحوض المذكور . وما يفيض من مياه القساق ينصرف في المجرى ١، ومن البرنج ١، تنزل المياه من السطوح أو للطبقات في المجرى المذكورة التي تنتهي إلى البيرة ١، المنصرفة فيها أيضا مياه البيرة ١ .

ويلاحظ في ٢ : برنج آخر . والمظنون ، أنه لما قسمت الدار دعت الضرورة إلى إيجاد المجاز ، وعند ذلك أبطلت المجرى المشبهة بهذا البرنج ، وفي ١ : برنج من هذا القبيل متصل بالمجرى ١، المغطاة بالبلاط وممتدة لغاية الشارع . وهناك بيرة مستديرة في ٢ .

ولا نعلم كيف كان يتوصل من هذه الدار إلى الطريق العمومي . والظاهر ، أن المدخل كان في ١، في نهاية حارة صغيرة . ومن الممكن أن نقول بوجود باب على الطريق العمومي في ١ ، ولا توجد آثار سلم ظاهرة . ويجوز أن يكون القضاء ١، بئر السلم وما بقي من البناء المشيد بالآجر في هذا المكان لا يكتفي لاثبات ذلك .

أما القضاء المستطيل : فالظاهر أنه كان مستقلا عن المنزل . ويغلب على الظن أن يكون ذلك شكله في آخر عهده . وكانت هناك حفرة واسعة، على هيئة كهف، محفورة في الصخر تتصل مع « بواسطة بعض درجات وباب » . ثم أبطل الباب وغيرت معالم الكهف بجدران زيدت بالآجر فألحقته بالدار المجاورة .



شكل ١٦ - الدار الزاوية (المسقط الأفقي كما هو الآن)

الدار الرابعة

١. لوحة شامة عشر - ٥ - ولأشكال ١٦ و ١٧ و ١٨

هذه الدار . حوش . مشمس ٤ بم ٥ أمتار . وتحدّه من الجهتين القبليّة والغربيّة جدران بسيطة تفصل بينه وبين المباني المجاورة . ويخانيه صنف واكاف تمثّل في النظام الجانين الآخرين حيث يشاهد الترتيب المعتاد : رواق . . وقاعة . . وغرف صغيرة وإيوان . . وفي . . بناء بالآجر على هيئة مصطبة . ويظهر لنا أن القاعة . . كانت تابعة لهذه الدار . ولكنا لا ندري كيف كان النور والهواء يصلان إليها .



شكل ١٧ - الدار الرابعة (المخطط الأثني بعد إعادته إلى أصله)

وفي الفسقية α ، تفاصيل كثيرة تخالف الرسم المعتاد ، لأن جوفها مثنى . وفي جزئها العلوى صفف دائرية بالأركان الأربعة مرتبطة بالشطف . وكانت المياه ترد إليها من قناة من الفخار α ، ممتدة حتى α_1 . ولا يبعد أن المياه كانت تجيئها من نزان مرتفع لم يبق له أثر . ومما نلاحظه أنه لا توجد هناك آبار قريبة .



شكل ١٨ - الدار الرابعة (قطاع حسب 'x-x' من الشكل ١٦)

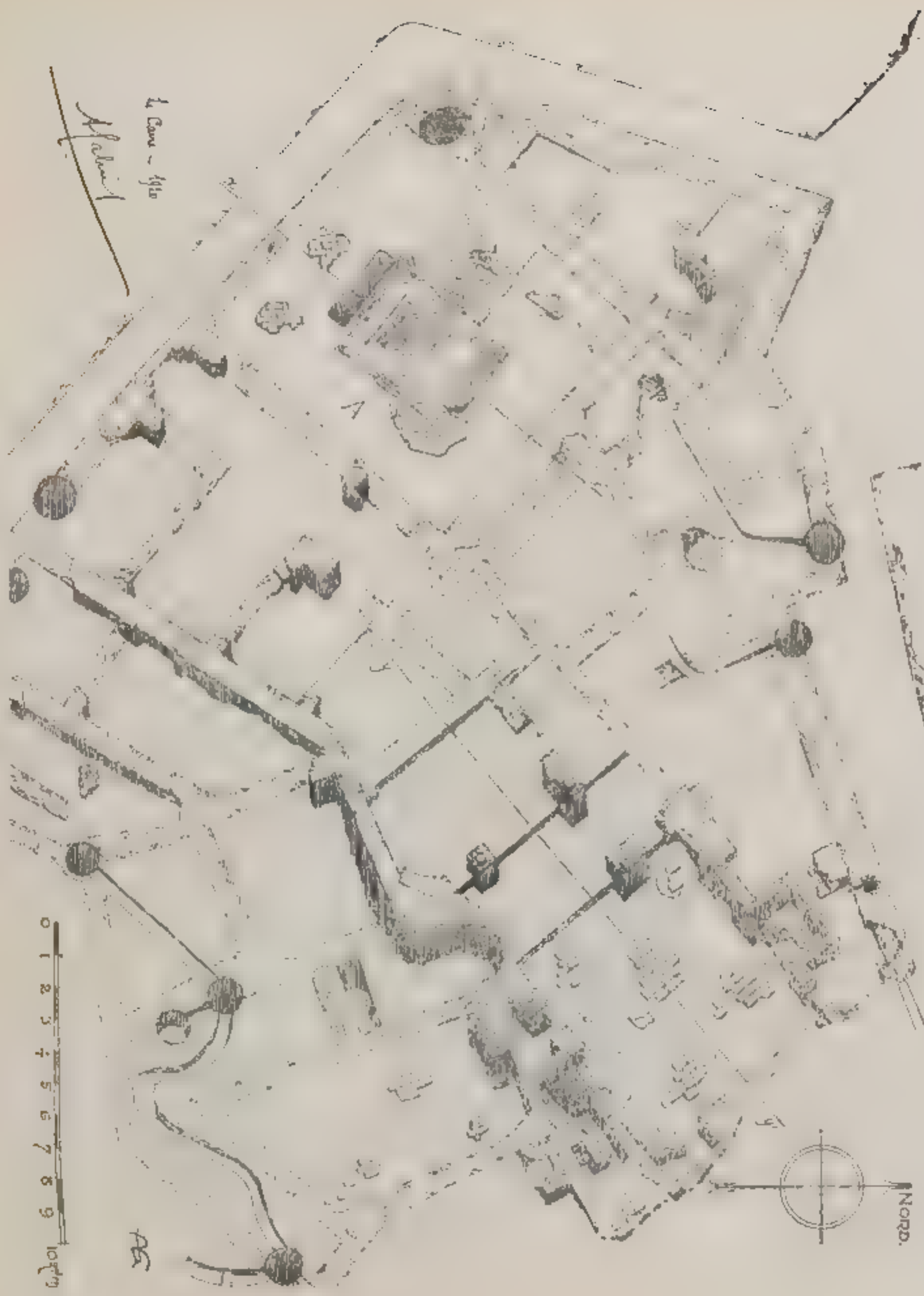
وكان المدخل في α ، ولكنا لانحكم بصحة ذلك لأن تخطيط الطريق العام في هذه المنطقة غير واضح . والظاهر أن المراحيض كانت في α ، وفي α_1 ، بالوعة متصلة بالمجرور α ، الذي يؤدى إلى البيرة α . كذلك الماسورة α ، فانها نازلة في المجرور . وكانت هناك قناة أخرى من الفخار α ، متصلة بالبيرة وتنصرف إليها مياه الغرفة α ، وهي غرفة لم نهتد إلى الغرض الموجودة من أجله . وفي α ، بقايا حوض مفروش بالحجر . أما البيرة α ، فانها تابعة للدار المجاورة . ولم نعر على أثر للسلم . ولذلك ، يغلب على ظننا أن هذه الدار كانت مكونة من طبقة واحدة سفلى .

الدار الخامسة

(اللوحة الثامنة عشر ٩ والشكلان ١٩ و ٢٠)

في الموقع الذى عيناه فيه حدود هذه الدار ، نرى الحوشين α و α_1 ظاهرين ، غير أن معظم الجدران لم يبق منها إلا الأساس . وقد زال أثر البناء تماماً في بعض المواضع . وكان اعتمادنا في وضع الرسم (شكل ٢٠) على ما لاحظناه من التفاصيل الفنية للبناء ومن الطريقة المتبعة في ربط الجدران بعضها ببعض . ومن ذلك استنتجنا أن الحوشين α و α_1 كانا تابعين لدار واحدة .

(١) يلاحظ أيضاً أنهم كانوا يصعدون من α إلى α_1 (شكل ١٩) ببعض درج حتى يصلوا إلى المستوى المحدد بالحوش α . ويؤخذ من ذلك أن الاتصال بين الحوشين كان ممكناً لم يكن موجوداً .



شكل ١٩ - الماراطانية (القطر الأبيض كموالان)



شكل ٧٠ - المار تخطيطية (المخطط الأثري بعد اعادة ان امله)

أما الحوش الغربى ا. - فانه واقع على زقاق . وفى واجهته المقابلة للغرب، رواق، ذو ثلاث فتحات، مرموز له بحرف « . وهو بين يدى القاعة «، والغرفتين «، «، وفى الواجهة المقابلة ايوان « موضوع وضعا غريبا لم يشاهد له مثيل . فالبلاط يبرز فى الحوش حتى يتصل بالفسقية، فيتكون منه مستطيل / يعلو نحو ١٠ سنتيمترات عن بلاط الأرض المجاورة له . وفى كل من أرض الحوش وأرض الايوان، بقايا كثيرة من البلاط (راجع شكل ١٩) الكلى المتماثل . وهو مستطيل الشكل . متوسط مقاسه ٠.٢٥ × ٠.٦٠ . ملصق متواترا (دالات) . ولما نعرف هل كان يعلو هذا الجزء المرتفع المسامت للايوان شئ من الأبنية . لأننا لم نجد لها أثرا مطلقا . ويجوز أنه كان معدا لأب تنصب فوقه خيمة . أو مظلات على قوائم خشبية خفيفة . أما الجزان المرتدان الجانبيان « (شكل ٢٠) فان أولها يمكن اعتباره إيوانا أو صفة معدة لأن توضع بها دكة أو تنشأ بها مصطبة، وثانيهما «، لا يتجاوز دخوله فى الجدار العشرة سنتيمترات، وانما وجد لحفظ التناسب .

والفسقية ز المربعة الفتحة المثلثة الجوف . وهى من الطرز المعتاد . كانت المياه تأتيها من القناة « التى تنقطع عند « (شكل ١٩) . ثم تعود فتصل بخزان موضوع بمكان عال من الدار بواسطة قناة رأسية . وكانت القناة تدور حول الفسقية . ونظامها معقد جدا، حتى أنه ليحسر علينا التدليل على بعض التفاصيل . وقد وجدنا فى كل زاوية من الفسقية ماسورة صغيرة من البرونز قطرها سنتيمتران ، مثبتة فى قطع من رخام تختلف أضلاعها بين خمسة وستة سنتيمترات . والظاهر أنها كانت متصلة بالماسورة الفخار فتتكون منها فوارات، وتتصاعد مياهها ثم تعود فتسقط فى الفسقية . وعلى كل من جانبي الفسقية حوض مستطيل ، كان مملوءا بالطمى ، وجعل لزرع الزهور والشجيرات « (شكل ٢٠) .

ولا يوجد بالحوش الثانى « . فسقية، وانما فيه نظام الايوانين الجانبيين «، «، وصفته « . لا تخرج عن كونها إيوانا صغيرا . والرواق الذى رسمناه فى «، أمام قاعة «، غير مقطوع بوجوده، لأن الجدران هناك زالت حتى الطبقة الصخرية، ولم يبق شئ من الغرف التى كانت متممة للدار فى الجهة الشمالية

الشرقية . أما الغرف أو الدكاكين (٢) الواقعة على الطريق جهة الشمال ، فلا يسعنا إلا أن نرسمها رسماً إجمالياً من واقع الأساس . وكذلك الحال في المدخل العام المرموز له بحرف « ر » . والباب الصغير المرموز له بحرف « ز » . المؤقت للحوش « هـ » . والمراحض « ح » . وأكثر الأبواب الموصلة بين الأماكن . كل ذلك ، وصفناه على سبيل الفرض والتخمين . أما ما أردنا بيانه هنا . فهو النص على أن هذه الدار من الدور ذوات الحوشين : حوش « أ » . تخم وكان مخصصاً لاستقبال الضيوف ، والحوش الثاني المرموز له بحرف « هـ » . كانت الغرفة المطلة عليه معدة لسكنى أهل الدار .

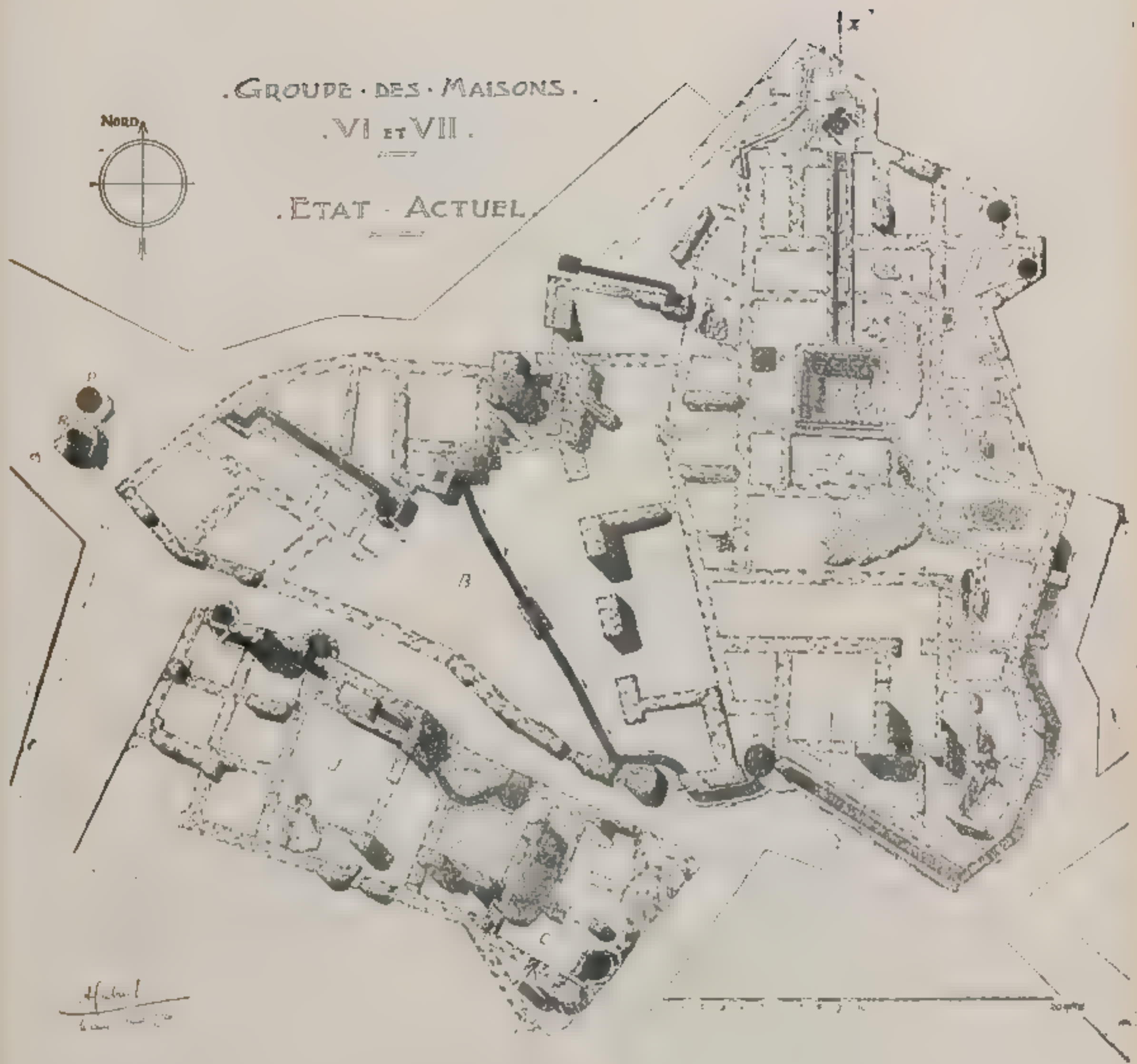
وليس في هذه الدار أثر لسل مطلقاً . ومن ثم يكون موقفنا هنا . كما كان عند البحث في الطبقات العليا من الدور السابقة .

وقد رسمنا للنزل المجاور من الجهة القبلية رسماً تقريبياً ، لأننا لم نعثر هناك إلا على بقية غير واضحة من أساس الجدران . ومن فحص المياني التي نجمت من الحفر ، في هذه الجهة ، تبين ، أنه من المتعذر الوصول إلى معالم صالحة بسبب تداخل الأبنية بعضها في بعض من التجديدات والزيادات التي طرأت عليها .

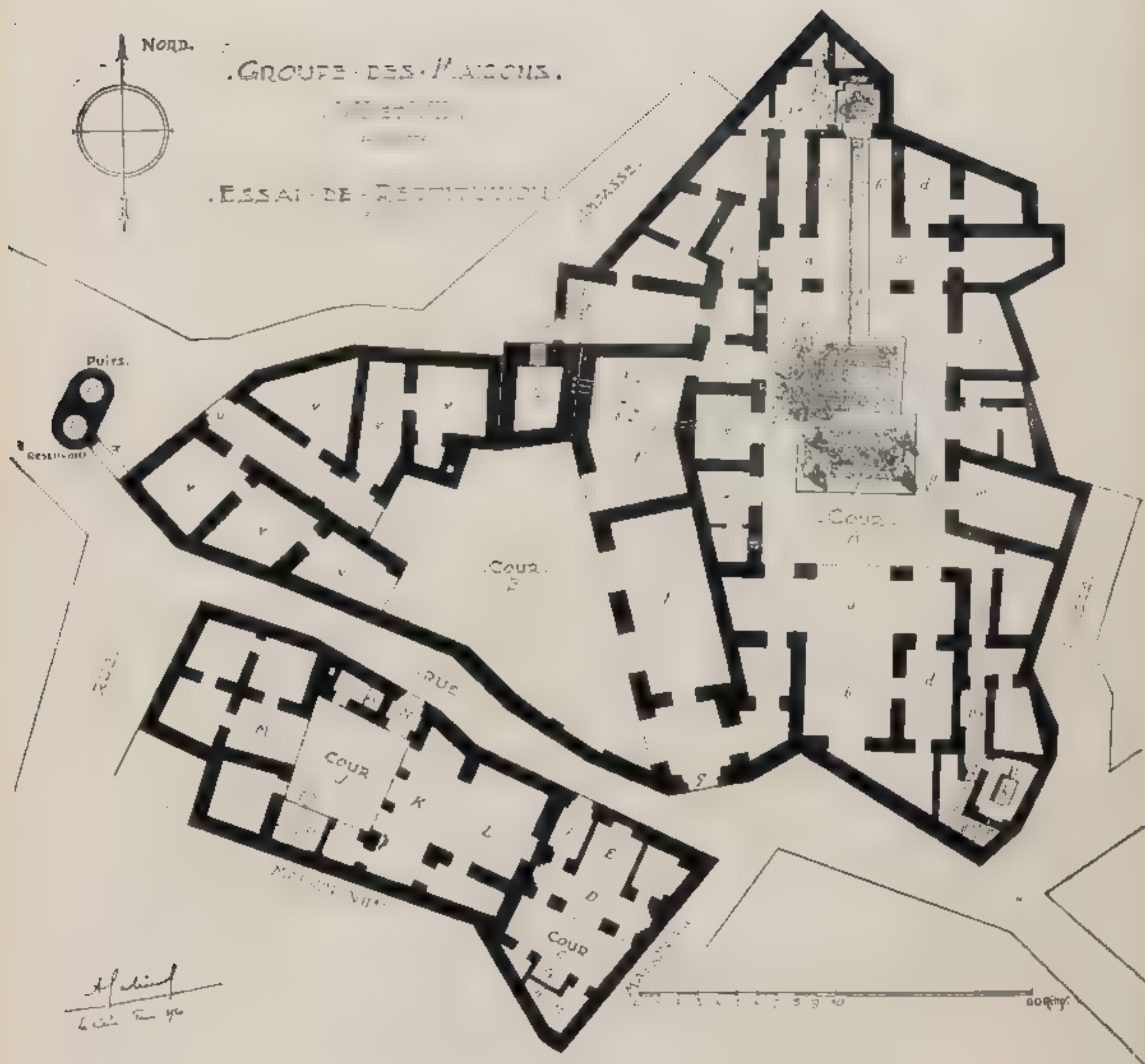
مجموعة الدور السادسة والسابعة

(الشكلان ٢١ و ٢٢)

هذه الدور ، واقعة في الجهة القبلية الشرقية من المنطقة التي أزيلت عنها الأثرية (راجع الشكل ٣) . وبالنظر إلى مساقطها الأفقية المينة بشكلها الحالي وإلى القطاع (ش ٢١ و ٢٥) والصورة الفوتوغرافية (لوحة ١٢) . يتبين أنه لم يعثر في هذه المنطقة على غير أسس الجدران . وأول ما يظهر . استحالة تعيين عدد الدور التي تتكون منها الأبنية المختلطة بعضها ببعض . إذ لا يوجد هناك غير فسقية كبيرة وبعض أجزاء البناية . ويزيد الأمر التباساً ، أثر تجديدات وأبنية سابقة . والرسم الذي وضعناه للكان بشكله الحالي يغنينا عن وصف هذه البقايا وصفاً مفصلاً . ومن مجزئ النظر إليه يفهم . أن مجموع هذه الأبنية يتكون من قسمين . كل منهما قائم بذاته . والفاصل بينهما زقاق . وإلى الجنوب من هذا الزقاق ، داران صغيرتان نذكرهما تحت رقمي ٧ و ٧ « مكرر » .



شكل ٢١ - مجموعة الدور السادسة والسابعة (المسقط الأفقي كما هو الآن)



شكل ٢٢ - مجموعة الدور السادسة والسابعة (المسقط الأفقي بعد إعادته إلى أصله)

الدار السادسة

(اللوحة الثانية عشر والأشكال ٢٣ و ٢٤ و ٢٥)

يظهر أن الباقي من الأسس في هذه الدار، كان في الأصل تابعا لدار واحدة : يدل على ذلك نظام توزيع الماء فيه .

توزيع المياه — يوجد ثلاث قنوات رأسية من الفشار α, β, γ لا تزال بإمكانها من الجدار الشرقى من غرفة صغيرة مستطيلة الشكل α . معقود عليها قبر من الآجر لم يبق منه إلا بعضه . ومن المحتمل . أن هذا القبر كان فوقه نزان ، تأخذ منه القنوات الثلاث المياه . وكانت البئر القريبة α (ش ٢٢ و ٢٣) ، منعزلة في وسط الطريق العمومي . وإذا فرضنا أن هذه البئر كانت تؤخذ منها المياه لماء الخزان α ، يتعين أن الماء كان ينقل من هذه البئر إلى الخزان المجاور لها المرموز له بحرف α ، على ارتفاع مناسب . ومنه ينقل الماء إلى قنطرة تحترق الطريق في β (ش ٢٢) . وهي قنطرة تحاذي السور الخارجى للدار من الشمال ، إلى أن نصب في الخزان α .

نقول ذلك . باعتبار أنه من الافتراضات المقبولة . لأن الخزان α ، كان ممكنا ملؤه بطريقة أخرى . وكانت القنوات الثلاث α, β, γ الخارجة من هذا الخزان نصب قناتها الأولى α, β, γ في الفسقية الواقعة في وسط الدار . أما القناة الثانية β, β, β الغير الكاملة من طرفها القبلى ، فكانت تؤدى المياه إلى الخوض المستطيل α ، الكائن بالزاوية القبلية من الدار ، ولا يزال جانب من بلاطه باقيا على أصله . والقناة الثالثة γ, γ, γ ، متجهة إلى الشمال ، وتتفرع في δ ، إلى فرعين : الأول γ يملأ منه الخزان α ، فتتصدر مياهه في شاذروان ، ومنه إلى الفسقية . ويجوز أن المياه كانت تؤخذ للفسقية من الفرع الثانى γ ، من القناة . وبواسطة الحبس المنخفض ϵ ، كان يمكن حبس المياه .

ويستدل من توزيع المياه على هذا النظام ، أن القنوات كلها تابعة لدار واحدة . وهو استنتاج يؤيده تخطيط المجارى . وكانت المياه في هذه المنطقة تصرف ، بعد الاستعمال ، في البيرة الكبيرة α ، فكان مسلطا عليها من الجهتين الشرقية والشمالية . المجروران μ ، المتخذان لليارتين المساعدةين λ, λ ،

والمجروور ٣ ، الذى كانت تنصرف اليه مياه الجانب الغربى . ويلاحظ هناك أيضا ، بيازة مستقلة ٥ ، ومجروور ٦ فى الجهة الغربية .

والآن ، نبحث عن توزيع الغرف فى هذه الدار الكبيرة . أما الفسقية الوسطى ، فكانت فى حوش يمكن تطبيقه على الشكل المستطيل المرموز لزواياه بالأرقام ١ و ٢ و ٣ و ٤ (شكل ٢٤) . ونسبة العرض الى الطول فى هذا الشكل كنسبة ٢ الى ٣ . ولا يبعد أن تكون الجدران التى فى الجهة القبلىة من الفسقية مخلفة من أبنية سابقة . لأنها منخفضة عن بقايا البلاط التى لا تزال بمكانها . وتحيط الجدران المذكورة بخنصرة ١٠ ، وجدت وقت الحفر مملوءة بالطين . وهذا ، يحمل على الظن أنها معدة لغرس بعض الشجيرات والأزهار . كما يجوز أن الخنصرة ١١ المنقورة فى الصخر ، كانت معدة لشجرة فى الحوش .

وكانت مياه الفسقية ١٠ ، تنحدر فى الجهة القبلىة من شاذروان ١٢ . الى قناة مكشوفة ١٣ ، مبلطة الجوف ، تنهى الى الفسقية الوسطى ١٤ . ولا تزال هناك بلاطة رأسية ١٥ ، بها ثقب تنحدر منه المياه الى الفسقية الوسطى .

وبالجهة الغربية ، قطعة فضاء كبيرة خالية من أسس المباني . ولذلك رسمناها على شكل حوش غير منتظم ١٦ ، يحده من الجنوب جدار يفصله عن الشارع . ويحده من الجهات الثلاث الأخرى أبنية مختلفة . والظاهر أن هذه الأبنية لم يراع فى توزيعها نظام التماثل .

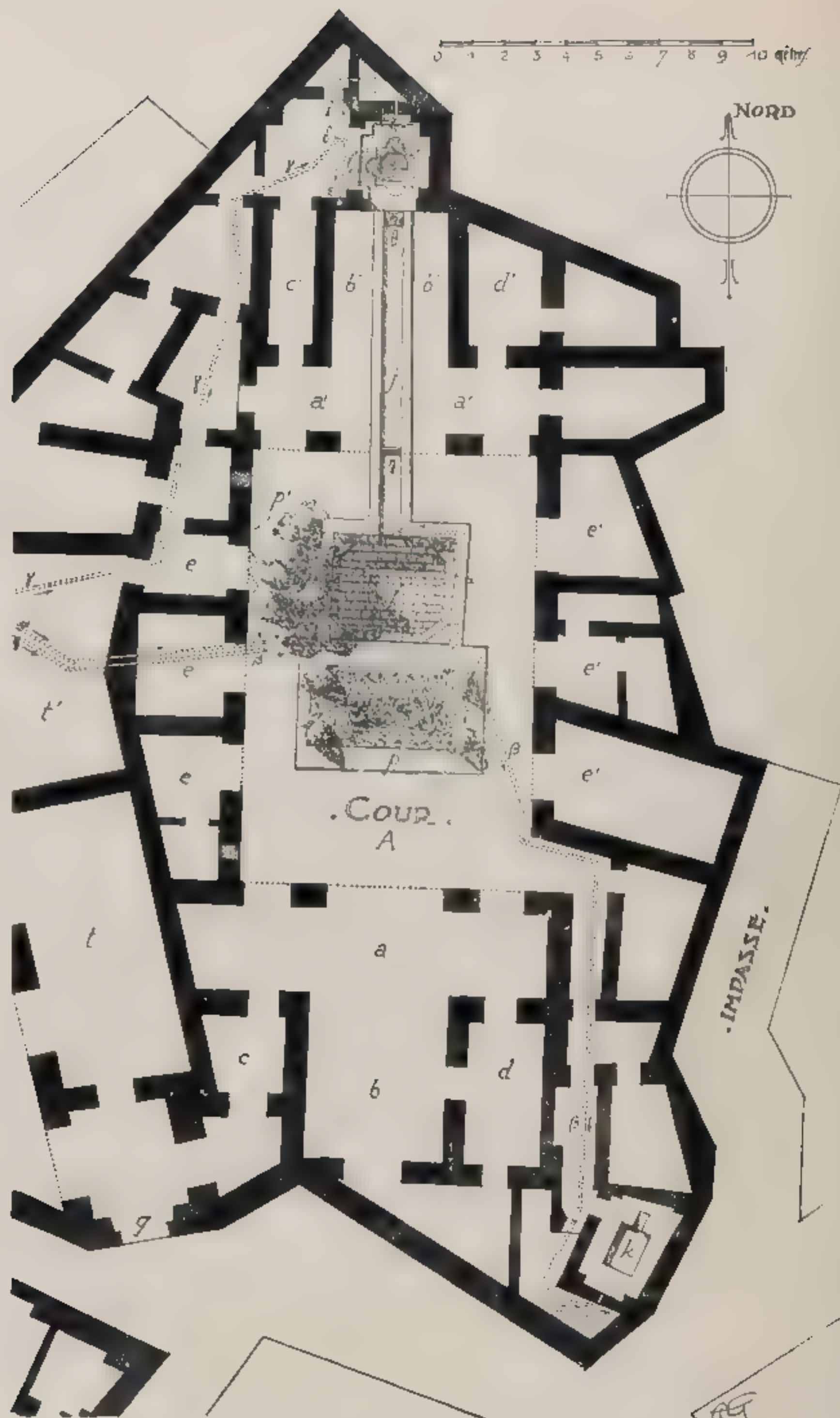
ولم يثبت فى الرسم من التفاصيل إلا القليل الذى يساعد على فهمه . على أن هذه التفاصيل فى الغالب خيالية . كما يقين من مقابلة الرسم الذى تخيلناه لهذه الدار بالحالة التى وجدت عليها . ومن بين هذه التفاصيل التى تخيلناها ، المدخل المرموز له بحرف « هـ » . وفى « هـ » أماكن مختلفة تخيلنا لها أبوابا .

وفى ١٧ مناطق مستطيلة . محدودة بجدران لها فتحت كبيرة على الحوش . وربما كانت اصطبلات ومخازن ، ونحو ذلك . اذا قلنا بوجود مرافق الدار فى هذه الجهة . ولكن الظاهر

نمط ٤٢ - الدار السادسة (المقطع الأفقي كما هو الآن)



مسلك ٢٤ - الدار السادسة (القطر الأثني بعد إعادته إلى أصله)



يخالف ذلك . ومن الجائز أن يكون بين هذه الأماكن القسم المخصص للحريم أيضا ، يقابل غرف الاستقبال المحيطة بالصحن المستطيل ١ . ولا داعي لأن نقول ، إننا لم نجد أثرا يدعم هذه الفروض . وما ينبغي التنبيه إليه ، إننا لما عينا في الدور السابقة محل الحريم ومحل الرجال (السلامك) ، كان المحلان على اختلاف وظيفتهما ، يحتويان على أبنية . ان لم تكن في أوضاعها تماثل بعضها بعضا ، فعلى الأقل لتقارب في الشبه .

أما في هذه الدار ، فإن احاطة الحوش ١١ ، بأبنية غير منتظمة ومتباينة الشكل . يحل على الظن بأنه كان لمرافق لا للسكن .

مما تقدم يؤخذ . أن الدار السادسة كانت مستعملة على قسمين مختلفين يقابلان الحوشين ١١ . ١ . ولترك الآن القسم الغربي ، لأنه من الوجهة الفنية عديم الفائدة . ونجهد أن نبين كيف كان نظام الأبنية حول الحوش ٨ ، من واقع بعض الأوضاع المتماثلة من أسس الجدران . ولما نحى أننا عند تخطيط الرسم (شكل ٢٤) ، كنا نرجع في ذلك إلى الاستقراء . وسيتضح أن هذا الرسم ينطبق على المعالم التي أظهرها الحفر (شكل ٢٣) . وأن استنتاجنا إن لم يكن أقرب إلى الحقيقة في التفاصيل ، فإنه كذلك من جهة الأوضاع العامة . لأن تخطيطه من واقع الأسس جاء ببعض المميزات المعروفة في دور القسطاط .

ففي ٨ ، الحوش المتوسط وفسيحته ١٢ ، يحددها من الجنوب حوض للزهور والأشجار ١٠ . وتظلها من جهة الغرب شجرة ١٠٠ .

وفي الجنوب ، رواق ذو ثلاث فتحات ١١ ، يسلك منه إلى قاعة ١١ ، تكتنفها من طرفيها غرفتان صغيرتان ١٠٠ . وفي الشمال ما يماثل

شكل ٢٥ - الدار السادسة (قطع حسب ١٠ من الشكل ٢٣)



عقدة طبقات . وليست الدرجات الموجودة من السلم الحجرى في ٢٠ من الأدلة على وجود دور علوى ، لأن السلم قد يكون لصعود السطوح أو للوصول الى الخزان ١٨ ، المجاور له . ولنذكر هنا بعض التفاصيل التى تخيلناها وهى : مدخلات ١٠ ، ١١ ، ومواقع أكثر الفتحات والأبواب . وربما كان هناك حمام محل الحوض ١٢ ، الوصلة اليه المياه من الحجرى ٢٠ . ونظن أن المكان المجاور للحمام المرموز له بحرف « م » كانت به المراحيض ، وإن لم يبق أثر لذلك . وتدل المصارف العديدة المرتبطة بالمجارير المساعدة ، على وجود مراحيض أخرى من هذا القبيل ، كما هو مبين على الرسم الأفقى .

وقد عثر فى هذه الدار ، وهى السادسة ، على قطع كبيرة من الخزاف لها شكل خاص ، ومصنوعة على نمط واحد . على طريقة الخزاف التى عثر عليها فى الدار الخامسة . وقد أجلنا وصفها والكلام عليها . الى الباب السابع .

وبين القطع المذكورة ، قطعة من طراز مكتوب عليها بالكوفى "قصورا" تتكون حروفها من قطع من الطوب ، مثبتة فى كتلة من الجبس (اللوحة العشرون ٢٠-٢١) . والظاهر ، أنها بقية من كتابة قرآنية ، قد يكون قوله تعالى : (تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) .

وقد جرت العادة ، أن يختار من الآيات القرآنية ما يكون مناسباً للكان المراد كتابتها عليه . ويستنتج من ذلك ، أن هذه الدار كانت قصرا يمتاز بكثرة زخارفه واتساعه عن الدور التى كانت تنبئ فى المدينة ، ولكنه يعدّ وسط بينها وبين قصور الأمراء .

الداران السابعة والسابعة «مكرر»

(الشكلان ٢٦ و ٢٧)

هذه المباني التى درجناها باسم الدار السابعة ، والسابعة «مكرر» ، يفصلها عن الدار السابقة زقاق ضيق ، متوسط عرضه متران . وهى باقية بحالة جيدة ، خصوصا فى الجهة الشرقية حيث يبدو للناظر انعدام الفتحات فى الجدار ٧٧ . ويتبين من ذلك ، أننا أمام دارين منفصلتين :

(١) القرآن الشريف ، ص ٢٥ آية ١١ وفى الآية ٧٢ ، من السورة السابعة قط «قصورا» .

منهما الدار السابعة يسهل الاستدلال فيها على موقع الحوش الضيق (شكل ٢٧) ،
والرواق ذي الفتحات الثلاث // ، والقاعة // . ومن المحتمل ، أن يكون المدخل عند // .
وفي // ، بقايا إيوان . وفي // ، موضع المراحيض . كما تدل عليه القناة والبيارة المتصلتان بهذا
المكان . وهذه التفاصيل يمكن التثبت منها . بمراجعة الرسم المثل لهذه الدار ، بالحالة التي هي
عليها . ومع أن هذه الدار زالت حتى الصخرة في نهايتها الشرقية فإنه لا يزال باقيا من معالمها
ما يساعد على تكميل الرسم الأفقي بالقياس والمضاهاة .



شكل ٣٦ - الداران السابعة والسابعة «مكرر» (المسقط الأفقي كما هو الآن)

وليس الحال كذلك في الدار السابعة «مكرر» ، فإنها أوسع ، ولكن بقاياها أقل وضوحا .
ولذلك كان الرسم الذي وضعناه لها أكثره تخيليا . فتصورناها دارا تستعمل على حوش // ،

ورواق K ، وقاعة كبيرة L . وقد يكون بالجهة المقابلة إيوان H . وفي P بقايا حوض ماء
وزلعة نفار تملا بالمياه .

ولم تجر العادة بوجود نعمة محال كهذه . متساوية تحديق بالايوان H . والظاهر أن الدارين
ولا سيما الدار السابعة كانت الواحدة منهما لا تسع أكثر من أسرة واحدة .



شكل ٢٧ - الداران السابعة والسابعة «مكررة» (المسقط الأفقي بعد إعادته إلى أصله)

وقد خلت الدار من الفساق والآبار ، وهو أمر لا يعد من الشواذ . ولكن يلاحظ
أن المواد المستعملة في البناء هي من نوع ما في الدار السابقة . ولذلك يرجح أن الدارين
المذكورتين من ملحقات الدار الكبيرة ، وأنهما كانتا متخذتين للضيافة . والعادة أن الأغنياء من

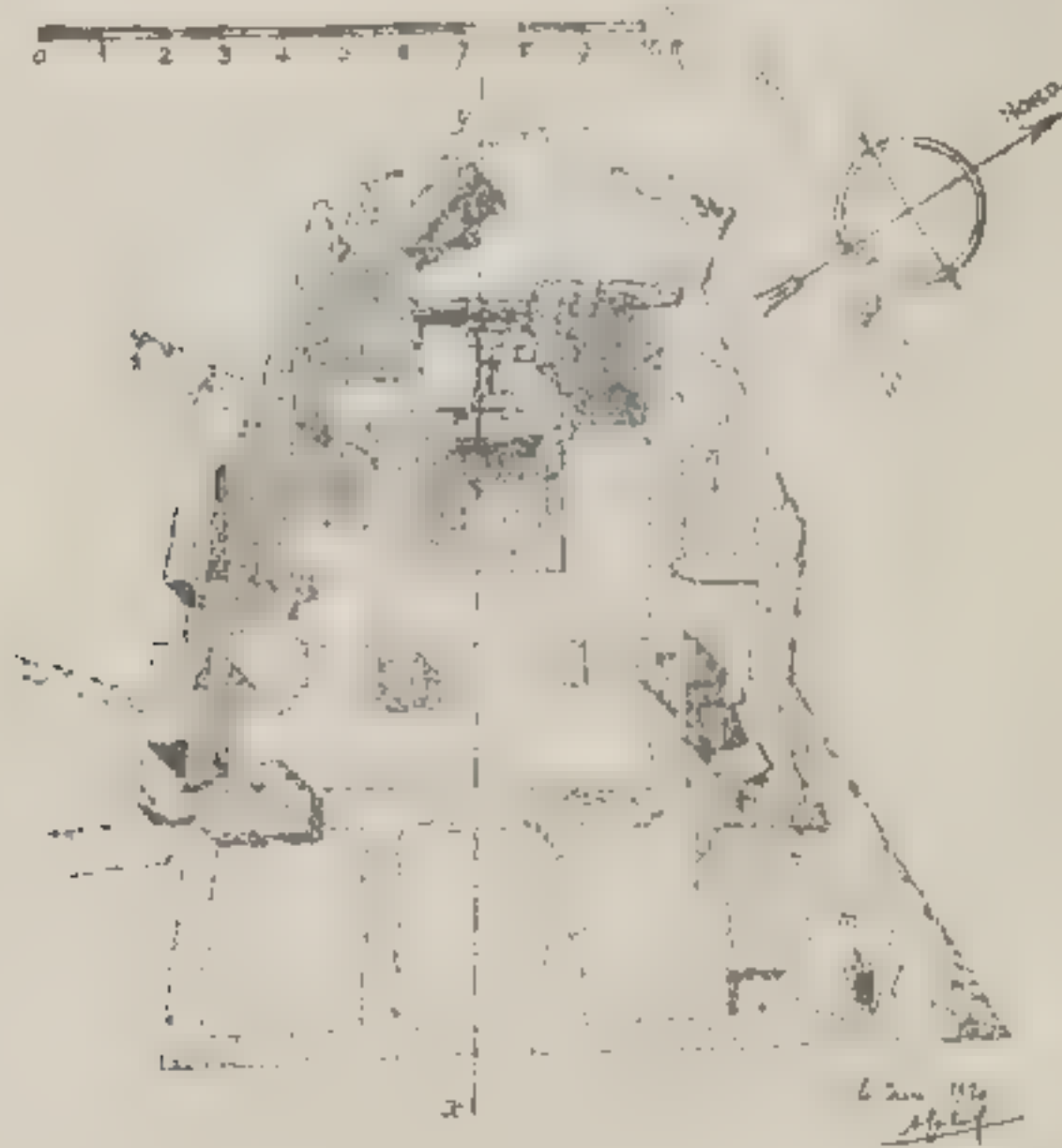
ذوى الأملاك يخذون دورا يخصصونها لتزول الضيوف ، ويجعلونها بمعزل عن البيوت التى يسكنونها . ومن قبيل ذلك ، دار الضيافة التى بناها عبد العزيز بن مروان بالخشابين .

ومهما كان الغرض من الدارين ، فإن الصغرى منهما (نمرة ٧) ، وهى التى تشغل من المساحة نحو ٧٠ مترا مربعا ، كانت تحتوى على مشتملات ومميزات الدور الكبيرة الواسعة الأرجاء .

الدار الثامنة

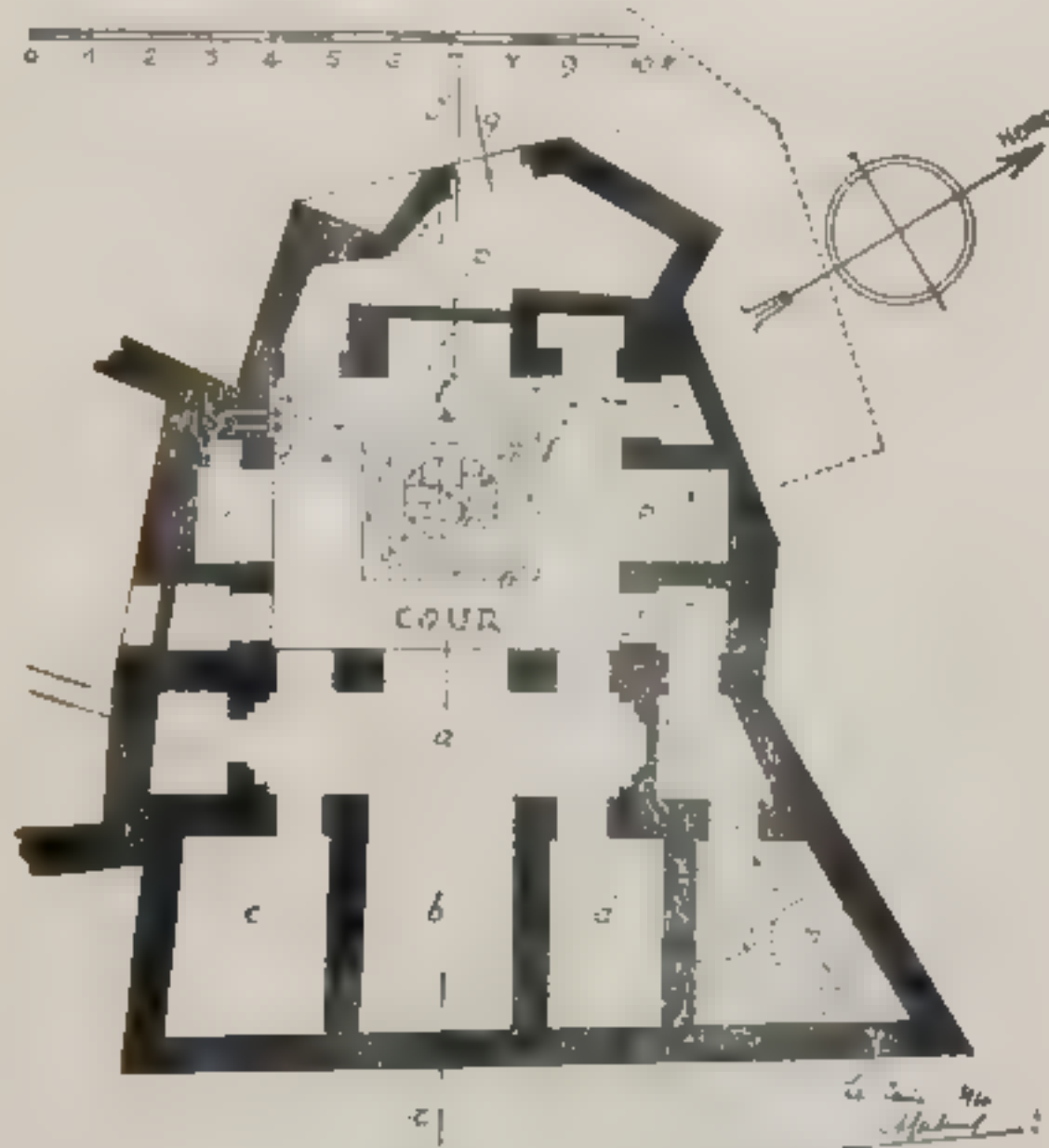
(الأشكال ٢٨ و ٢٩ و ٣٠)

هذه الدار قائمة على أرض غير منتظمة كما فى الدارين الثالثة والرابعة . ولكن بانيتها تمكن من أن يجمع كل ما يلزم للسكنى فى جناحين متقابلين ، فيشاهد فى الرسم الممثل لحالتها الحاضرة (شكل ٢٨) ، محتويات الدور المعتادة كما يبينه فى الرسم (شكل ٢٩) . فهى تشتمل على الحوش ١ ،



شكل ٢٨ — الدار الثامنة (المسقط الأتقى كما هو الآن)

وفسقيته *h* ، والرواق ذي الفتحات الثلاث *g* ، والقاعة الكبرى *f* ، والغرفتين *e* ، *d* ، والاواوين الثلاثة *c* ، *b* ، *a* .



شكل ٢٩ - الدار الثامنة (لمسقط الأفقي حد اوجاعه ان أصله)

وفي الزاوية القبليّة الشرقية ، بالمكان المرموز له بحرف *h* ، بئارة مستديرة *m* ، بها بئريخ *i* . وقد يكون هذا المكان معداً للمراحيض . وبجوار ذلك بعض كتل مبنية بالآجر ، ربما كانت أسس بعض الأحواض . لأنها متصلة بالمجرور ، بواسطة أقنية صرف تمتد من البئارة *m* وتنتهي ببئارة أخرى *n* . وكان موجودا بزوايا الحوش ، الخلاوى الصغيرة *o* ، وتختصر المجارى في قناتين من القطار *x* صاعدتين رأسياً في صاب الجدار فكانت المياه تنزل من حوض مرتفع . وليس في وسعنا أن نقول كيف كان يملأ ، لأن البئر القريبة منه واقعة على بعد خمسة عشر متراً ، وهي بالمنزل الذي يليه في الجهة القبليّة الغربيّة .

وهناك قناة γ ، غائرة في الأرض ، تؤدي الى وسط الخوض . وفي نهايتها فوهة من نحاس وجدت بمكانها الأصلي .



شكل ٣٠ - الدار الثامنة (قطع حسب yy من الشكل ٢٨)

وتدور حول الفسقية ، قناة رمزنا α بحرف α في الزاويتين البحرية والقبليية . ويلاحظ هنا ، وجود قناتين اختصت بهما هذه الفسقية لصرف المياه . احدهما γ تخرج من باطن الخوض . وهي تستعمل اذا أريد تصفيته من كل مياهه . والأخرى α - فتحتها باستواء سطح الماء ، وتستعمل مع القناة الأولى لصرف ما يفيض من مياه الفسقية الى البوابة α .

ولم نعث على ما يدل على باب الدخول ، وقد يكون في γ . بالقرب من البناء الذي على شكل مصطبة مثلثة المرموز له بحرف β . ولا يزال على حاله الى الآن . واذا تحقق ذلك يكون المدخل في الدركاة α ، منعطفا على شكل كوة ، وهو من الأوضاع المألوفة في الآثار العربية . وليس هناك أثر لم يستدل منه على أن الدار كان بها دور أول .



الباب العاشر

مميزات الدار التي بوسطها حوش

إذا صرفنا النظر عن بعض الشواذ . يستنتج من الأوصاف التي أمينا عليها في الكلام على الدور، أن الغرف كانت تحيط الحوش بنظام متقابل . في كل دار . اللهم . إلا في بعض الأحوال . فإذا استثنينا الدار السادسة التي تمتاز من بعض الوجوه بشكلها الخاص . يمكن حصر الدور التي تكلمنا عليها في أشكال بسيطة متحدة في الشبه اتحادا تاما .

ويجلى ذلك من رسم هذه الأشكال بجانب بعضها ، وبمقياس واحد . على لوحة واحدة (شكل ٣١) . فيرى في جميع هذه الدور . أنها تتكون من نظام هندسي قائم على محورين متعامدين . يلتقيان في وسط حوش تختلف الغرف المحيطة به في المقاس والنسب . وفي كل جنب من جوانب الحوش رواق ذو ثلاث فتحات . تختلف في الضيق والسعة . منها الفتحة الوسطى أوسع من الفتحتين الجانبيتين . ويفصلها عنهما ككتفان مبيان بالآجر . وفي سمت الرواق . القاعة . وهي قاعة كبيرة يزيد طولها عن عرضها . وتكتنفها من جانبيها حجرات صغيرة . متعلقات عنها .

وفي الجوانب الثلاثة الأخرى من الحوش في محور كل جانب . أواوين تختلف في الامتداد إلى الداخل ، فتتكون منها تارة قاعات (٦ من الشكل ٣١ الدار الثالثة) وطورا وهو الأغلب . أواوين صغيرة أو صفوف .

(١) راجع الفصل الرابع ، وصف هذه الدار مع الأشكال ٢١ إلى ٢٥ وسنجد بعد ذلك . إلى أي درجة ، تختلف هذه الأبنية عن القواعد المعمول بها .

١ - النسب

لم نقف على الطريقة التي كانت متبعة في تخطيط الرسم الأفقي للدور . هل كانت بالطرق الهندسية أو الحسابية ؟ كما أننا لا نعلم ما هي الوسائل التي كان يستعملها البنّاءون في ذلك . ولقد جاء في الرواية المتواترة عن بناء الجامع الطولوني أن مهندس القبطي صورته على الجلد .

ولا يبعد أن البنّائين كانوا قبل وضع أسس الدور يرسمون البناء رسماً مختصراً على الجلود، أو على ألواح من الخشب . وكانوا يخصصون للدار مساحة محدودة . ويضطرون في تقسيم البناء إلى الجرى على مقتضى الضرورة . مراعين في ذلك حالة الطرق والحوار وغيره . ويعالجون ذلك بالاستقراء والتصرف في ترتيب الرسم الأفقي . بالزيادة والتقصان . حتى يتوفقوا إلى تركيب منظم . وهذا سبب الاختلاف في عدم النسب الذي ما كان يتأتى لو طبقت القواعد الهندسية .

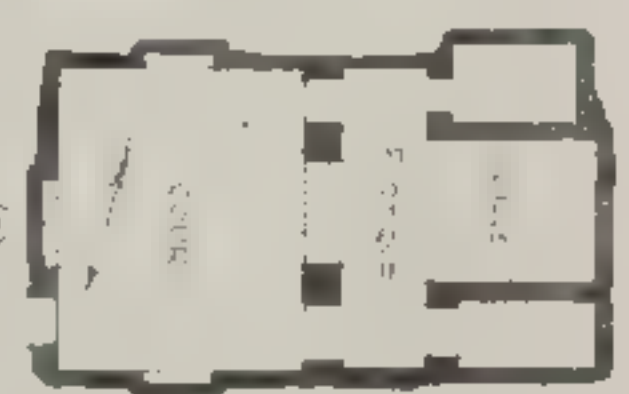
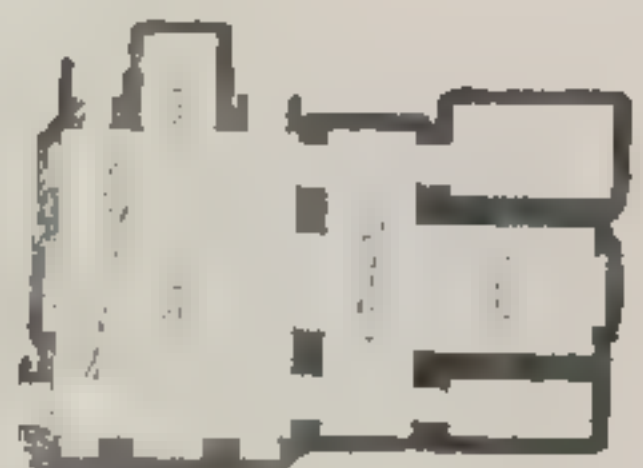
وكانت الأبعاد الأصلية للحوش والأروقة والقاعات منحسبة في الغالب بواسطة المضاعف البسيط لوحدة الطول وكسورها . على أن البحث في ذلك بسبب عدم انتظام البناء لا يؤدي إلى نتائج حقيقية واضحة . ولا بأس . أن نأتي هنا ببيان بعض الأبعاد التي استخرجناها من الدار الثامنة . حيث يظهر لنا استعمال وحدة تقرب من ٦٤^١ .

(١) أحسن أحد بن طولوس الصراحي الذي تولى به بناء العبد . واستشاره في بناء الجامع . فقال : "أمره ثلاثين حتى يراه عياناً بلا عمد إلا عمودي الخلة" فأمر أن تحصر له الجلود . فاحضرت . وصورة له . فأجبه . واستحسب . وأطلقه . فخلع عليه ... "المقرزي ج ٢ ص ٢٦٥ ، وفي القرن الرابع الهجري . رسم محمد بن حنبل . أي بنى بيتاً وداراً بجزيرة الروضة . صلب تعليلهما وتقدير النفقة عليهما فصورهما ووصفهما التقدير . المقرزي ج ٢ ص ٢٨١ .

(٢) يلاحظ أن أبعاد بعض الحشاش نسبة ٤ إلى ٥ . ويظهر من ذلك أنه كانوا يستعملون في التخطيط الثالث المصري الذي يشارى ملما زار به القاعة ٣ و ٤ والوتر ٥ . ولكن العمل بالطرق الهندسية غير متعذر تماماً . لأنهم ولو شعروا مثلاً بأنهم في تعيين الأقسام الكبيرة من الدار فقد كانوا يوفقونه حسب الظروف . راجع عن التخطيطات الهندسية ما كتبه فيروز (١٩٢١) (ص ١٠٤) وملاحظات سيبويه في "صورة الوسطى" .

(٣) من كانت الوحدات المستعملة فيها ما لا يبلغ مقامه برسم حشد . أنت تهمل الوصول من القاعات الموجودة إلى أي استنتاج . لأن الأغلاط التي يقع فيها سواء تزيد في الواقع أو تقل في هذه الوحدات .

(٤) احتسب مقدار الفراغ يمرور الزمن في كل جهة . وكانت تستعمل عدة أفرع تتفاوت في المقدار في الوقت الواحد مثله ذراع آدمي وهو ذراع إلا أن ذراع الخديج المستعمل بمصر . وكان ذراع الخديج أصغر من ذراع العمل وهو ذراع وثلاث بالذراع المذكور أي ذراع الخديج المستعمل بمصر (راجع مرقعة الناصري ص ١١٢) وقد لاحظ منظره في سائر استعمال ذراع مقامه ١٨ ص ١٠٨ (راجع "صورة مبسطة في الفكر" *Revue cartographique* Borchardt, H. Hensfeld تأليف F. Hensfeld وقد حقق ذلك في بذرة شاذة دقيقة في أجنة كثيرة من الدور المصرية في المسطحات الموصلة إلى مظهر من حيث عسك . وقد أوردنا هذه الملاحظة . ولا قصد به إلزام في عمل بحث من هذا القبيل إذا سمحت الظروف .



شکل ۲۱ - جدول در رتبه السطحات الإقفية (مقاس ۱:۲۰)

طول الحوش	...	$10 \times 0,764 = 7,64$ م
عرض	...	$8 \times 0,764 = 6,11$ م
الرواق ذو الفتحات الثلاث	...	$3 \times 0,764 = 2,29$ م
امتداد الإيوان للداخل	...	$3 \times 0,764 = 2,29$ م
عرض القاعة الجانبية (البحرية)	...	$3 \times 0,764 = 2,29$ م
العرض الكلي لحوض الفسقية (السطح)	...	$2 \times 0,764 = 1,53$ م
عرض الأتكايف بالحوش (الواجهتان الشرقية والغربية)	...	$0,764 + 0,764 + 0,764 = 2,29$ م
العرض الكلي (البحرية والقبيلة)	...	$1 \times 0,764 = 0,76$ م

٢ - الاتجاه

الرواق ذو الفتحات الثلاث الذي يميز منه الداخل إلى الغرف المهمة من السكن يستقبل المشرق على وجه العموم . وقد يستقبل المغرب . وكانوا يجنبون الجنوب . كما يجنبون الشمال . والظاهر ، أنهم كانوا يحاولون أن يكون الاتجاه قريباً من الشمال الشرقي ، ولما كان ذلك في الامكان ، على أن هذا القصد (راجع الجدول شكل رقم ٣١) - لم يكن من المتيسر تحقيقه في كل مرة . لأن شكل الأرض ، وموقع المدخل ، كانا يضطران الباني إلى الخروج عن هذه القاعدة التي كانت غالبية الاستعمال .

٣ - مشتملات الدار

(١) الحوش . ما ورد في كلامنا عنه إلى الآن ، يقصد به الحوش الوسطاني ، أي الفضاء السماوي لا القاعة ذات الشحنيخة التي تشاهد في بيوت القاهرة ، وقد توجد حيثيات صغيرة المقاس (٤ - ٥ أمتار) يمكن تسقيفها بمربوعات من الخشب . ولكن إذا بلغت

(١) جاء في ابن دقاق ، ما يدل على الميل إلى تلطيف هواء المنازل . وقوله في ذلك : هو من دور القاهرة في آخر القرن الرابع عشر الميلادي ، ولا شك أن دور القاهرة كانوا يتنعمون بذلك في القسطاط . وهذا من ما قاله ابن دقاق ، وتبريح الحرارة على الرطوبة في هذه الأماكن (مصر) كان اعتناؤهم في المساكن التي يتنعمون ، لا سيما من طرفه المشاهير له وبهذه أضاف اعتناؤهم بالبناء وما يحث صفيه من الوقوف المشاهير له ج ٤ ص ١١٨ .

(٢) . أن ذلك . فيقول ، فانه وضع قواعد الاتجاه (فيقول مع شواذ ج ٤ لوحة ٤ ص ٩ ص ٩) ، ولكنها لا تطبق في الحقيقة إلا على أحسن الأحوال في بعض المناطق الحضرية ، ويتعدى تحقيقها بالمتعة إلا إذا كانت الأرض واسعة . أما هنا فذلك ، فقد كان راعى تطبيق هذه القواعد على قدر الامكان .

في الطول ٧ أمتار الى ١٠ تحتاج الى دعائم متوسطة . وهو ما لم نعثر له على أثر في الحيطان التي تكلمنا عليها .

فضلا عن ذلك . فان الرواق ذا الفتحات الثلاث لم يكن ممكنا فتحة إلا على فضاء طلق الهواء . حتى يتوفر للقاعة الكبيرة الظل والظراوة . أما اذا كانت الحوش مستوفاة فلا تكون لهذا الرواق فائدة . وكذلك أحواض الزهور التي حول القسقية، فانها تتطلب وصول النور إليها مباشرة . ويجوز أنهم كانوا يتخذون الخيم أو المظلات لتغطية جوانب الحوش . فيصبح الحوش والقسقية في وسطه على هيئة الـ *impluvium* في البيت الروماني .

ولأجل أن نوفي الكلام حقه من التفصيل في هذا الباب . نتقصنا معالم من البناء لم نعثر على شيء منها بعد .

(ب) الرواق والقاعة . هما المحلان المهمان من البيت . وقد يلاحظ أنه لم نعثر في نقطة اتصال القاعة بالرواق على عماد ، ولا أكتاف ، بمعنى أنه اذا قصر النظر على المسقط الأفقي ، رُئي فضاء على شكل *L* تحده الجدران . وقد عثر مسيو هرزفيلد في سر من رأى على مثل هذا الوضع فسماه *L förmiger Saal* .^(١)

والحقيقة أنه لم يبق في سر من رأى ولا في القسقاط من الجدران إلا ارتفاع قليل ، لا يسمح بمحاولة وضع قطاعات واضحة للدار ، تبين ما كانت عليه في الأصل . والأصوب عندنا أن يقال عنها إنها مجموعة مكونة من رواق داخلة قاعة ، جعل مدخلها في كامل عرضها . وليس فيما اصطلح عليه ما ينقض أن الدار كانت تتألف من مجموعة تكون قطعة واحدة . ولكن رأينا يرجح بوجود الشبه بين الرواق والـ *peristæ* (الصدر من قسم الحرم)

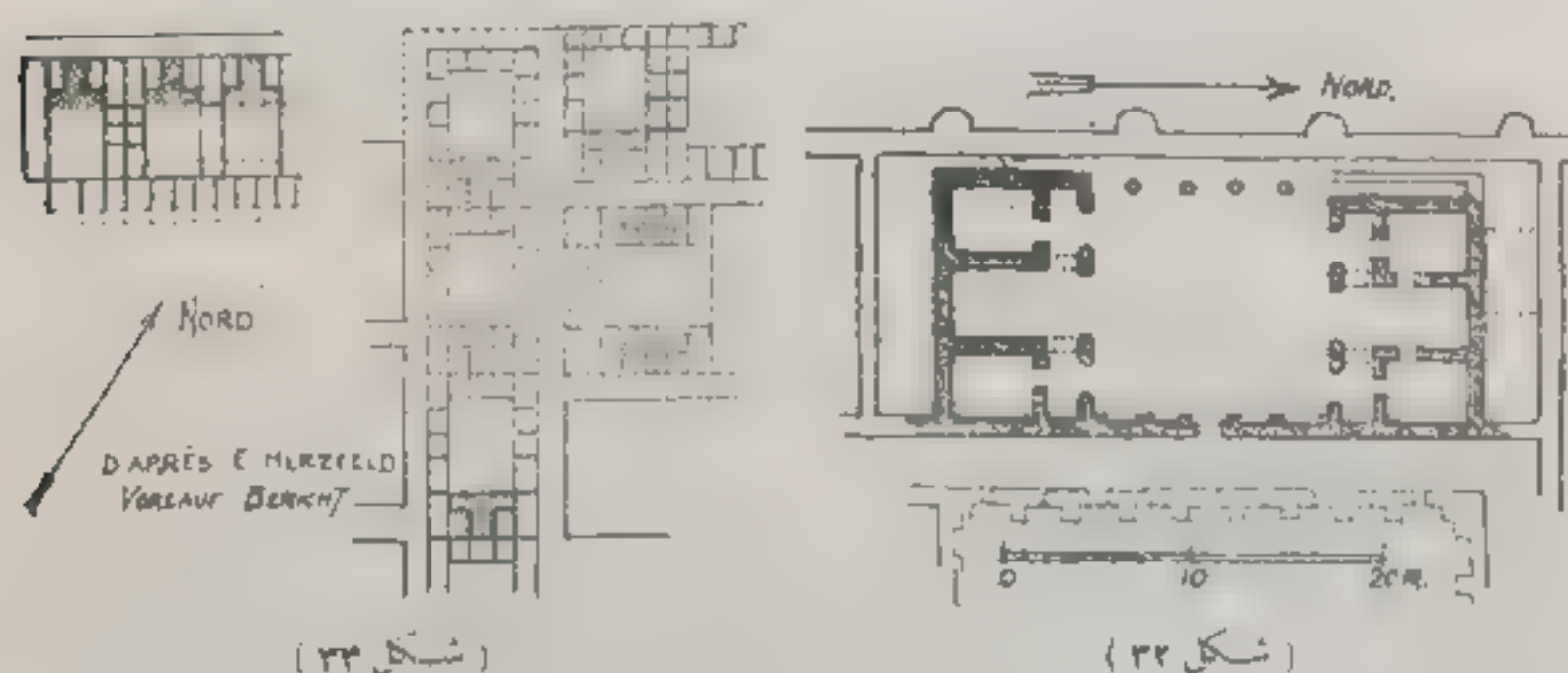
(١) في حالة ما يكون الـ *impluvium* ليس له شكل فقط ارتكاز متوسطة كافي الحوش المستوفى المتوسكن أو الذي تصرف به الأمطار خارجه ولا تدخل إليه *Cavaedium tenebris, on cavaedium diaphanum*. (Vitruve ed. Choisy t. IV, Pl. 60 et texte, liv. VI, chap. III, 2, 11.)

والـ *impluvium* عند الرومان فمربعة في وسط حوش مستوفى فتحة في وسط السقف كانت تسمى كـ *impluvium* . (عكوش)

(٢) أي قاعة على شكل حرف *L* . راجع E. Herzfeld, *Feater einschüfiger, Bericht*. ص ١٧ و ١٨

في البيوت الهلنستية. من جهة . وبين القاعة والاوليكوس *oikos* (غرفة الاستقبال) من جهة أخرى .

وهذا الشبه متوفر أيضاً في الحجرين فلهما شبيهتان بالثلثوث *tholos* . والانتيلوث *antelothos* . وهما حجران للتوم .



(شكل ٣٣)

(شكل ٣٢)

ويلاحظ . أن هذا النظام المتخذ في الدور لا يزال إلى الآن مستعملاً في عدة جهات من العالم الإسلامي . وقد وجد منذ بدأ الفن الإسلامي في الأخصر (شكل ٣٢) وفي سامرا .

(١) راجع ما كتبه ليثرف عن الهيرستاس والاوليكوس مع شواذى أيضا في باب ٩ ص ١٠١ ، وما كتبه في *Wingard* وشرا *Schrador* عن طريق شكل ٣٠١ وما يليه . وليس من المستبعدات المنحة في البيت الهلنستي وجود الأروقة الداخلية المتواصلة بجوانب المحوش الآخر *peristyle* من طرفين من المصوم . من بيوت ينقسم وجود الأروقة فيها على ثلاثة جوانب . أو جانين أو جانب واحد . (يرى ص ٢٨٥ شكل ٢٩٨ وما يليه) ولزيادة على ذلك في الأحوال التي تكون فيها الأروقة مطردة على جهة عشر . ليس من الضروري قيام التماثل في الجهات الأربع . وهناك نظام قريب أوردته فيزوف في طبقة الزاوية ٦ - ٩ وهو الزواقي الروماني المسمى *peristylum rhodianum* ومنه نسخة في *Prism.* p. 297. fig. 316 (يرى ص ٢٩٧ شكل ٣١٦) وهو يتكون من زواقي واحد في جوانب المحوش مرتفع عن في الجوانب الأخرى وله واجهة من المحوش كما في فيزوف ولكن الاتجاه يختلف تبعاً للواقع .

وأما قبل إن بيت الصقار منحد على مثال البيت الهلنستي ، أو أن اليقين يرجح أن إلى أصل واحد . منه من المنكر تشبه زواقي القسطنطينية في الشفحات الثلاث ، والزواقي الديني (راجع فيزوف طبقة ١٠ - ١١) وفيه التكاثر السادس . باب ٩ ص ١٠٨) وقد جلب في قسطنطينية الاواوين من الأروقة الصغيرة في بيت البرفاني . وفي تكرار الأركان المتخذ من آخره صنف ذلك بناء ما يشير بوجود نظام مطرد .

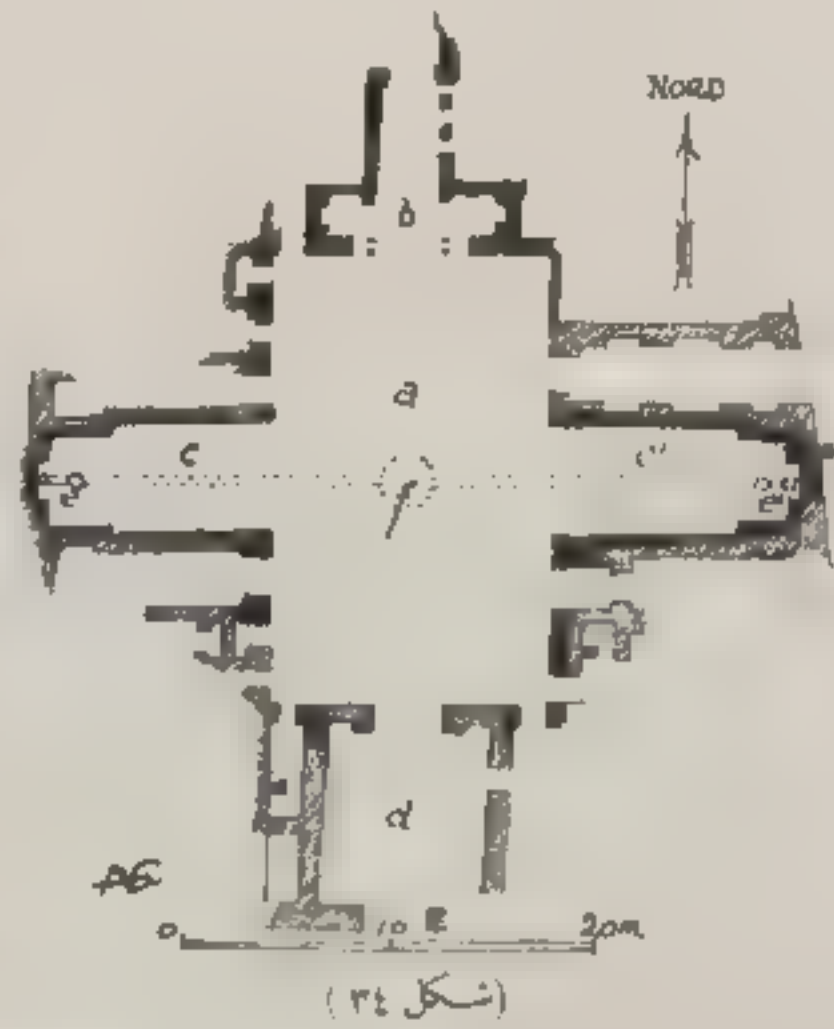
(٢) راجع فيزوف . مع شواذى . الكتاب الحادي عشر الباب التاسع ص ١٩

(٣) راجع القصر الحادي والأخصر ص ١٠٠ - ١٠١ (الزم الأثر لوحة ١)

(شكل ٣٣) وفي القاهرة في قصر ست الملك، لما كان على أصله . قبل أن يضم إلى «ارستان قلاون» . وقد تمكن هرنس بتأنيده من رسمه على حسب أوضاعه الأصلية (شكل ٣٤) .
ويوجد أيضا بتونس في بعض الدور المختلفة من القرن الثامن عشر . وفي بعض الدور الحديثة العهد بالعراق .

على أن هذه البيانات لا تفتح الطريق أمامنا إذا أردنا الاستدلال على المصادر البعيدة العهد التي أخذ منها هذا النظام القريب . ونرى من العبث، محاولة البحث عن الأصل الذي اقتبست منه الأمثلة القليلة التي ذكرناها بين المدن القديمة في الشرق .

وهلا يكون الأصل الذي بنيت على مثاله الدور في العراق وإيران واليونان ورومة مأخوذا عن الحيلانيين والحبيبيين ؟ ولكن كيف كان التطور



- (١) يحتوي هذا الشكل على رسم من تصميم نكولاس كارميه هيرفيلد (Erster vorläufiger Bericht) . ويشاهد هذا الوضع نفسه في ليون التي كشفت في سامرافند شرميو هيرفيلد رسمه بخامس صغر هذا لا يمكن استنتاج شيء منه . راجع «العمارة الإسلامية في سامرافند» R. Herzfeld, Mitteilung über die Arbeiten des zweiten Kampagns von Samarra, in der Islamische ١٩١٤ ص ١٩٦ - ٢٠٢ . الشكل ٢٠٢ ص ٢٠٣ .
وقد جاء في الوصف الموجز الذي أورده سيو هيرفيلد أن الأجزاء التي رسمها خيت عن تصميم ثابت (مؤلف من حوش في الوسط بصورة قاعة على شكل L، بكل من جانبها جدران مغلقة) (R. Herzfeld, Erst. vorläufig. Bericht, p. 11 et suiv.) ص ١٤ وما بعدها .
- (٢) هيرفيلد في «منازل السلطان قلاون بالقاهرة» Die Baugruppe des Sultans Qalāwūn in Kairo, (Abhandlungen des Hamburgischen Kolonialinstituts, t. XLII, Hamburg, 1919) ص ٢٣ . الشكل ٢٣ .
- (٣) راجع «نحت و العمارة العربية والمغربية بالأندلس» تأليف ج. رولاند دي بريجي . (G. R. de Bréjot, Essai sur l'architecture des Arabes et des Maures en Espagne) ص ٢٤١ - ٢٤٢ . لوحة ٢٤ - ٢٥ .
- (٤) نقل سيو رولاند عن بغداد ومواقع رسم كثير من البيوت الحديثة العهد . فيها المثلث تحيط بحوش مربع . والطبقة الأرمية مسقوفة بعدد . ورواق الطبقة الرئيسية من البيت بها فتحات واسعة . الانواع مبنية على الحوش . والمكان المعروف بطارمه ليوانت يقابل مسددا الأيوان والفتحة (راجع الدار بغداد ورواقها من مدح عراق . O. Bröcher, Die Wohnhäuser in Bagdad und anderen Städten des Irak) . وعلى الخصوص (راجع شكل ٥٩ ص ٢٧) .

في هذه البلدان؟ والباقي من مبانيهم نادر . ولا يوجد بمصر شيء من البيوت الملبينية والقبطية . ولا نعرف عن بيوت فارس الساسانية ، إلا بعض بيانات تافهة . ومن ثم نعدل الآن بحكم الضرورة ، عن البحث في الأصول التي استمدت منها أبنية القسطاط ، من مدن الشرق القديم .

(ج) الأواوين . هي من المرافق التي تلازم الحوش وتعد في طبيعة الغرف ، حيث يسهل التنقل فيها من محل إلى آخر . على حسب الفصول وساعات النهار . وهي في الحقيقة توافق الطقس مهما كانت متقلبا . ولا تخلو من علاقة بالألبه *albe* . محل الانتظار في الإيميلوفيوم الروماني . والتريكليينا *triklinia* ، قاعة الأكل . والا كريدرد *exedra* قاعة الجلوس في البيت اليوناني ، الأندرونيكس *andronexis* الذي وصفه فيثروف .

ومن رأينا ، أنه لا يوجد ما يثبت وجود الشبه بين هذه الأماكن التي تحيط بالحوش المكشوف ، وبين الوضع الأفقي الصليبي . المشاهد في الكنائس اليونانية والسورية ، ذات القباب الدائرية . ولا يفوتنا ، أن شكل الأفق في الكنائس ، التي على شكل الصليب اليوناني ، والأبنية المماثلة لها ، كان الباعث على اتخاذها ، ضرورات التوازن . لأن البناء بهذا الشكل أوجد حلا لطيفا لأحدى النظريات الميكانيكية ، إذ به تلاشى تأثير ضغط القبة المتوسطة بلا حاجة إلى إقامة دعائم ، أما في دور القسطاط فإن الأمر يختلف عن ذلك اختلافا جوهريا . لأننا إذا تركنا جانبا النسب والقياس . نرى أن الأواوين

(١) لمس بل من " د.ب.د. " بحث عن أصول القصور الأولى في العهد الإسلامي . وقد عثرت الخيال لعمدة اليونان الطارئة . من نظريات المبلاني . ولكنها حلت من قبة هذا الرأي بقولها : إن البيت المبلاني صدرت به الفكرة التي أدت لأن تراء الطارئة على اليونان . (راجع الفصل الرابع من " لايفير " لمس بل من ٨٧) . ولاحظ . أن الرواق الخلق ذو الفتحات الثلاث . يصدر قبة تكون غالبا على مس اتجاهه يملك لها من باب . وإذا يكون النظام الذي على شكل " ز " زيدت فيه قاعدة ، يسم مصدره به (راجع عن هذا الموضوع صاحب كولدوي *Koldwey* عن مباني المبلانيين في سوريا وبلاد آشور وفارس راجع " حفرات رندجيري " *Augenzeugen in Sennacherib* . تأليف *Hammel et R. Koldwey*) طبع برلين سنة ١٨٩٨ ج ٢ ص ١٨٣ وما يليها شكل ٨٣ و ٨٤ لوحة ٢٢ و ٢٦ و ٢٧) .

(٢) لا يمكن أن نعلم من تصيغات الأصلية المثال الذي شوهه سيورتي مورجان في " قصة علية فارس " *Mirjam el-Dinawar* . راجع ٢٤٦ و ٢٤٧ . لأنه لا يتم من مبدأ عام سابق على نظرية محال سكن . رواية ما يستنتج منه أن المنازل التي من هذا الطراز . كانت مشددة على طبقة الأرض . معقود بوقه دور أول مبنى به ، خفيعا .

(٣) فيثروف طبع شواذ الكتاب السادس الباب التاسع ٢١ - ٢٤

(٤) ومن قال بوجود هذه المشيئة سيور فان دشم في كلامه عن أواوين المدرسة . راجع . أنه اكس قد برهن عن " التماذج الأصلية لثاني المدينة الشهيرة في العارة الإسلامية وسورية ومصر " في دائرة المعارف الإسلامية طومس . طبع ليدز باويرس سنة ٨ - ١٩ ص ٢٢٨ - ١٢١

ليست بعيدة في الشبه عن الصفف الكبيرة بقصر عمان، وإيوان كسرى بالمدائن . وفي قصر ست الملك، أوأوين واسعة عن أوأوين الفسطاط . ولكنها موضوعة مثلها في اتجاه المحاور . وهذا يسمح لنا بالاشتراك مع هرتس بك في قوله : إن هذا الأفق يعين دورا من أدوار التطور لطرز مخصوص، تحوّل في القرن الثالث عشر الى الشكل المنبني عليه جامع السلطان حسن^(١) .

باب الدار — في الدور التي وصفناها لم تكن الابواب موجودة . وقد رسمناها على أصلها ولا نشك في أكثر المواقع التي عيناها لها . والمفهوم من رسم الدور التي لم تزل بها بقية كافية من معالمها، أن الدخول من الطريق الى الحوش . لم يكن على اتجاه محور من المحاور، بل من إحدى الفتحات، بجوانب الأواوين . ويظهر أن الدركاة أو الدهليز الذي يؤدي الى الباب، كانت على شكل كوع . ولم نعتد على هذا الشكل واضحا في الحفر . وإنما هو من القواعد العامة التي كانت متبعة في المباني الاسلامية في كل العصور . والغرض منه، حجب مايجرى في الحوش أو القاعة عن نظر من بالخارج .

٢ - الطبقات

ذكر ناصر خسرو، أن بعض دور الفسطاط كان مكوّنا من أربع عشرة طبقة . فلو فرضنا أن هذه الطباق كانت على أقل مايمكن من الارتفاع، لوصل علو البيت الى خمسة وثلاثين مترا

(١) أوردت Th. Wiegand في بعض المؤلفات الحديثة منشورات الادارة التركية والألمانية لحاية الآثار *Wissenschaftliche Veröffentlichungen des Deutsch-Türkischen Denkmalschutz-Kommandos* طبع برلين وليفج سنة ١٩٢١ (1. Heft 1) أفقيت بعض منازل سينت تكبلا ل دومه A. Musil في «الجازمة» (Arabia Petrea) ويرت هذه المنازل البعض يتكون من غرفة حول حوش في الوسط (شكل ٦٠ ص ٦٩) . وأحيانا توجد فيها كما في الفسطاط الأرواب مفتوحة على الحوش في كامل عرضها، غير أن هذا النظام، لا يرجع الى وضع مرعى .

وهي مع ذلك بيوت مبنية كلها بالحجر وكانت مفروها مرفوعة على عقود (شكل ٦٥ و ٦٦) بالطريقة المروية في البيوت السورية التي ترجع الى القرون الأولى من التساويع المسيحية (راجع سورية الوسطى *Syrie Centrale* تأليف م. فوجرية) .

(٢) راجع *Die Hängengruppe des Sultans Qalawun in Kairo* تأليف هرتس باشا (لوحه ٢٢ وشكل ٢٣) .

(٣) مما يؤسف له أن عمارات الأيوبيين لم تظف أيضا أمثلة من بيوتهم . ولا يمتوى كتاب وصف مصر إلا على جزء من واجهة القصر الذي أقامه نجم الدين في جزيرة الروضة . وكان بعضه لا يزال موجودا في القرن الماضي . (كتاب « وصف مصر » *Description de l'Egypte* ، مع أول لوحه ٤٥٣ و ٤٥٤ القسم الثاني ص ١٥٩ وما يليها) .

(٤) ناصر خسرو، « فرهاد » (طبع شيعة ص ٢١٦) .

على أقل تقدير . ولذلك نقابل هذه الرواية بشيء من التحفظ . على أنها قد تكون دليلاً على أن بيوت المدينة كانت طبقات . وقد وصل إلينا أن بعض المنازل كانت لها سطوح واطئة جداً . ومن البديهي أن المدينة لا تكون أبنيتها كلها على طراز واحد . فتكون فيها الفنادق والرباع . وكانوا يبنونها في الجهات المزدحمة بالمناجر على ضفاف النيل . ويجانبها الدور . ومن بينها ما يكون مخصصاً لأسرة واحدة . ولا شك . أن ما وصفناه من الدور هو من هذا القبيل .

أما تعدد الطبقات لدرجة كبيرة فتعريضه ثخانة الجدران . ونظام الرسم . على أنها لا يجوز بوجود طبقة عليا فوق الدور الأرضي . وهي مسألة بحثنا فيها لما تكلمنا على الدار الأولى . ولا يزال حلها أمراً مستعصياً .

وقد عرضت هذه المسألة نفسها لنفسه للبيوت المبنية على الطراز الطلينتي - في ديلوس مثلاً . ولكن كان هناك بين الانقراض بعض أجزاء من أكثاف وتيجان . مما لا يوجد عادة إلا في الأروقة القائمة في الطبقة الأولى . بخلاف المسطاط . فاننا لم نجد فيه شيئاً من هذا القبيل . ولا تكفي الشنايش الظاهرة في محل المربوعات بقمة بعض الجدران . لاثبات وجود الطبقة الأولى . على أن الشنايش التي وجدت من هذا القبيل قليلة العدد . ومن وجود الأقنية المستطيلة الرأسية (قصبات المراحيض) في الجدران . يستدل على أن مراحيض الدار كانت بحل عال . ولا يمكن

(١) وكان عصر مؤلفه من قبل الفساده قد سكنوا بيوتاً نصفه السقوف . قريصة من بعض الفرقاء ويطوف . وقد أخذوا سداً حطاطيفاً فإذا مر به أحد شالوه في أقرب وقت ثم مرووه بالأخشاب وشروحواله وأكلوه (الفريرى ج ١ ص ٣٣٧) .

(٢) قال ابن خلدون . كان الذين أول الأمر . من الخالة في البيان والأسراف في غير القصد . كما عهد في عمر حين استأذنه في بناء الكوفة بأجرة . وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا يبنونه من قبل فقال : افعلوا ولا يزيد أحد على ثلاث أبنان . ولا تطارثوا في البيان . والزموا السنة تلوكم الدولة . (مقدمة ص ١٧٥) .

وفي المسطاط . إنكل مازل العرب . في الأول . تحتوي إلا على حيفة واحدة أرضية . وكان خارجة أول من اطلق حرفة بالمسطاط . فكتب بذلك إلى عمر . فكتب إليه عمر أن أدخل حرفة خارجة . وانصب فيها ماءً ثم أقم عليه رجلاً . ليس الملق بل ولا بالنصب . فادخل من كراهها . فهدمها ففعل ذلك عمرو . لم يبلغ الكوى فأقرها (ابن دقاق ج ٤ ص ٦) .

والله اعلم . ثبت . فائدة حصة كانت : أن البيوت من حيفة واحدة أرضية . ومن يصح ذكره في حياث ذلك . قول الفريرى : وكانت الفرس لا تصح شرب البهائم . كما لا تصح شرب الأسماء . ولا لأهل البيوتات ... (الفريرى ج ٤ ص ٤١) . وفي سائر . لا تحتوي البيوت إلا على طبقة واحدة .

(B. Herzfeld, Leuchtender Bericht, 17)

أن يستخرج شيء من وجود بقايا السلام . ومواضع الدرج . وليس السبب في ذلك صغر مقاساتها . لأن السلام في العمارة العربية حتى في الأبنية الفخمة كانت صغيرة الحجم . ولا يمكننا الجزم بأن السلام التي وجدنا درجاتها الأولى كانت معدة لغير السطوح والخزانات أو ما يماثل الصندرة .

وربما كانت هناك طبقة عليا كالتي في بومبي وديلموس . فوق جزء من الطبقة الأرضية . ويجوز أنها غرف مرتفعة مصفوفة الى جانب غرف أصغر منها على مستويين . ولم يكن من الضروري إذا أن تكون السطوح على استواء واحد . بل كان في الامكان جعل ارتفاع الغرف تحت السقف مناسباً لاتساعها . وهذه الافتراضات لم يثبتها شيء من المشاهدات الناتجة من الحفر . وكذلك الحال في الواجهات والقطاعات الأصلية . وهذا نساءل هل كانت سطوح الدار أو السقوف المتوسطة مرفوعة على مربوعات (جوائز) أو أقبية ؟ أما الظاهر من الأكاف والجدران، فإنه ضعيف جداً عن حمل الأقبية . ومنع تأثير دفعها . ومع ذلك فإن العقود المهموزة والحيزومية كانت شائعة، ولا يبعد أن تكون خليطاً من العقود المنقولة عن جامع عمرو وجامع ابن طولون . وكانوا يبنون بدل العمود دعائم من الآجر . كما في جامع ابن طولون، ويرفعون عليها الأقواس بالآجر أيضاً، حول الحيطان، على نظام مطرد، ثم توضع عليها المربوعات . وكانوا يجعلون السقف مسنوباً . وهو من التقاليد التي لم تزل متبعة الى اليوم . ولم نجد أثراً للقرميد بين الانقاض .

٥ - الغرف واستعمالها وتقاسيم الدار

من بين الدور المرسومة في الفصل السابق، ثلاث . لكل منها حوشان منفصلان ، بحيث يمكن اعتبار كل حوش وسط دار قائمة بذاتها . وهو وضع نجد فيه انقسام الدار اليونانية الى

(١) هذه الأقواس المنخفضة من الآجر، كانت تقوم مقام الحوائط من الخشب النحس، وفانحتها نظيفة في البلاد التي يقل الخشب فيها . وفي جامع سامراء، أكاف من الآجر، بطها قطع من الخشب، مرسومة فوقها الجوائز مباشرة دون العقود الخاملة . (E. Herzfeld, *Fachdjenger Bericht*, 14)
ويشاهد مثل هذا النظام في جامع المنصور بالرفقة . وفي الجامع الأموي بدمشق . أما في مصر فقد عثر استعمال العقود ، والظاهر أنه من الطرق التي عثر بها من سوريا . ومن المقول أن البيوت كانت تبنى بالطرق التي تبنى بها المساجد .

اندرونيوس *andronitis* (الملك أو القسم المخصص للاستقبال) وجينا كونيوس *gynaeceus* (محل الحريم) أو الدار اليونانية الرومانية إلى تريوم وپريستيليوم (*atrium et peristylum*) وهما القسبان الخارجى والداخلى . وفى برين دور من هذا القليل . حوشها فى الوسط على هذا النظام . ومن المحتمل . أن يكون فى دور القسطة أحد الحوشين مخصص للرجال والآخى للحريم .

والغالب فى دور القسطة . وپرين . وديلوس . أن لا يكون فى الدار غير حوش واحد . ولوثبت وجود الطبقة الأولى فى القسطة . لقنا أن محل الحريم كانت موجودا فيها . ولكننا لم نثبت مما يدل على ذلك . كما أننا لم نحقق على أى حال كان يعيش النساء فى أوائل الفتح الاسلامى . وفى العهدين العباسى والطولونى . والمعروف . هو أن الغرف لم تكن معدة لغرض مخصوص . كما هو الحال عندنا فى بيوتنا الآن . فان القاعة الكبيرة . والرواق . والأواوين . بل والصحن . كل ذلك كان يستعمل لاستقبال الزائرين . تبعا لأوقات النهار والفصول . وكانوا يجهزون الطعام على كوائن من الطين يوقدون بها فى الحوش أو فى حجرة صغيرة . ولكن لم نقف على شىء من هذا القليل .

واذا نظرنا إلى تقاسيم الدار الأصلية وابعادها وكيفية ترتيبها . نرى الدار فى القسطة كالدار المثلينية أو الرومانية . إلا أن بعض الأوضاع الخصوصية . نحملنا على محاولة البحث عن أصولها

(١) فيثوف . الطبعة السابق ذكرها . الكتاب السادس . الباب التاسع . ص ٢٦٦ و ٢٦٧

(٢) الفرق الذى قال شواذى بوجوده . بين الدار العامة *privata edilicia* وبين الدار العامة *communia edilicia* فى طعة . فيثوف . ج ١ ص ٢١٨ و ٢١٩ غير موجود فى الفن اللاتينى .

ولما تكلم فيثوف . عن تفاصيل السقط الامن لبيت البوقى . ذكر بعض البيوت الصغيرة *domunculae* . وقال انها كانت مخصصة لضيوف منفصلة عن المسكن بدعاليق *mequulae* . وهو تركيب يحده يطبق على مجموعة الدار السادة والسابعة . مكره (راجع الملحق . الباب الرابع) .

(٣) برين . تأليف ريجاند وشريدر ص ٢٨٩ وشكل ٣١٣ و ٣١٤

(٤) تعرضت فيما يتصل سكنى النساء . هذه المسألة فى البيت المثلينى (*Priens* ص ٢٩١) . والمختل . هو أن وجود الحريم والسلايك . وتخصيص مكان لكل منهما . تعرضت به فى جميع العصور . المساكن القليلة المشيدة فى الأراضى المسنة . وهذا التخصيص . ظاهر جدا فى بيوت الأمراء والأكابر . ومن هذا القليل . اتخذ أحمد بن طولون دارا خاصة بحريمه . بحجرة الروضة (المقرضى ج ٢ ص ١٧٨) . وكان بجوار الموق الكبيرة . زندق سده لرافوش الأقرس . وضافه إلى داره من شرفيه . وجعل له دوبا حازه به إلى حريم داره (ابن دقاق ج ٤ ص ١٤) .

(٥) وذكر ابن دقاق . فى وصفه دور مصره أسماء عدة من الغرف والمحال التى يشتمل عليها المسكن . فورد المجلس واليا ذهبى والمستشرف والمهردج والطارمة (ابن دقاق ج ٤ ص ١١٨) . ولكن كلامه . لا يبين على تطبيق هذه الأماكن على أبناء الدور وما معها . لأن مدلوها يطبق على محال مسقة نعمة . عمر فى القسطة .

في العراق . ويظهر التأثير العراقي جليا في الدار السادسة . وهي كما سبق لنا بيانه . مبنية بنظام خاص ، يظهر أنه منقول عن أصل عراقي . وسنرى في الفصول الآتية ، عند الكلام على صناعة البناء والزخرفة . من الظواهر ، ما يدل على هذا التأثير الشرقي بوضوح .

(١) المخطط الآتي في الجزء الرئيسي من هذا البيت ، يشبه تماما غيره . من مباني الأعيان (راجع الشكل ٢٢) . وصارنا (راجع الملحق شكل ٢٣) ويمكن تشبيه أيضا . بالمخطط الآتي للاندرون ، أو قصر الحريم ، خاص بالحاكمة في قرمق . وهو ديولايف (راجع «فارس والأهواز ركعة» J. Dieulafoy, تأليف La Perse, la Suse et la Chaldée.

(٢) كانت العلاقات متبادلة كثيرا في عهد بني أمية وبنو العباس بين البلاد التي سجد الاسلام عليها ظله . وكان تبادل الهدايا والهدايا . في كل شيء . من العوامل على تسهيل انتشار طرق صناعية . الخاصة بكل إقليم . (راجع «مصادر فنون الاسلام» Die Genesis der Islamischen Kunst لهرزفيلد Herzfeld في مجلة "الاسلام" سنة ١٩١٠ ص ٦١ و٦٢

ولساول معاوية بن أبي سفيان ، ياددا أثناء الفرس ، غرب جماعة من الأزد إلى مصر . وبها منسوبة بن عترة في سنة ثلاث وخمسين هجرية (٦٧٣) . فزل بها معهم نحو من مائة وثلاثين . قبل توصلهم من خطة القاهرة . سوقة العراقيين . (خطبة المقرري ج ١ ص ٢٩٨) .

وفي أيام المباسمين كان الولاة من العراقي . وعلى عهد ابن طولون لما أخذ العراقيين إلى مصر . ذهب دجلة رأى به كثيرا من هذين جدار . لذلك يعرف . فزع إلى أروبا . (المكافاة لأحمد بن يوسف الكتاب . ص ٣٩) .

استندواك — وقع خطأ مطبعي في السطر الثالث من الفاش نمرة (١) وصار به ما يأتي :

J. Dieulafoy تأليف La Perse, la Suse et la Chaldée.



الباب السادس

صناعة البناء

١ - الأسس

كانوا ينزلون بالأسس ، في كل مكان - الى الصخر . أما البناء ، فلم يكونوا يتخذونه على ونيرة واحدة ، ولا يمكن أن نتوصل منه الى أى استدلال تاريخي . لأن الأساس الواحد ، كان يبنى بعدة طرق في وقت واحد .

(١) الأسس المبنية بالدبش - فيها يكون الحفير محتويا على بناء بالدبش المنحوت نحتا بسيطا . وكان يؤتى به مما يختلف من تمهيد الصخور المجاورة ، وأحيانا ، يلقى في الحفائر على غير نظام ، ويربط بعضه ببعض ، بمونة من الطين أو الطين والجير ، وأحيانا يرص على هيئة مداميك مختلف درجة انتظامها (لوحة ١٥ - ١) .

(ب) الأسس المبنية بالآجر (لوحة ١٦ ، ٤ و ٦) - يغلب كثيرا ، وعلى الخصوص ، اذا كانت الحفائر قليلة العمق . أن تكون الأسس والواجهات من آجر يرص مداميك منظمة ، ويسقى بمونة الجير والرمل . وقد يضاف اليه القصرمل أو الحرة . وكان يبنى كذلك مداميك من الآجر القائم على سيفه . بالتبادل مع مداميك من الآجر الموضوع على سطحه (لوحة ١٦ - ٦) .

(١) سنه كرفيا يأتي من كلامنا . في هذا الباب ، مديلا كلمة الحبة ، بعض فقرات قلنا فاس كتاب بمقد اليد ، عنوانه " الزنة في الحبة " محفوظ بكثرة الجامعة الفرنسية ببروت . وهو مبحث على ١١٤ فصلا . تحت عن الأسواق والقواعد المفروضة على كل طائفة من أرباب الحرف . وقد ورد اسم ابن بشار في عنوانه مع اسم آخر في مقدمته والمراجع عنده أن مؤلفه - معروف ، وقد يمكن تعيين الوقت الذي ألف فيه هذا الكتاب على وجه قصى . وربما يكون قد كتب على عهد الحاكم أو بعض خلفائه ، فورد اسم الحفة الحاكم فيه مصحوبا عبارات التمجيل والاحترام ، كما في عبارة الآتية : " مولانا الحاكم أمر مع هذا وكذا " .

ولما كان الحاكم قد بقى ذكره على اعتبار سد سقوط الدولة الفاطمية ، يكون تأليف الكتاب - يتعد أواخر عهد معاوية . وعلى كل حال ، فإن بعض التفاصيل الواردة فيه تحت أن طرف البناء تمت معمولاتها ربما في خلافة وانه من جهة أخرى ، كانت توجد تعليقات شديدة تفيد صنع المهمات واستنهاطها .

(٢) هذه الطريقة تشاهد في البناء البيروني ، إذ يكون الدبش أحيانا ملق - دس في المونة ، وأحيانا يكون موضعا على هيئة سقاية السك . وهو أسلوب غير موجود في العسقاط (راجع " من اليد عند البيروني " *L'Art de bâtir chez les Byzantins* تأليف J. H. de Vries ص ٨) .

(٣) البناء مداميك من الطوب مائلة ٥٥ - بالطريقة الشائعة عند البيروني . نرى أجنة العسقاط .

(ج) البناء بالمدر (ككل الطين) واللبن - وجدنا في محلين فقط (بالدارين الأولى والسادسة)، بعض أجزاء من الأسس، تدخل في بنائها ككل الطين أو خليط من الرمل والجير . وإذا حاول الإنسان إخراجها من محنها . تفتت واستحالت إلى تراب . وربما كانت مخلقة من أبنية قديمة العهد . وهي على كل حال من شواذ الأبنية . وكذلك اللبن . فإنا لم نعثر على شيء منه في منطقة الخضر . وإنما وجدنا بعض قطع من جدران مبنية به فوق جبل يشكر .

٢ - البناء بالآجر

(١) الآجر - الآجر المستعمل في القسطنطينية أحمر داكن ، متجانس . مستوفى الحريق شديد الصلابة ، شكله العادي مستطيل ، ويختلف في القياس ، وهذا بيان ما عثرنا عليه من أقبعته :

طول	عرض	تخانة	طول	عرض	تخانة
٠,١٥	٠,٠٦	٠,٠٦	٠,٢١	٠,١٠	٠,٥٥
٠,١٨	٠,٠٨	٠,٠٤	٠,٢١٥	٠,٠٩٥	٠,٤٥
٠,١٨	٠,٠٨٥	٠,٠٤٥	٠,٢٢	٠,١٠	٠,٦٥
٠,٢٠	٠,٠٩	٠,٠٤	٠,٢٢	٠,١١	٠,٠٥
٠,٢٠	٠,٠٩	٠,٠٤٥	٠,٢٢٥	٠,١١	٠,٦٥
٠,٢٠	٠,٠٩٥	٠,٠٤٥	٠,٢٣	٠,١٠	٠,٠٥
٠,٢٠	٠,٠٩٥	٠,٠٥	٠,٢٣٥	٠,١٠٥	٠,٥٥
٠,٢١	٠,٠٩	٠,٠٥	٠,٢٤	٠,١٠٥	٠,٤٥
٠,٢١	٠,٠٩٥	٠,٠٥٥	٠,٢٦	٠,١٢	٠,٦٥
٠,٢١	٠,٠٩٥	٠,٠٦	٠,٢٦	٠,١٣	٠,٠٨

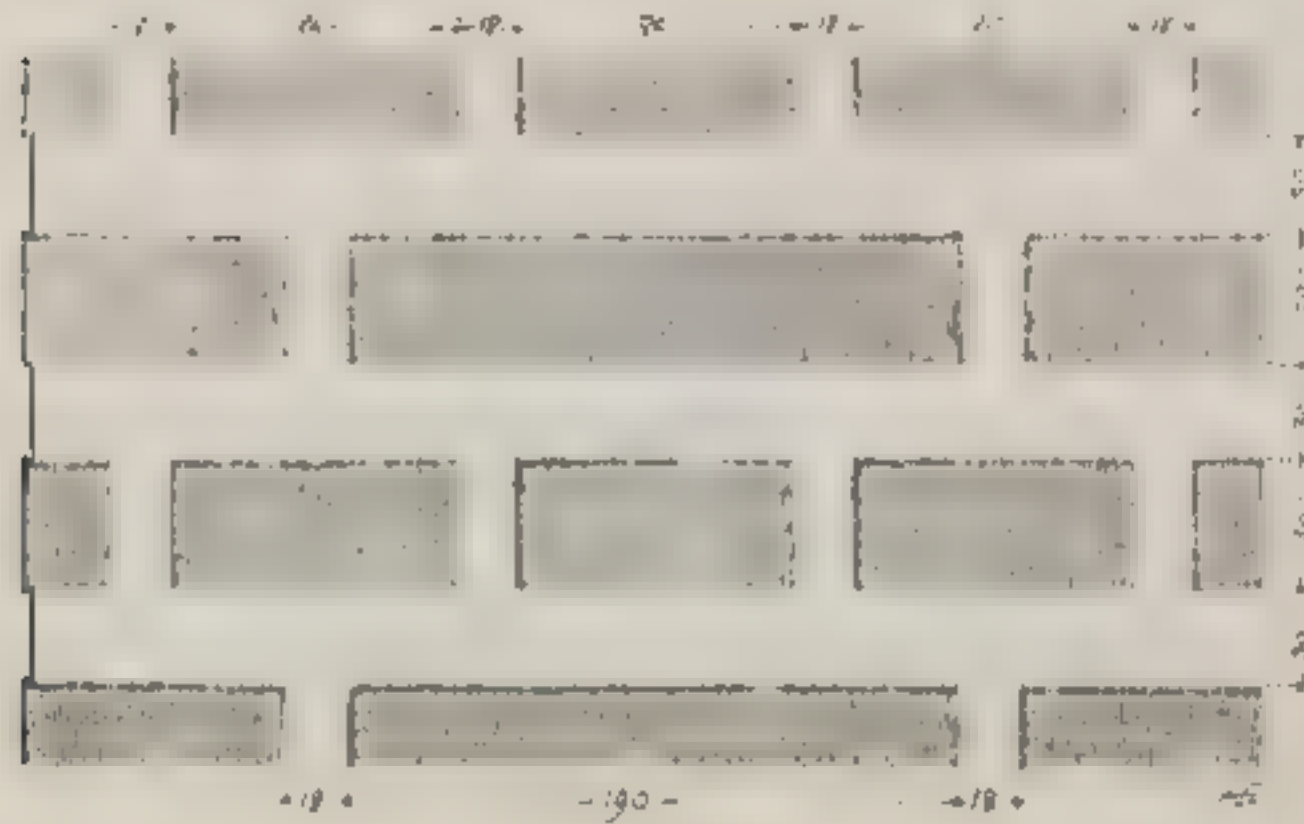
(١) إذا جازلتنا أن مرضى أن العرب في حياتهم الأولى ، اتخذوا نيل البحر ، فإن وسعته في بعض الجهات ، لا يرقى إلى أي امتداد تاريخي ، ولا يجعلنا نقول عن الماء شديده أنه من عهد الفتح ، ومن المحقق أن مصر ما زالت إلى الآن تشهد فيها أحيه الفقراء بالعرب المنفض في الشمس .

(٢) - ذكر المصريون القدماء يعرفون الطين «إلا في أحوال مخصوصة» مثل بن قاطر مدينة أيج وهيك موت بالكرك، وسفل الجدار المجاور لوكة م. (راجع «عن البناء عند المصريين» لشواخي ص ١٤) (Choiay, *Le Art de bâtir chez les Egyptiens*, p. 11). ومن ذلك - كانت الآية تشيد في العراق على توالي الأزمان، والآجر من صفت جيد جدا (راجع Ninive et l'Assyrie I, 226 «بنوى وأشور») - شيم Place بيس.

وكان آخر سمح في العراق مريضة ، أما في مصر القديمة فإنه كان مستحيلا . ومن أقيمتها الثالثة ما هو ٢٠٤ - ٢٠١ - ٢٠٠ - ١٩٩ (راجع
 المراجع وجد المصرية ، *Archéologie égyptienne* تأليف د. بيروم ص ١٠١) . وهو يدان القياس المتشابه في القسطنطينية مع تقارب في الثقافة . وعلى
 ذلك ، يكون الآدم من حيث شكله الحالي والطريقة التي بنى بها (راجع مهندس ب) . من اقل يد المجلد الباقية للآدم ، وبين الممار العام لامتداد القسطنطينية وأبنية العراق
 شبه واضح (راجع على الخصوص : مجلة دجلة والفرات ، ١٩٣١ ، Pl. XXXI ، *Reise im Euphrat und Tigrisgebiet* III & Pl. XXXII ، XXXIV ، etc.)
 Sage-Herzfeld ، تأليف

ومن المؤكد أن الأمثلة الموجودة لا تنجح كل هذه الأقبية . لأن الفروق الظاهرة فيها ناشئة عن ظروف خاصة منشؤها كيفية صنعها . والغالب في الآجر أن يكون مقاسه : 0.215×0.095 ويلاحظ أن 0.213 هو ثلث 0.64 ، أعني طول الذراع الذي كان يستعمله البنّاءون في القسطاط على ما تقدم بيانه .

(ب) نظام البناء - جرت العادة بأن يوضع الآجر مداميك أفقية متبادلة : مداميك بالطول و مداميك بالعرض . وهذه الكيفية لتقاطع اللحامات على شكل منتظم (شكل ٣٥) . وكذلك الحال في صفحتي الجدار . فكان الجدار يتكون من كتل متجانسة شديدة القوة بالرغم من قلة ثخانتها .



(شكل ٣٥)

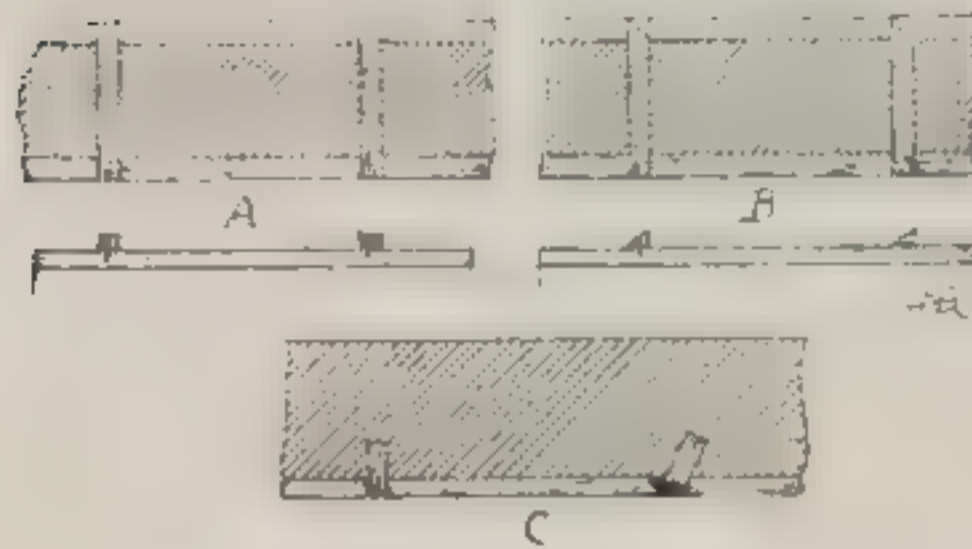
- (١) على أن ملحوظاتنا - ونكرر ذلك - لا تكون مطلقاً لأن تؤكد هذه البيانات .
- (٢) يمكن الوقوف من واقع المقام - على أن كل خمس طوباء ، أو أصيف إليها خمسة طامات - تسارى في المتوسط ٣٥ سنتيمتراً ، لأن اللحامات الأفقية لقياس ٣٦ سنتيمترات ، واللحامات الرأسية ١٨ ملليمترًا ، والطوب ثخانتها ٥ سنتيمترات ، والجمع هو ١٠٠ ، كل خمس طوباء ، إذا أخذت إلى خمسة طامات تسارى ٣٦ سنتيمتراً ، من الطوب الذي ثخانتها في المتوسط ١٤ ملليمترًا وطريقة البناء في الحالتين متشابهة . وهو على عكس الطريقة التي طبقت ، لأن اللحام فيها أكثر ثخانة من الطوب .
- (٣) وقد أشار الفانستدي إلى العاية بأجنة القسطاط ، قال : « وكان أكثر طوبه بالآجر المحكوك والخس » من نوعه ، وأمكنه ، وآثاره الباقية تشبه له بذلك . (الفانستدي ج ٢ ص ٣٣٨) .

تحتل مواضع اللحام، أفقية ورأسية. بمونة من الجبس . أدخلت فيها كمية كبيرة من الجير . وهذا اللحام بارز مليمترًا أو اثنين عن سطح الآجر. بهيئة خطوط بيضاء على أرض حمراء داكنة .

ويؤخذ من اتفاق العمل في هذه القطعة. أنها نالت عناية خاصة. لأن البقايا التي وجدت منها قليلة . ومن الجائز أن تكون المونة سقطت من مواضع اللحام في باقي الواجهة . ويحتمل أنهم كانوا يكتفون في الأبنية العادية بكحلة الجدار أول بأول بلحام لم يخدم كلما غلت المباني . وكانوا دائماً يتركون الآجر على الطريق ظاهراً دون أن يمسوه بالياض .

أما في داخل الدور . فأنهم كانوا يبيضون الجدران بالجير الخالص . والجير المخلوط بالرمل . والجير المخلوط بالجبس . وقد يضيفون إليه التبن . وأما الطين المخلوط بالتبن . فما كان يستعمل إلا في بيوت الفقراء .

(٥) القوائم الحجرية - لاحظنا أنهم في بعض الأحيان كانوا يدخلون في بناء الأساس مداميك من الآجر القائم على سيفه . لتزيد قوة مقاومته للضغط الواقع عليه . ولمثل هذا الغرض



(شكل ٣٦)

أيضاً. كانوا يجعلون داخل البناء الذي يشيدونه بالآجر قوائم من الحجر. وهي تشاهد بصفة خصوصية في بناء الأكاف لما يكون قطاعها صغيراً ويحتاج لمثل هذه التقوية . فكانوا يضعون القوائم وضعاً رأسياً في وسط الكتف ويبنون عليه بالآجر

(١) استمر العمل مثل هذه الطريقة في العراق ، في الأبنية الحديثة ببلاد وصلاحها راجع « بحث في العراق » Mission en Mesopotamie تأليف ماسينيون ج ٢ لوحة ٧ وما بعدها و« فن البناء ببغداد » The Baukunst in Bagdad تأليف Routher (١) شكل ٨٥ و ١١٦ و ١١٨ و ١٢٢ انظر والملاحظات في بيوت رشيد التي ترجع إلى الفترة الثامن عشر ، ناسخ الياس ، و« روضة خضيبا » (راجع تقرير فرنس عن مأموريته في تشيد في مجموعة حة حفظ الآثار العربية ، الكرسي الثالث عشر ، ص ١٨٩٦ ص ٥١ وما بعدها) .

(٢) الطاهر أن القاعدة المصنوعة بها في الأصل كانت ترك الآجر علواً . و« وى أمش » أول تربة وضع عليها الياس تربة ابراهيم بن صالح الحنوف في سنة ١٦٥ هجرية (٧٨١ ميلادية) .

من جهاته الأربع (راجع - على الخصوص - اللوحة ٩) . وقد اتخذوه في بناء الأكاف
بفتحات الأواوين . وفي الجدران المثبتة لتقويتها . فكانوا يضعون بين الآجر عدة قوائم من
الحجارة ، متباعدة عن بعضها البعض (راجع اللوحة ١٥-٢ و ١٦-١ و ٢ و ٣) .

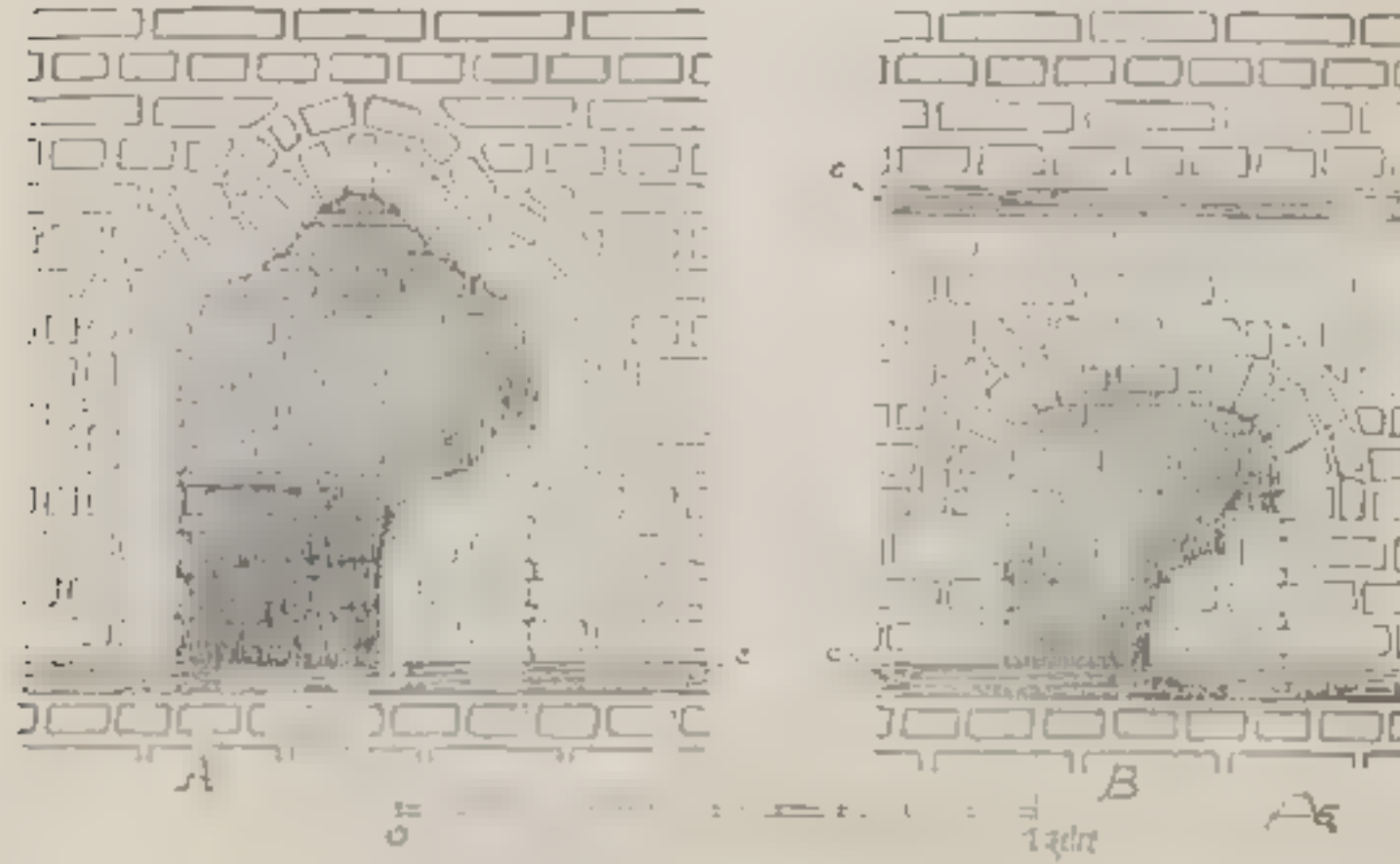
ولم يصادفنا غير مثال واحد من هذه القوائم الحجرية ، موضوعا وضعاً أفقياً . كما هو شائع
في جهات أخرى (لوحة ١٠ رد) .

(و) الأربطة - مما اضطلع عليه منذ القدم ولا زال شائعاً في بلاد الشرق ، ربط الجدران
التي تشيد بالآجر بأخشاب توضع وضعاً أفقياً كما يرى في الكرويكات (شكل ٣٦) .

والمعتاد في الحالة البسيطة (١١) أن تكون الأخشاب ذات قطاع مربع وتدجج في البناء بعلو
طوية واحدة ثم تربط بمسمير من حديد تدق في خواير قاعدة أو منحرفة تدخل في جنب الجدار .
وقد وجدنا من هذا القبيل أمثلة عديدة أحكم صنعها ، إذ جعلت من مدادتين أفقيتين توضعان
متقابلتين على صفحتي البناء بارتفاع واحد . ثم يوصل بينهما بعوارض متعددة معهما في القطاع
(A) أو تكون من قطاع مثلث (B) يتخذ من مربعة من الخشب مشقوقة على النجاء وتر
قطاعها . ولم يبق الآن من أثر هذه الأربطة سوى الموضع الذي كانت تشغله في بعض الأبنية
المشييدة بالآجر . وربما تكون نزع من محلها أو استعملت إلى تراب . وفي بعض التجاوير ،
وجدت قطع من الأخشاب عرف أنها من خشب الصنط (acacia) . على أن كثرة وجود
هذه الأربطة لا تؤخذ دليلاً على تعميمها . إذ وجدنا جدراناً كثيرة خالية منها .

- (١) هذه الطريقة التي جمع بها بين الحجر والآجر ، صهر أغلبها ودفنت على البلاد من الشام (من دمشق مثلاً) . وربما كان دحوطاً في مصر سابقاً على
فتوح العرب . (راجع (الباشا) العيش أفقياً وبالحجر رأسياً) . • استكشافات في مقبرة • Excavations at Saqqara . تأليف Quibell لوحة ٣٠
ومع تشييدها ، شيد على مدارج من الحجر المصبوغ وضعاً رأسياً . فوجد الجدران الخشبية بالصور .
- (٢) وقد عرفت أن هذه الخشبية أيضاً في أبنية أروام ومبشرين في سيناء . صخرة أو حشيش في بلاد اليونان ومصر . وفي المبانى العظيمة السامانية بالعراق ،
رأى أبنية مصنوعة بهذه المادة والأخشاب محونة ببعضها حمى (الداش) . وكانت الأبنية الخشبية تنفذ حتى في الأبنية المشيدة بالحجر . راجع « خمسة
العراق » لماسينيون الجزء الأول لوحة ١٨ • (Massignou, Mission en Irac aquitaine)
- (٣) كانت مبانى مصر وأدارتها في القرون الوسطى . وكانت تخرج قماراً يسمى القوط (راجع رسالة المرحوم علي بك بهجت ، بالقبة
الخرسانية . عن عادات في مصر وأدارتها في القرون الوسطى . التي قدمها فجمع المصري في سنة ١٩٠٠)
- (٤) • بعث في جامع ابن طولون على أن الأربطة من حديد .

(هـ) العقود والأقية والصف - العقود والأقية التي نقلت صورها في الأشكال وجدناها في المجاري، والبيارات، وستكلم عليها عند ذكر هذه المرافق. ولا بد أن عמוד الدور وأقيمتها كانت تنى على هذا النمط. أما الصف فإنها كانت تتخذ بكثرة في الجدران، وقد رسمنا منها



(شكل ٣٧)

(شكل ٣٨)

نموذجين نقلناهما من الدار الثانية (الشكلان ٣٧ و ٣٨). وفي (الشكل ٣٧) نرى العقد الثلاثي الفصوص بالقسم العلوى واضحاً جداً، وكانوا يحدثون مثل هذا الشكل بالحبس والأبنية كما هو مبين في (الشكل ٣٨).

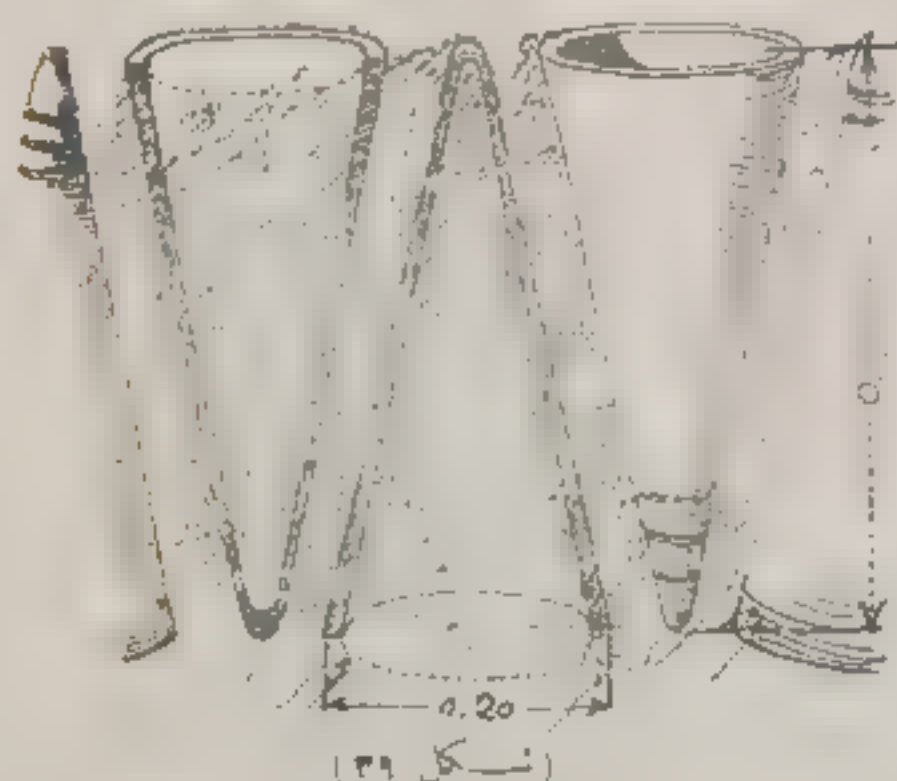
٣ - التبليط

في المباني المتقنة كانوا يفرشون الحيطان، وبواطن الحيطان، وأرض الغرف، ببلاط من الحجر المستطيل بعرض ٢٠ إلى ٣٠ سنتيمتراً، وطول ٥٠ إلى ٨٠ سنتيمتراً، ومتوسط نخانة من ٥ إلى ٦ سنتيمترات. وقد تختلف هذه الأقيسة في الأرضية الواحدة بشكل واضح.

(١) هذه الصف نشأه المصنف التي اكتشفها مير هرزولد في دور سامرا - راجع (E. Herzfeld, *Fortünungen - Bericht*) لوحة ١١ و ١٢

استندراك - في آخر النظر العام من هذه الصفحة وقع خطأ مطبعي في كلمة « والأقية » وصوابه : « في الأبنية » .

والمعناد أن يكون التليط بطريقة وضع البلاط متواترا (دالات) . وهي تلائم البلاط الغير المنتظم . وكانوا يطون أيضا بترايع مختمة الشكل والقياس، مرسومة على غير نظام، أو على شكل فيغاء مؤلفة من قطع صغيرة من الحجر الأبيض . والبلاط كله يلصق بمونة



الحجر والقصرمل أو الخرة. فيوضع على لباسة من هذه المونة تتكفي أربعة أوتحة ستمترات . ولما تكون أرض الدار بها ردم . كانوا يختلطون مع هبوطها من كبس الأتربة . بأن يضعوا في الردم قواديس من الفخار الغليظ . تملأ بالتراب فتتكون منها تحت سطح الأرض عدة مناطق ثابتة على قدر عدد

القواديس . لا يمكن أن يطرأ عليها أي تغير . وقد رسمنا في الشكل ٣٩ (الدار السادسة)، نوعا من القواديس المخروطية الشكل . رصت بالتناوب، مرة قائمة على رأسها، ومرة على قاعدتها . وفي بعض المواضع . استبدلت هذه القواديس بمواسير اسطوانية . متراسة، الواحدة فوق الأخرى .

٥ - المعدات الصحية

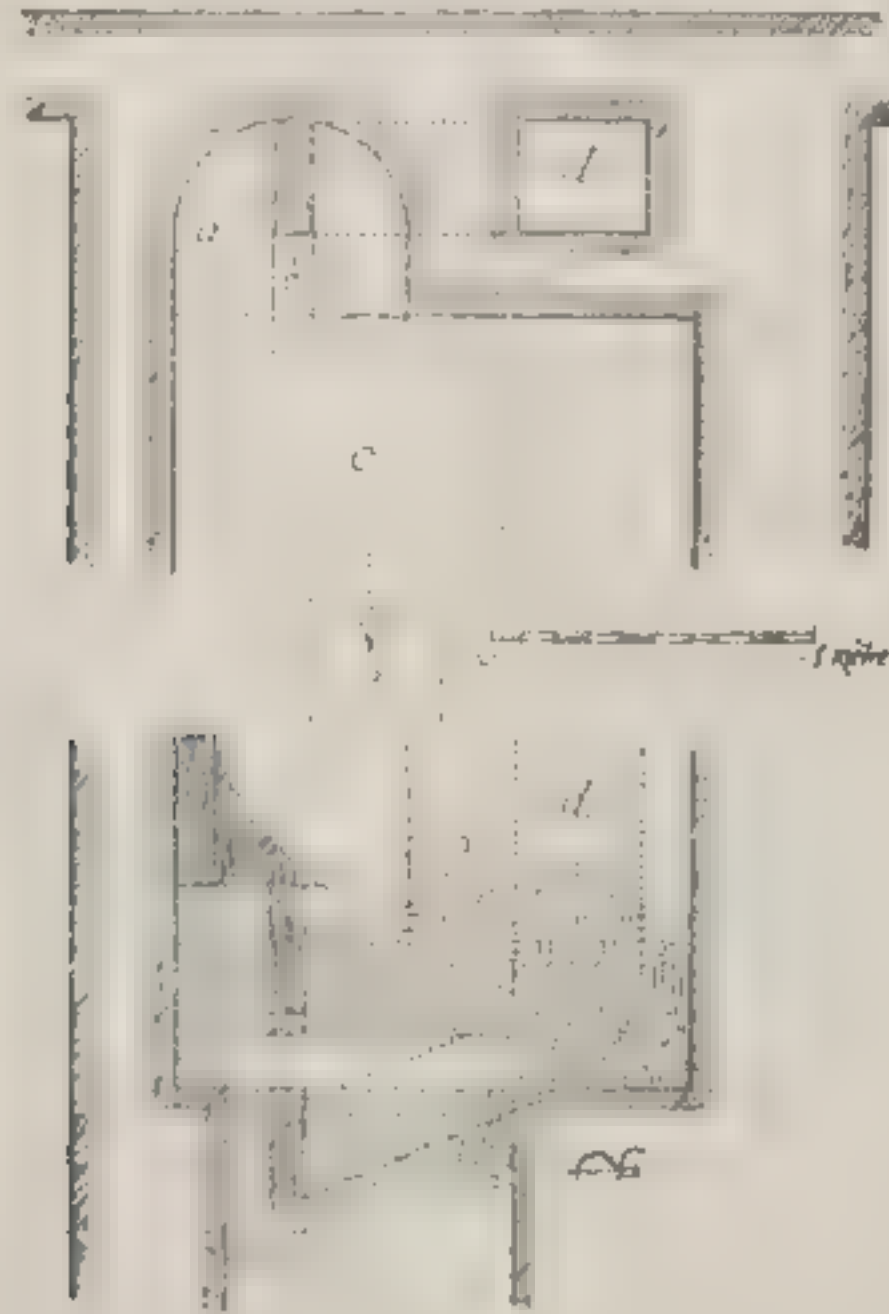
يستدل من كثرة المعدات الصحية وانتشارها على زيادة العناية بأمور الصحة العمومية . لأننا لم نر دارا خلت من وجود مجاري للمراحيض . منسلطة على بيارة، تنصرف إليها أيضا مياه الدار .

(١) المراحيض - (لوحة ١٧ رقم ١ و ٢) كانت تتخذ في محال صغيرة مستطيلة . ويبني الصخرى بترايع حجرية . وتجعل له فتحة متصلة بفرع مسلط على المجرور . وفي الشكل ٤٠

(١) وجد في جامع ابن طولون بلاط مراكب بهذه الطريقة . وفيه عدم الانتظام المتشاهد في تليط النسطح . والبلاط الموجود الآن من الرسم هذه ولكنه أكثر انتظاما ويرجع لهذه الإصلاحات الأخيرة .

(٢) لا يجوز لأحد يتواج حذار دارة ابن المزة الشهود . وكذلك كلها فيه أذية وإضرار على السالكين كمنزق الأوساخ الخارجة من الدار في زمن الصيف إلى وسط الطريق منه يكلف منه في الصيف ويجعله في دارة حرة يجمع فيه (الحلبة - الباب الثاني) وقد رأينا هذه القواعد منة في دور المساطح .

- (لوحة ١٧ رقم ٢) . يرى كرسى المرحاض في طاقة غير نافذة (دخلة) مرموز طناً بحرف « .
وينصرف مجرور « في البارة المساعدة . ومنها تمر المواد من انجرور « الى البارة العمومية . وفي « .
قناة رأسية (قصبة) نازلة من الطبقة العلوية من الدار .



شكل ١٠٠

(١) ظاهراً سبق أن هذه القنوات قد « كبير » يتم تصريف مياه الأمطار وحدها من السطح . بل أنه مهما كان الضخم منها ، فإن ذلك لا ينشأ
امكان تصريف المياه التي تجتمع من الأمطار والشجر . ويظهر أنهم كانوا يسلطون في تلك مياه الأمطار تتحد إلى الشارع ، كما كان يحصل عندنا في المدن
في العصور المتوسطة . قال صاحب الحسية : أنه قد يجتمع « باب المقارنات مازيب يقيون فيها ما يستعملونه من الماء . وأول الزمان ويحفرون تحتها حفراً تجمع
تلك المياه فيه وليس هم أن يذهبوا ذلك في طرقات المسبح الا في وقت المطر فإن الله تعالى قال « كان كما يك أذى من مطر » فإذا لم يكن مطر فليس لهم أذية
للناس في طريقهم . فإذ هذه ربما يسقط فيها القمامة والفضول والحرس والغريب . إذا عبر في الليل . وفي ذلك إثم كبير ومضرة وربما وقع من هذه المياه على
ثياب الناس شيء فيجسمها حتى لا يكون من سمها « . « في طلب الحسية . لأن بناء لباب «
ويؤخذ من ذلك أن مياه الأمطار دون غيرها هي التي كان يباح صرفها في الشارع « . والغريب . أنهم يستندون في ذلك على قوله تعالى « وذو الدين كفروا
لو ينظرون من أمانيهم وأمتعتهم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم . كان يك أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتهم وخذوا حذركم » .
« سورة النساء » .

وهذا تصرف جائز في التأويل ، اعتمد فيه على قوله « لا جناح عليكم » وإذا مورث هذا المثال بغيره من تأويلات الفقهاء عرف الزين الذي وضع به كتاب الحسية .

(ب) الحجار - وجدت بعض متقورا في الصخر بارتفاعات مختلفة، ويمكن حصرها في نوعين : مجارير مغطاة بالحجاري - ومجارير معقودة بالآجر .



(شكل ٤١)

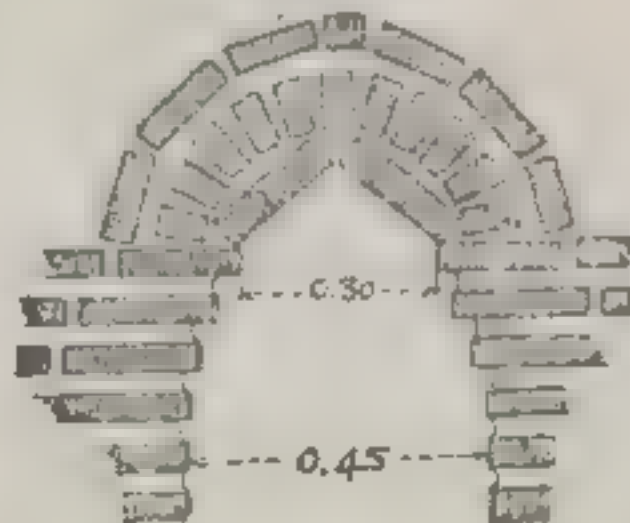
١ - الحجارير المغطاة بالحجاري -
في (الشكل ٤١) غطاء الحجر مركب على
افريز متقور في الصخر - وقد لا يكون
هناك افريز .

٢ - الحجارير المعقودة - (راجع
اللوحة ١٨ رقم ١ و ٢ و ٣) - يوجد
قطاع القبر كامل الانظام أبدا . ولكن
يقرب على العموم من هيئة العقد ذي الطيات
(عقد جنازير) . ومن الأشكال ٤٢ و ٤٣

و ٤٤ تعلم الطرق المتنوعة التي كان يبنى بها . والفرض من ذلك تجنب استعمال العبوات الخشبية .
واذا بنيت مداميك منبعثة من المركز فبهم كانوا يتمكنون بالنظر لصغر حجم القبو من وضعه على



(شكل ٤٢)

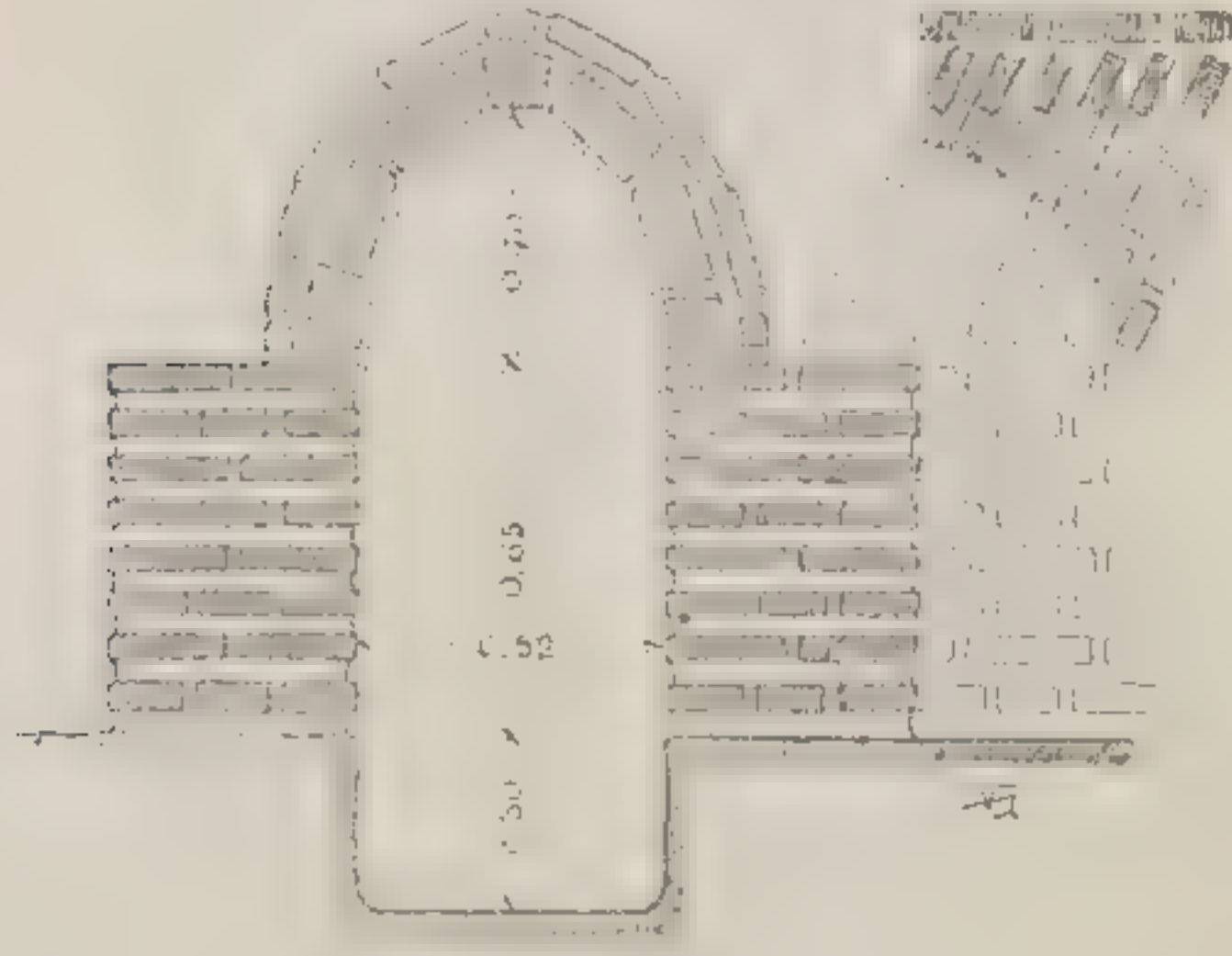


(شكل ٤٣)

عبوة من الطين، زال عنه بعد ما يتم بناؤه . وفي (الشكل ٤٢) بنوا جانبي العقد بدماميك
أفقية حتى كاد الجنبان يلتقيان عند القمة حيث أبقا نحو ثلاثين سنتيمترا خاليا . وهو محل

غلق (مفتاح) العقد . وتوصلوا الى ذلك بوضع الآجر مائلا بالموازنة بينه من الجهتين فوق آخر مدماك أفقي .

وقد أحكم العمل بهذه الطريقة في الشكل رقم ٤٣ . وفي الشكل ٤٤ ، ظهرت الطريقة الثالثة وهي بناء العقد بصنح مستقلة مائلة . وكانوا اذا أتموا تركيب مدماك وجه العقد ،

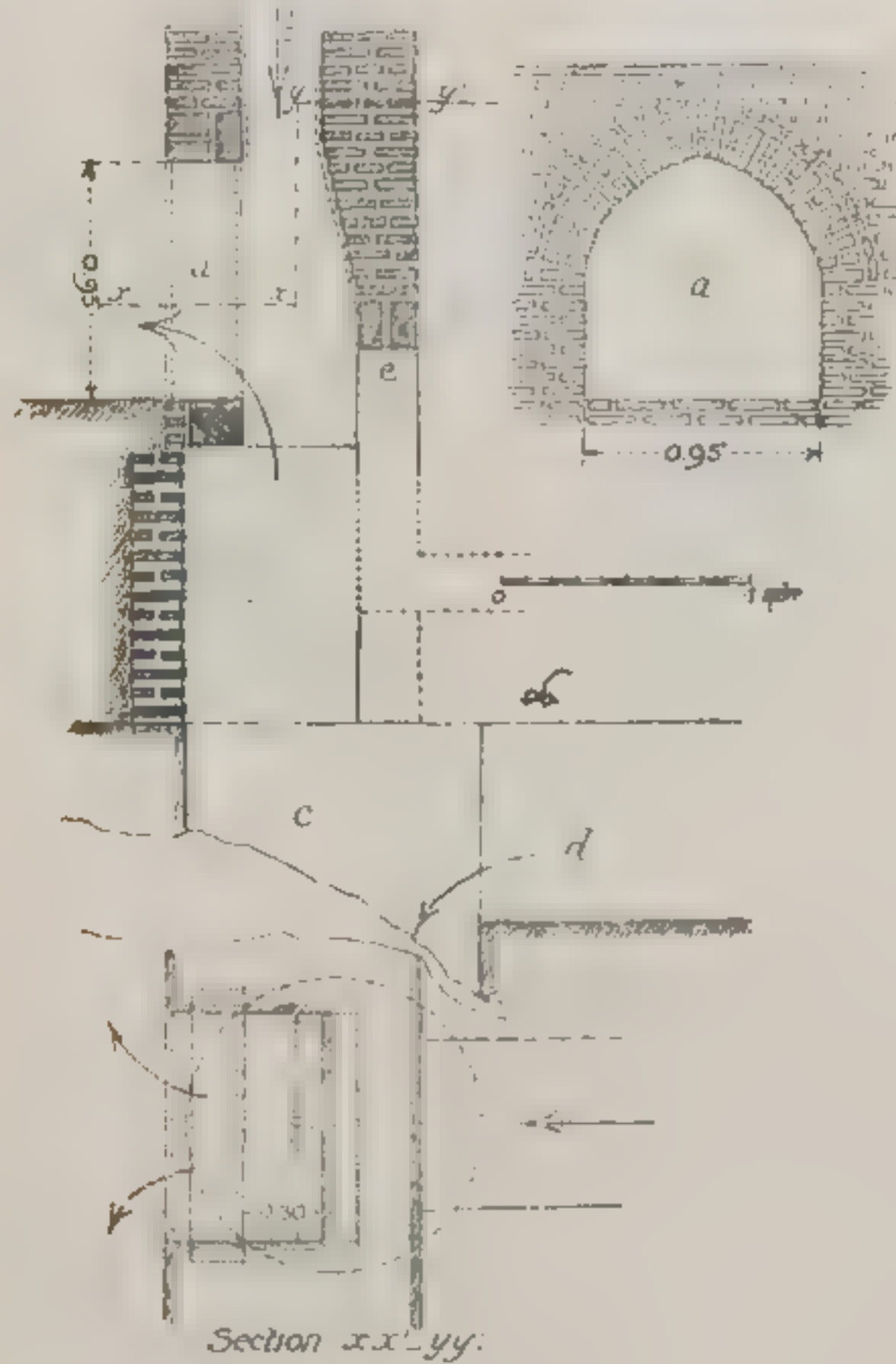


(شكل ٤٤)

وضعوا المداميك الأخرى ، ولم يحتاجوا الى ما تركز عليه . وكان الآجر يوضع على سطحه ويثبت في محله باللصق بالمونة . وهذا اللصق كان كافيا لتركيب القيو بوضع الآجر صنجا رأسية .

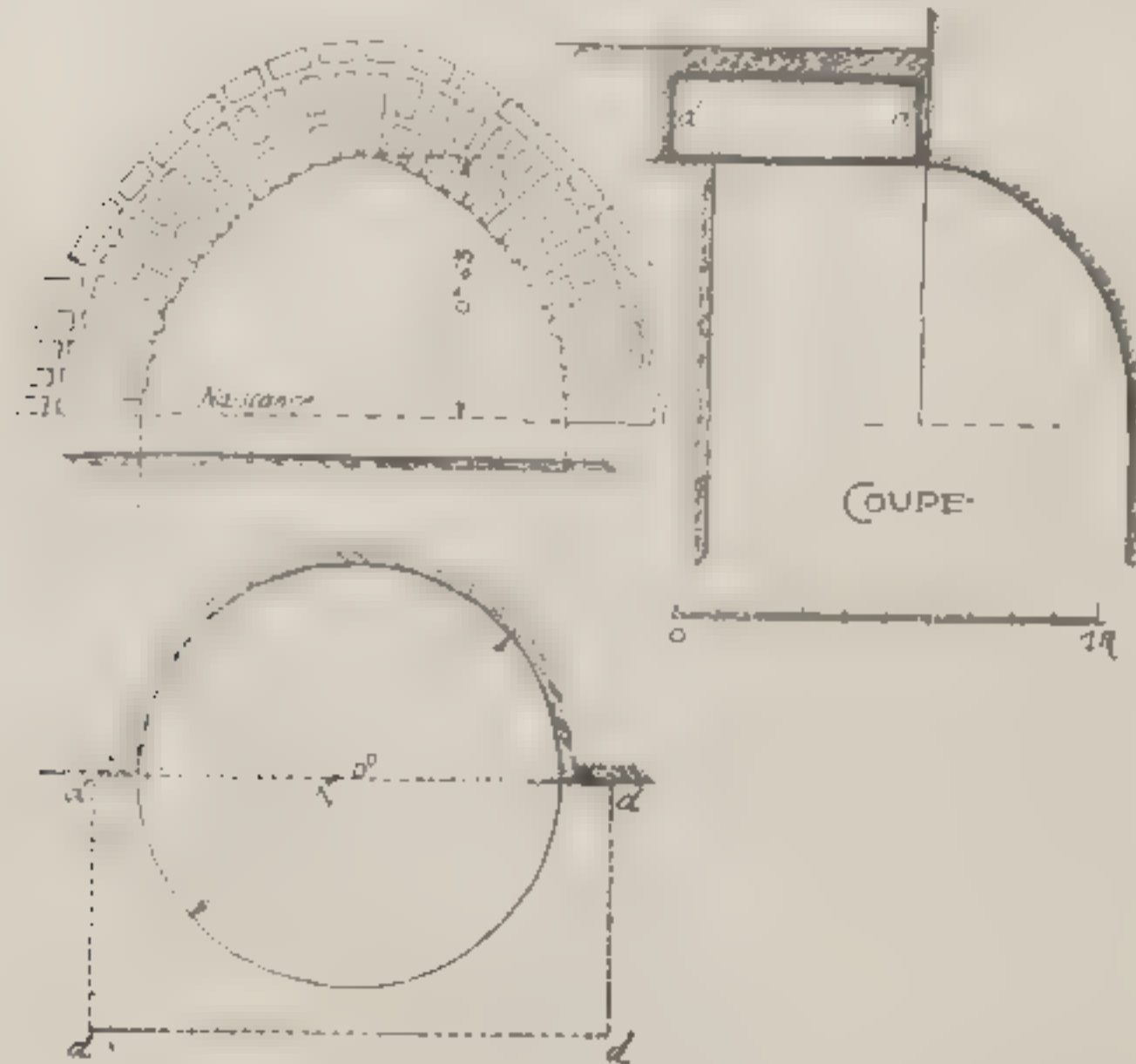
(١) هذه الطرق كانت معروفة في مصر في العهد القديم ، من كرم أبو ميتة حيث اعتادوا البناء بالحجر ، وقد اخرج مستعملا أيضا في بناء قنوه . راجع مدينة يوسا ، تأليف كوفان (M. Kaufmann, Die Mesopotamier 3, 7, 16) وعن بناء الآفنة بصنح مائلة في الأديرة القبطية راجع « الآثار المسيحية بوادي النيل » ص ٢٤ وما بعدها السور من كلازيك (Sommer's Clacko, Christian Antiquities in the Nile Valley) . أما الأمل الذي قامت عليه هذه الطرق الصناعية فانه بالعراق (خرز) حيث كانت رائجة في العارة السامانية . ويلاحظ تعاقب الآفنة ذات الصنح الموازية (المدائن) الآفنة المنبئة بدماميك آفنة حتى علق المقداد راجع « في العراق » تأليف ماسنيون (Masignoni, Mission en Mesopotamie I, Pl. XIII) . راجع أيضا « قصر الأحفاد ومسجده » تأليف مس بر (Miss Bell, Palace and Mosque Ukhaidir, Pl. XIV)

(ج) البيارات - بيارات الدور عموما مستديرة . وقطرها في المتوسط ١,٥٠ م وتنتهي اليها عدة قنوات ومجارير . وكذلك القنوات الرأسية (القصبات) المتداخلة في الجدران (شكل ٤٥) . وهذه البيارات تكون دائما على حافة الشارع يمتز عليها جدار الواجهة . وكانوا يجعلون فيها لتسهيل



(شكل ٤٥)

نزعها فتحة بمستوى أرض الطريق أو منخفضة عنها قليلاً . وهي فتحة يبلغ عرضها نحو متر تقريباً بنهايتها عقد مبنى بناء محكم . ويجعل عليها لتغطيتها مجدال من الحجر أو بناء بالآجر غير مرتبط بباقي البناء . بحيث يمكن هدمه عند الكبح . وقد نقلنا (الشكل ٤٦) من بيارة مبنية

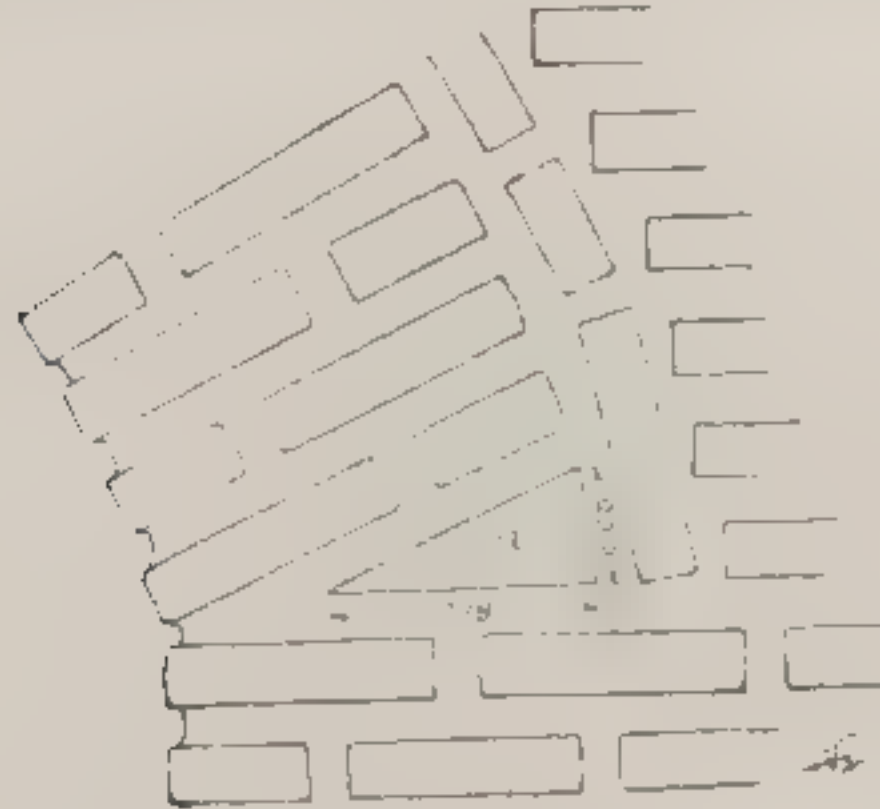


(شكل ٤٦)

بطريقة شاذة، تنتهى بتجويف مسدود بالبلاط . ولم يبق من هذا النوع إلا بعض عقود مبنية بالآجر بفتحات البيارات . وقد بينا في الأشكال التى أوردناها هنا بعض تفاصيل بنائها وقطاعها، اما أن يكون مهموزاً (مدبياً) أو حيزومياً وسنرى أنهم كانوا فى بعض الأحوال (شكل ٤٦)

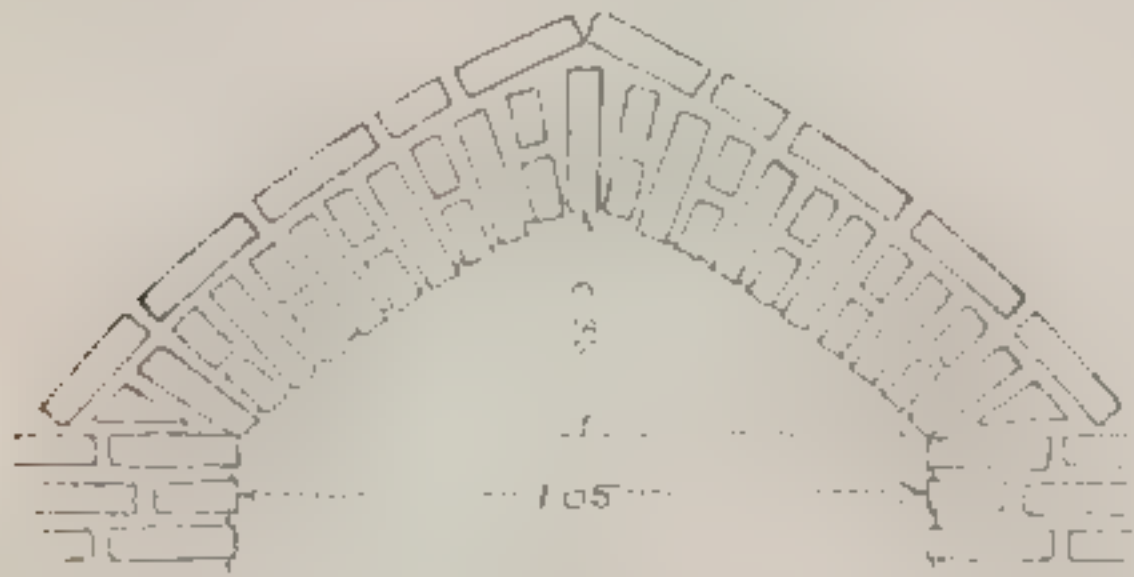
(١١) مبنى «على كساح السواد وحالته» أن يعرف عليهم عرفاً، وإمرهم بأنهم إذا نقلوا السواد إلى ظاهر البلد أن يحفروا له حفائر، فإذا قل إليها يطر عليه حتى تنقطع رائحته فلا يأذى منه أحد، ويحس من نقل ذلك إلى الماء وطرحه فيها أو حوله، ويحس أيضاً سرعة الطوب والشفافى في نفع الرماد إذا حاوره، ويؤمنه في البئر ويدفونه، ويقولون لصاحب البيت: هذه الأرض المبلدة قد بلت إليها وهو كاذبون، وفي البئر حماد كثير قد بنى، فيوقف المريف على نفاثة ذلك، وعلى حقيقة البحت والحفر، ويكون له نصيب من أجرتهم يستعين به على مراعاتهم والطوف عليهم، ويسمهم أيضاً من فتح آبار الناس قبل الشرط على الآبرة، لأنهم وبما صنعوا البئر ونفادوا في الآبرة فإن أرضى صاحب البيت بمختارونه، وإلا تركوه، عتسوا وانصرفوا عنه فتؤذى الضرورة صاحب له حوله تحت ما يجنون، يستعوز من ذلك ومن من أدب (المسألة الباب ٧٨) .

و ٤٧ و ٤٨) يضعون مبدأ العقد - قطعة من الآجر مثلثة القطر على هيئة وسادة، الغرض منها أن يحولوا الآجر من اتجاهه العمودى الى منحني بطن العقد - وأن يظهروا التوازي بين خطوط



(شكل ٤٧)

الحمامات . وهي من الوسائل التي يكثر استعمالها في البناء بالآجر، كلما لزم الحصول على لحامات منتظمة . وهذا وحده يفسر لنا السبب في اتخاذ العقد الحيزوى الذي استبدل فيه المنحني



(شكل ٤٨)

بخط يكاد يكون مستقيماً . وقد رسمنا في (الشكل ٤٨) . قطاع قبة وجدناه تحت فسقية ترى فيه انحناء خفيفاً ببطن العقد .

٥ - نظام توزيع الماء

لما وصفنا الدور في الباب الرابع بينا الحد الذي وصل اليه توزيع المياه من التعقيد فلا نعود هنا الى تفصيل ذلك . وانما نلقى نظرة على مايتألف منه هذا النظام .

(١) الآبار - الآبار منقورة في الصخر الى الطبقة المائية . ولما كانت هذه الطبقة ماؤها أجاج . ويكثر فيها الملح كلما بعدت عن مجرى النيل . كانت مياه الشرب يأتى بها السقاؤون من النهر بالقرب وتحفظ في الآبار .

وكانوا اذا حفروا بئرا يجعلون في جوانبه نقرا كما في (شكل ٤٩) . يدخلون فيها عروقا من الخشب ، ليسهل النزول في البناء أثناء حفرها أو عند ما يريدون تطهيرها .

والبئر التي رسمناها مستديرة . وهي من الشكل الأكثر استعمالا . مغطاة بقبري قطعه ناقص الشكل منى بمداميك أفقية من الآجر الموضوع فوق بعضه البعض ، بارزا بالتدرج . والفتحة العليا عليها خرزة مقطوعة من قاعدة قديمة من الرخام . وفي . تشاهد آثار غائرة أحدثها احتكاك الحبل بجوانب الخرزة من الداخل .



(شكل ٤٩)

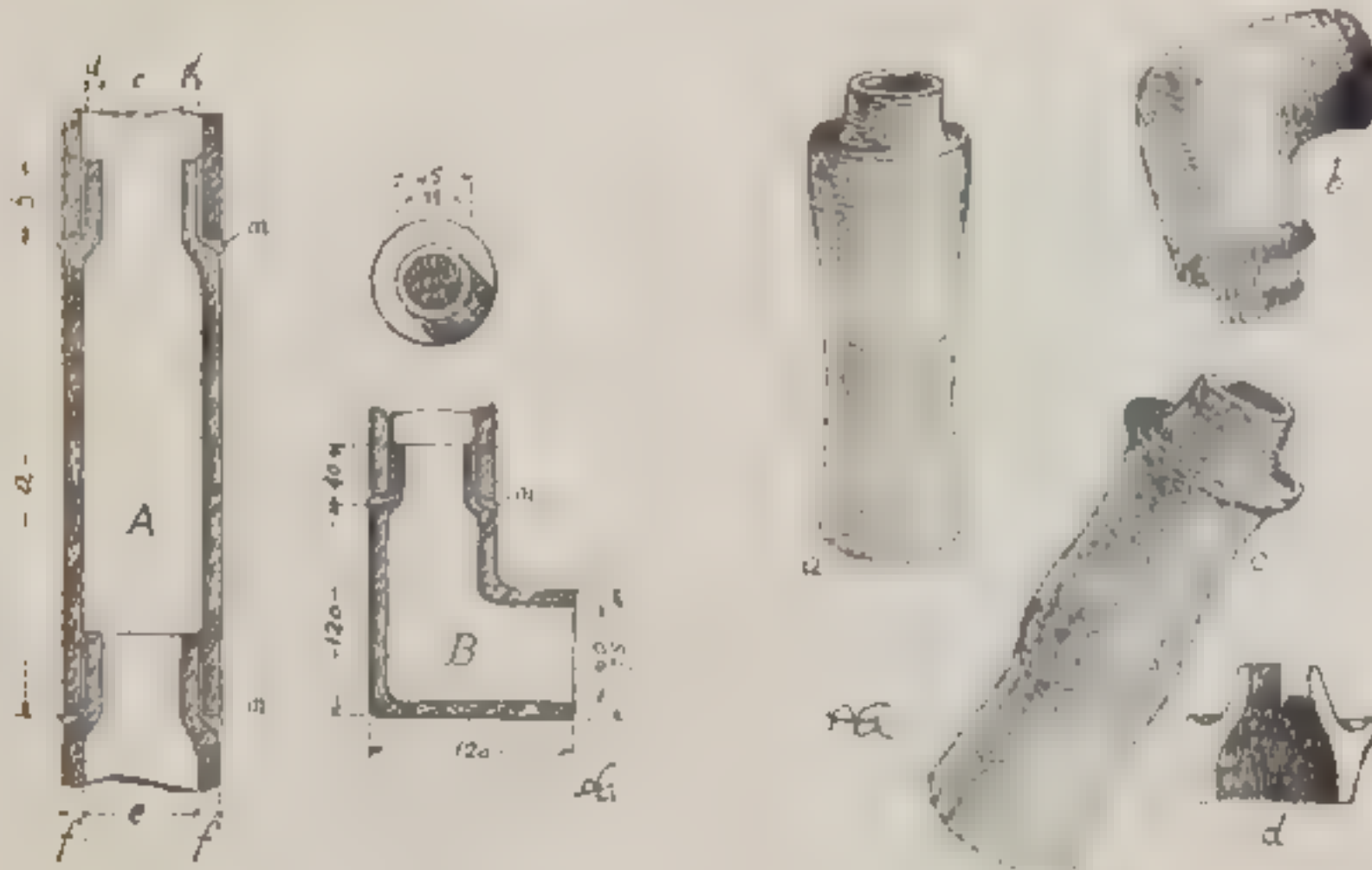
(ب) القنوات - القنوات الفخار تتكون من أنابيب أسطوانية موصولة بعضها ببعض بالكيفية المرسومة في (الشكل ٥٠) . وهي تختلف في المقاس ، وقد وجدنا منها ما يأتى :

(١) أنابيب صغيرة سعيا ١٠ سم شعير ١٠ ص ١٥٢

تتبعه — يقرأ في السطر ٩ "جوانبها" عوضا عن "جوانبه" . وفي السطر ١١ "في البئر" عوضا عن "في" . — (٨)

و	د	د	ج	س	ر
٠,٠٠٤	٠,٠٠٤	٠,٠٠٨	٠,٠٠٦	٠,٠٠٤	٠,٠٠٠
٠,٠٠١	٠,٠٠٧	٠,٠٠١	٠,٠٠٥	٠,٠٠٥	٠,٠٠٤
٠,٠٠٤	٠,٠٠٧	٠,٠٠٨	٠,٠٠٥	٠,٠٠٦	٠,٠٠٥
٠,٠٠٧	٠,٠٠٧	٠,٠٠٥	٠,٠٠٨	٠,٠٠٥	٠,٠٠٦
٠,٠٠١	٠,٠٠٨	٠,٠٠١	٠,٠٠٥	٠,٠٠٦	٠,٠٠٨

وكانت الألياف، يربط بعضها ببعض بمونة من الجير والقصر، أو الخمر (٣٣ من الشكل ٥٠).



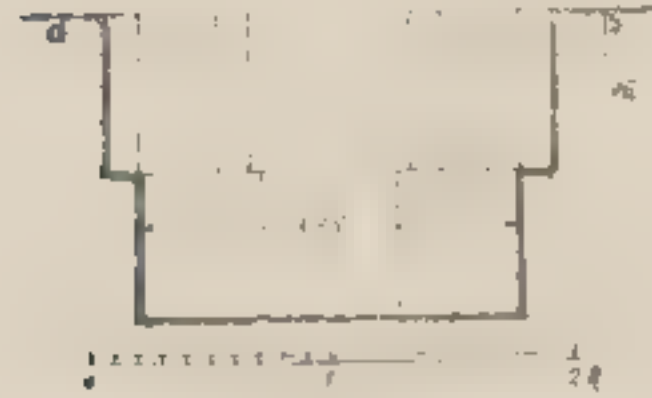
(شكل ٥٠)

(شكل ٥١)

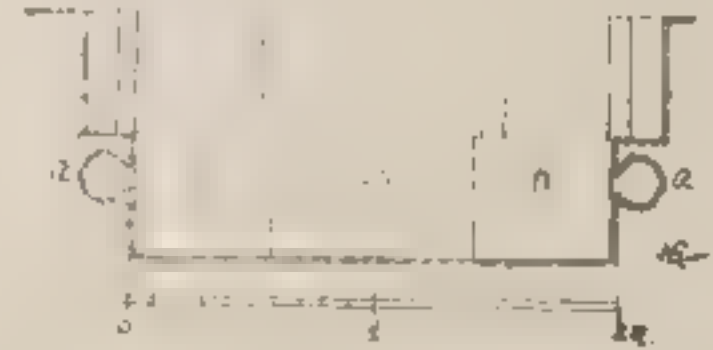
ووجدنا بجانب القطع المستقيمة قطعاً من الفخار، على شكل كوع أو حرف T، كانت تستعمل للتفريغ والتحويل. (شكل ٥٠ و ٥١).

(ج) الفساق - في الحرش، بكل دار مهمة، فسقية مربعة، مبنية بالآجر فوق الصخر. وقد يختلف شكل الفسقية. وهي على وجه العموم مربعة الفتحة. وقاعها منشوري الشكل،

ممن الزوايا . وهذا الشكل يتغير أحيانا كما في (الشكلين ٥٢ و ٥٣) بما يضاف اليه من التجاويف الاسطوانية والبروزات .

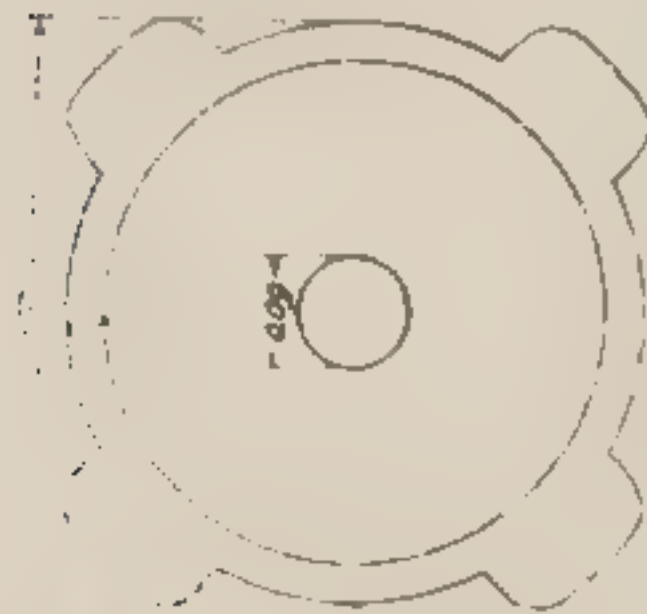


(شكل ٥٢)



(شكل ٥٣)

وتجيب المياه على وجه العموم الى الحوض من قنوات من الفخار في الزوايا أو في الوسط بأحد الجوانب . وتشاهد في (الشكل ٥٢) . أنابيب صغيرة من النحاس في الزوايا الأربع، وكانت متخذة بصفة ميازيب، بعدد الزوايا تنحدر منها المياه الى حوض .



(شكل ٥٤)

وكانوا يفرشون بطن الفسقية وحافاتها الأفقية ببلاط كلسي أو ملاط مائي من الجير والقصرمل أو الخمرة .

ووجد في بعض الفساق . وكذلك في جوانب جوفها المثلث، قوادر من فخار مثبتة (شكل ٥٣) . ربما كانت متخذة كبيوت للأسماك الصغيرة .

(د) أحواض غسيل الأبدى - عثر على عدد من الأحواض من النوع الذى رسمناه
فى (الشكل ٥٤) . وهو فى الغالب متخذ من قطع من الرخام قديمة . وأحيانا من تيجان دورية
ولا يزال البعض منها فى مواضعه الى الآن. مما لا يجعل شكاً فى الفرض الذى اتخذت له (راجع
على الخصوص، الدار السابعة مكرر، ١ من الشكل ٢٧) .

الباب السابع

قطع من الزخارف

جمعت من مواقع القطاط. قطع مختلفة من الزخارف المنخدة من الحص التي تكفى بها الجدران أكثرها محلى بنقوش بارزة . وهذه الزخارف ببعضها أثر تلوين .

وقد وجدت بين الأتربة بمعزل عن المباني القائمة . وهى على وجه العموم صغيرة الحجم ، ترجع الى أزمنة مختلفة . ولذلك يغلب على الظن أنها من أبنية هدمت ونقلت فى أزمنة مجهولة الى الكيان، إلا التزر اليسير .

وستكلم فى هذا الفصل على الزخارف المختلفة من الدور التي اكتشفت . وهى بحكم قياسها، ووزنها، وتشابه بعض القطع التي جمعت من محل واحد بعيدة عن فكرة أنها متقولة من جهات أخرى .

ومع أننا لم نعثر بينها على قطعة واحدة قائمة بمكانها الأصلي من الجدران، إلا أنه أمكننا الاستدلال على الدور المأخوذة منها . ولا بأس من قسمتها الى نوعين :
زخارف لم يدخلها غير الحص. وزخارف يتخذ فيها الحص بالآجر .

١ - الكسوة بالحص

رسمنا فى (الشكل ٥٥) واللوحه (٢١ - ٢١) أهم الأمثلة التي تساعد على الفهم من القطع التي اكتشفت الى الآن . وهذه الكسوة مكونة من الواح. نخاتها أربعة أوصحة ستيمترات من

(١) هذه القطع كلها معروضة بدار الآثار العربية بالقاهرة .

جص مصنوع في قوالب من خشب . وبهذه الطريقة كانوا يصنعون حشوات مستطيلة ،
مختلفة المقاس . يكسونه بها الجدران المبنية بالآجر . والظاهر أن هذه الزخارف كانت حلية
داخل البيوت ، وإن لم تعرف كيفية وضعها الأصلي ، وهل كانت جوانب القيعان كلها مكسوة بها ،
أو كانوا يقتصرون فقط على اتخاذها بقواعد العمد والطرز وغيره ”



(شكل ٥٥)

(١) لم يساعدنا الخط على العثور على مجموعات واقية من قبيل مائة عيه مسبو مرزوق في سامرا (راجع Pl. XI).
ولما كانت القطع التي وجدتناها من هذا النوع قليلة ، ما نلتزم أن هذه الزخرفة كانت تادة . و يلاحظ في بعض المواقع على جدران القيعان ، مثلا ، مصقول خال
من الزخرفة . ولا يبعد أن يكون هذا هو النوع الذي كان عاما بالقمطاط .

وعلى كل حال، فإن النموذج الذي عثر عليه يشابه أول طرز وجد من هذا القبيل بمدينة سامراء (شكل ٥٦ وشكل ٥٧) لأن الزخرفة وطريقة الصناعة، في مصر والعراق، قائمة على أصول واحدة.



وهذه الروح توجد في زخارف الجامع الطولوني . وإن كان مسيو هرزفيلد يؤكد بأن صناعتها مصرية بحتة (indigénite) . وهي فكرة تناقضها مكتشفات مسيو فيوليه وهرزفيلد نفسه، لأنها تنفي أن أصل هذه الزخارف شرقي . ومع ذلك فإن زخارف القسطنطينية تنطبق عليها استنتاجات مسيو فلوري في بحثه عن زخارف جامع ابن طولون . أعني بذلك أن الزخرفتين جميعاً من مظاهر الفن العباسي في القرن التاسع . وليست قاصرة على جهة أو إقليم . وبما ينبغي التنبه إليه، أن ما وجد على هذا النحو، من بقايا الزخارف بالقسطنطينية، لا يزال قليلاً، وكان متفرقاً بين الانقراض بشكل يحط من قيمة كل استنتاج، يترتب عليه، في تعيين تاريخ المباني . وإنا نأمل أن نصل بعملیات الحفر الآتية، إلى ما يكمل معلوماتنا في هذا الموضوع .

(١) قلا عن *Festes coelébiques* Hecht Pl. XI et XII تأليف هرزفيلد .

(٢) قلا عن « حفريات سامراء في العراق وأحد القصور الإسلامية من القرن التاسع عشر » . تأليف « H. Viollat » . قلا عن *Fouilles de Samarra en Mesopotamie. — Un palais musulman du dix-neuvième siècle*, Pl. X et XI. ١٠ و ١١ لوحة المدرج ذلك في (Mémoires publiés par l'Académie des Inscriptions et Belles-lettres) المجلد ١٢ قسم ثالثة سنة ١٩١١ .

(٣) راجع ما كتبه هرزفيلد بعنوان « مصادر الفنون الإسلامية وقت عثمان » *Genies des Islamischen Kunst und des Mahomet-Problem* في مجلة « الإسلام » (der Islam) المصدرة من استانبول سنة ١٩١٠ من ٤٧ .

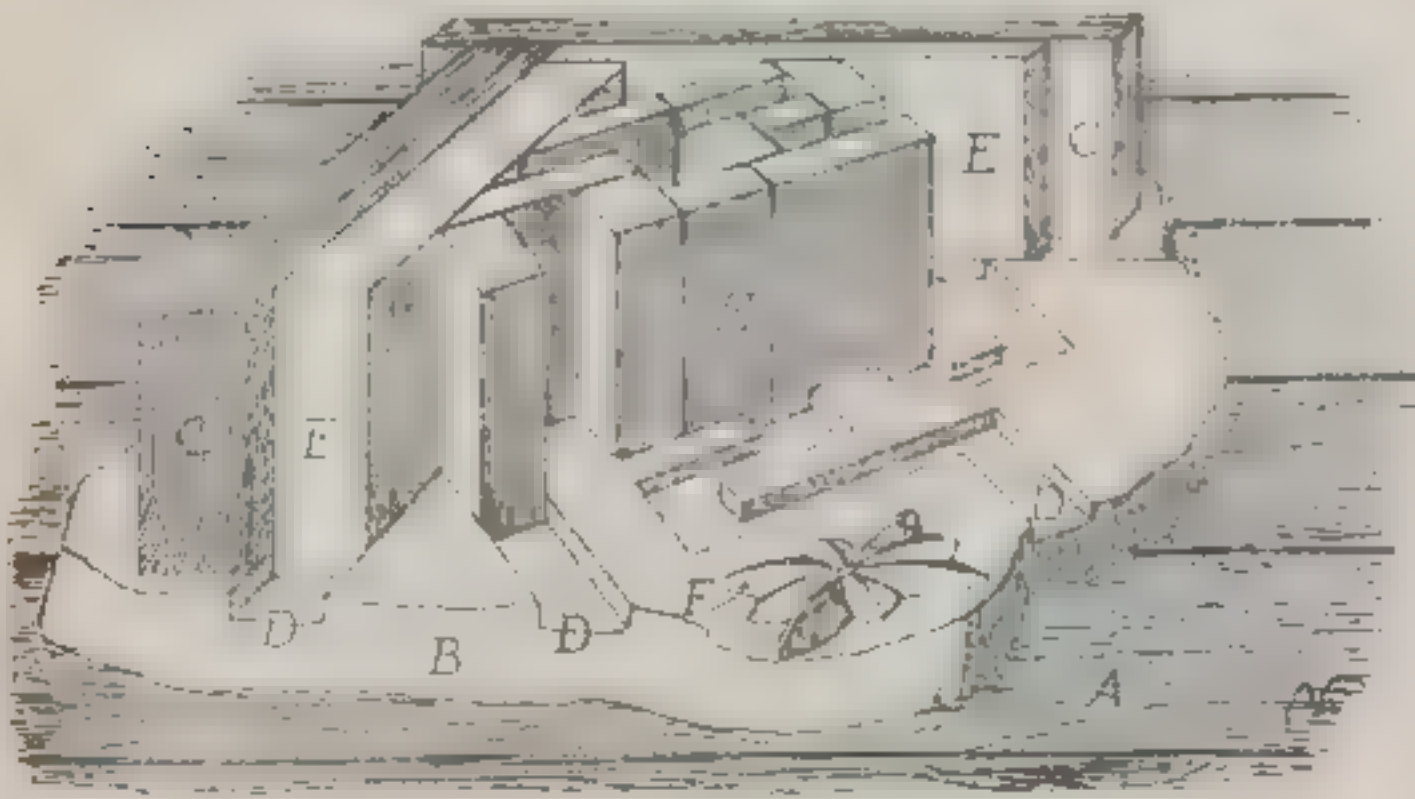
(٤) راجع ما كتبه مسيو فلوري عن « سامراء وزخارف جامع ابن طولون » *Samarra und die Ornamentik des Moschees des Ibn Tulun* في مجلة « الإسلام » (der Islam) المصنف ذكره سنة ١٩١٣ من ٤٢١ و ٤٢٢ .

٢ - الكسوة بالجص والآجر

الغرض من هذه الكسوة التي جمع فيها بين الجص والآجر على شكل غريب، مغاير للغرض من الكسوة المنخفضة من الجص . وقد وجدت بعض قطع من هذا النوع كبيرة الحجم : منها ما يبلغ طوله أكثر من المتر . ومنها ما يزيد ثقله على السنين كيلو جراما . وهو دليل على أنها كانت مستعملة في بعض الأبنية بالمحل الذي وجدت فيه . ويصح أن نقول . عن القطع المرسومة في اللوحة ٢٢ رقم ١ (شكل ٥٨) والتي وجد منها عدد كبير في الدار السادسة . أنها من زخارف هذه الدار . أما القطع المرسومة في ذيل اللوحة . فأنها من الدار الخامسة . وقد لوحظ بين القطع المجموعة . من عدة جهات ، من مناطق الحفر ، أن صانعتها مختلفة كما سنبينه فيما بعد . ولكن الأصل في تركيب هذه الزخرفة بقي على حاله . ولما درس مسيو جاكو بسنبل حالة الزخارف في تربة مؤمنة خاتون في ناخشوان . وهي زخارف مصنوعة



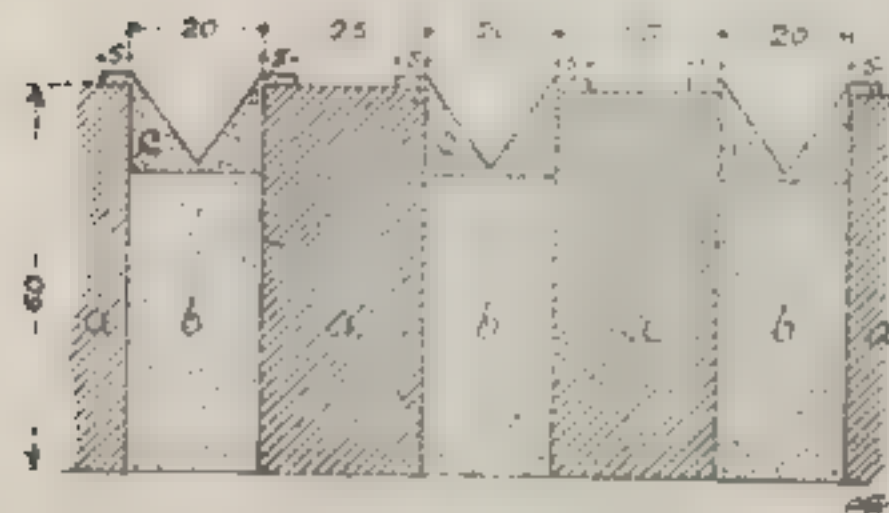
(شكل ٥٨)



شكل ١٥٩

على ذلك النمط، تصور أنه اهتدى الى طريقة عملها، فقال : انهم كانوا يتخذون صناديق من الخشب يخططون في أرضيتها الرسم المطلوب. ويحيطون هذا الرسم بحشوات أو قطع من الخشب، ثم يملأ الفراغ بالآجر، ويصب الجبس. فتتكون القطعة المطلوبة .

وهذه الفكرة تظهر كأنها عملية لمن لا يمعن النظر فيها . أما نحن . فإنا نرى أن طريقة العمل كانت أبسط من ذلك . إذ من الممكن الاستغناء عن عملية الأخشاب هذه . وقد بينا في (الشكل ٥٩) الطريقة التي كانوا يتبعونها، فكانوا يضعون على مستوى ١. طبقة من الجبس H يحكمون تسويتها، ويخططون عليها الشكل المطلوب . ويحدثون في الجبس وهو طرى الفراغ II II بالأزميل، ويلبسون فيه قطعاً من الآجر ويحيطون الحشوة بالألواح III ثم يصبون الجبس خلال الطوب . وإذا أريد الحصول على نقوش غائرة في الجبس طبعوها بقوالب بارزة مثل H . وهذه الطوابع كانت تستعمل عدة مرات وتبلغ كثافة الحشوات بعد تمامها من ٦ الى ١٠ سنتمرات .



(شكل ٦٠)

والظاهر أنهم كانوا عند ما يبنون الجدران يعدون في البناء الفراغ اللازم، لترتيب هذه الحشوات فيه .

ولا يمكن تعيين المحل الذي كانت تتركب فيه هذه الحشوات إلا البعض منها فإنه كما نراه مخلف من بعض العقود

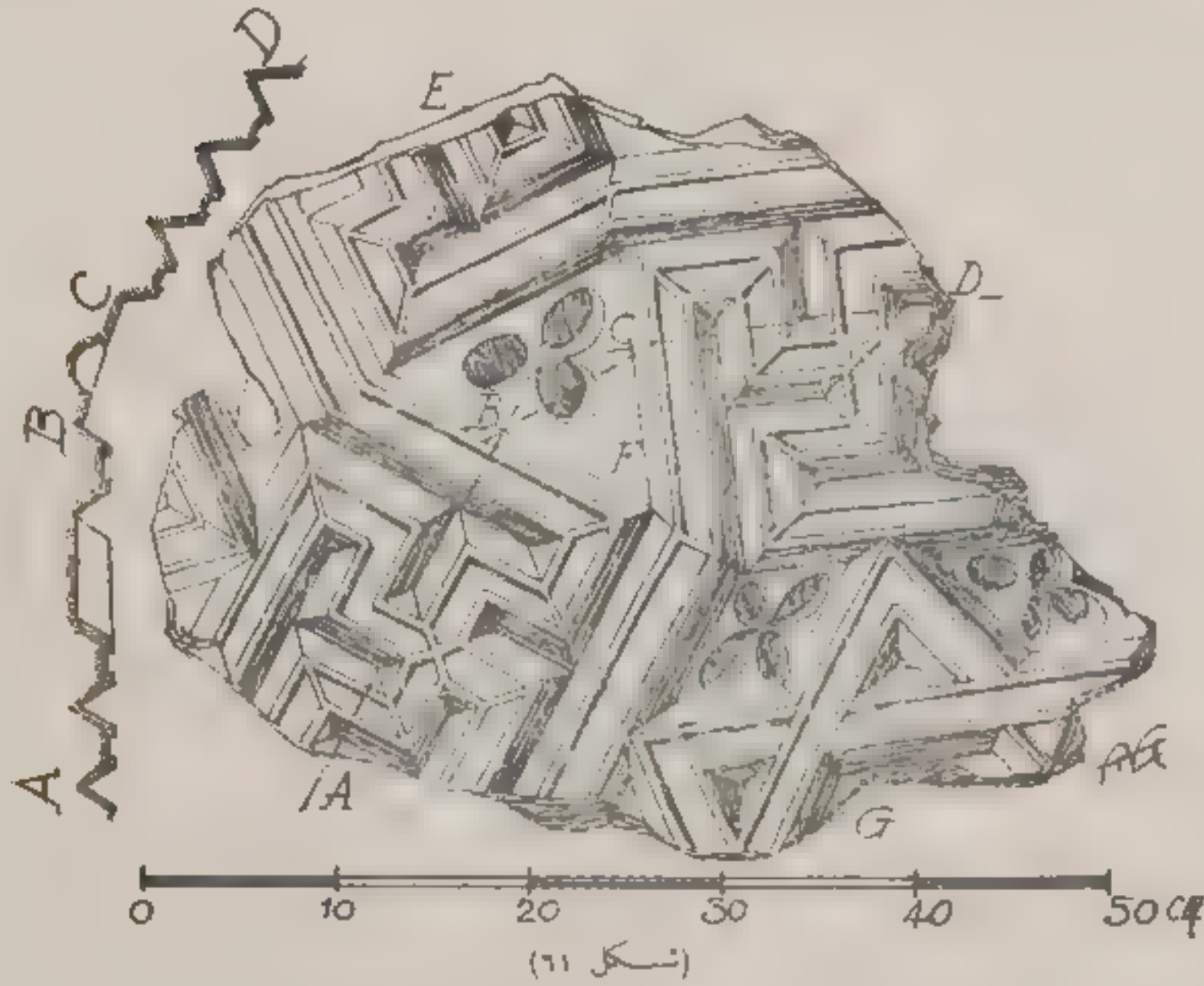
(الحنايا) . وإذا لاحظنا أن الجدران الواقعة على الطرق كانت تترك عارية وتكحل فقط كما ظهر في عمليات الحفر، وضح أن هذا النوع من الزخرفة كان مناسباً لهذه الجدران . وكانوا يتخذونه فقط حول باب الدخول أو على هيئة طرز .

(١) راجع : كته Jacobstahl (١) و"أبنة والقرون الوسطى" من مؤلفات Mittelalt. Bauten von Nachschauen - رلين - سنة ١٨٩٩

(٢) ومن الواجب علينا أن نذكر أن بناء ما كانت عليه هذه الحشوات يرجع الى أواخر الألفين الرابعين المصيرح الأسفل أمين شامس من المفاصل التي يشغلونها في زيم الآثار العربية . مع ملاحظة أن هذه الحشوات لا تختلف عن القطع التي وجدت في القمامة في شوم .

وإذا رجعنا الى تفاصيل الصناعة وشكل الزخارف الهندسية . نجد أن القطع المودعة بدار الآثار العربية . من هذه الزخارف . تدخل تحت أنواع عديدة :

النوع الأول (لوحة ٢٠ رقم ١ و ٢ . و لوحة ٢٢ رقم ١ شكل ٥٨) يشمل النماذج التي تفوق غيرها باتقان صناعتها (شكل ٦٠) وكانت حشواتها تعمل من الآجر « . ونجح بالجبس « . ثم يعمل بين كل طوبتين لحم على هيئة ١ . يارز عن الآجر بصفة حلقة لا يزيد عرضها عن بعض المليمترات . وتحتوى الحشوة على نجوم ذات ثمان شعب غائرة . تتبادل مع التعاريج والمشبكات . ملونة بطونها بمغرة حمراء . تقرب من لون الآجر .



وفي اللوحة ٢٢ رقم ١ . رسمنا قطعتين لا شك في أنهما مختلفتان من زخرفة بعض الحنايا . لأنه يمكن معرفة مقياس وتر المنحنى من القطعة الخلفية من الجانب الأيسر . فإذا اعتبرناه قوس دائرة يكون وتره قريبا من ٢,٢٠ م .

والقطعة الباقية من الطراز (لوحة ٢٠ رقم ٢) التي تكلمنا عليها فيما سبق (في الباب الرابع، الدار السادسة)، يجب عدها من هذا النوع . ونمرة ١ من اللوحة العشرين، مصنوعة بهذه الطريقة . ولكن على أسلوب تتعوا فيه . فأدخلت فيه الجذوت والمنحنيات وركبت في بعض التجاويف بحجارة من الصدف .

وقد وجدنا بجانب هذه الحشوات قطعة من زخرفة كانت تكسو الجانب الأيسر من عقد (شكل ٦١) . ومن القطع ABCD . يعرف أنها كانت مركبة على سطح منحني . ويتكرر هذا الانحناء في اتجاه EFG . ولا شك أن هذه القطعة كان موضعها يبطن عقد أحد الأبواب، أو على عقد حامل لبعض المورديات .

النوع الثاني (لوحة ٢٢ رقم ٢ شكل ٦٢) : شكله بسيط وصناعته لم يعن بتفاصيلها

كما عني سابقه . وقد استعملت الحشوة

فيه كما خرجت من القالب . ويلاحظ

أن أجراها من نوع خاص على هيئة (١)

والفواصل التي تخلل الآجر تكلت

بالجبس وصيغت بمغرة حمراء .

والطراز المرسوم في اللوحة ٢٠

رقم ٣ ، ومبدأ عقد الحنية (الطارة)

في اللوحة ٢١ رقم ٤ . يتبين منهما

أنهما مصنوعان بهذه الطريقة نفسها .



(شكل ٦٢)

النوع الثالث (لوحة ٢٣ رقم ١ و ٢) : الصناعة لم تتغير وفي رسم الآجر أجزاء كثيرة

ناقصة ولحامات عديدة بالجبس . وقد ساعدت كثرة استعمال الآجر المتخذ على أشكال منحنية

في تنويع وتعقيد الرسوم الى الغاية . وعلى هذه القطعة بقية كلمة كوفية نتعذر قراءتها، ولكنها

تدل على عهد صنعها (اللوحة ٢٣ رقم ٢) .

النوع الرابع (لوحة ٢٣ رقم ٣) : رسمه بالتقريب من نوع سابقه ، ولكن الصناعة تختلف ، لأن الحشوة كانت برجل حبتين متجاورتين . وكلها متخذة من الجص . ما عدا حدود العقدین فانها من الآجر .

ولا شك أن هذه الزخرفة ، كانت تجاورها فتحتان مزدوجتان . وإذا قيس الوتران وقوساهما وجد أن نصف قطرة الدائرة ٣٠ .

ولو فرضنا أن المحور موجود على مقربة من نصف الدائرة . فيكون أكبر سعة للفتحة ٦٠ . والكسوات التي ذكرناها ، وإن كانت بسيطة ، فانها ترجع الى نفس الأصل الذي تولدت عنه الزخارف الملونة في بلاد آشور وفارس . المشاهدة في الألواح المربعة المدهونة بالمينا بقصر نحرزباد ، وفي نقوش الأبادانا بسوس .

وفي المدينتين المذكورتين . كانوا يقصدون أن لا يبق الجدار عارياً ، ليخفوا تحت ستار ملون حقارة البناء المتخذ من الآجر .

أما الصناعة في الفسطاط ، فكانت بسيطة ، فلم يستعمل في الزخرفة غير لونين : لون الطوب الأحمر الداكن . والأبيض الجص . ولا شك أنهم كانوا يقصدون بذلك الاقتصاد في النفقة ، ومهولة العمل . وقد نشأت هذه الطريقة في بلاد فارس . وراجت في جميع البلاد الإسلامية ، لأنها دخلت منذ القرن التاسع في بلاد الأندلس . وكان قصر مدينة الزهراء ، مجللاً بزخارف من قیل الموجود في الفسطاط ، مؤلفة من الحجر الأبيض . والآجر الأحمر . على هيئة تعاريج ومشبكات .

(١) هذا التابع العراقي ، الذي أشر اليه بعض خواهره في نج هذا الموضع . يدل عليه بعض فقرات واردة في كتاب الانتصار لابن دقاق . قال ابن دقاق الزين (ج ٤ ص ٢٢) : هو الزقاق الذي بين دار ابن عشرين . والدار المعروفة بأبي عبد الله بن طاهر وفي أول الدار المعروفة بابن زياد . ذات الباب العراقي وفي ص ١٠ من الجزء المذكور : روى عبد الله بن طاهر مصر من قبل المأمون فذهبها سنة إحدى عشر ومائتين . فأقام بها شهراً . ثم انصرف الى العراق في هذه السنة . وقد ورد ذكره في دار ابن عشرين . ودار أبي عبد الله بن طاهر . عند دار الأدر المشهورة بالفسطاط . من عهد عمرو بن العاص الى انصر الطولوني . وقد نقل ذلك عن سفة . والمأخرة أنه لم يشاهدها . ولا يعبده . أن تكون دار ابن زياد . وأنها العراقية . من عهد ابن طولون أو قبله .

(٢) راجع ما كتبه ريكاردو فيلا سكوز بوسكو بعنوان « مدينة الزهراء » Medina Azuleja y Almoravia طبعه بدمشق سنة ١٩١٢ ص ٨٨ شكل ١٦ لوحة ٢٥ .

وهذه الطريقة، استمر العمل بها في البلاد التي نشأت فيها . من ذلك تربتا مؤمنة خاتون . ويوسف بن كثير . اللتان أقيمتا في القرن الثاني عشر بخشوان . وهما من الأدلة على الرقي الذي بلغته هذه الصناعة بمساعدة التلويين .

على أنه ليس من السهل . أن نؤكد القول . بأن هذه الطريقة التي جرى عليها في زخرفة المباني بالطرز وفي تحلية الحنايا . بالجمع بين الآجر الأحمر . والحص الأبيض . عمت سائر مباني القساط . أو أن ما وجدناه هو من الاستثناءات ، لأننا لم نجد له أثرا في جامع ابن طولون . ولا في الأبنية الفاطمية المشيدة بالآجر . التي ترى فيها الجدران مكسوة من الخارج والداخل بالبياض . ومن جهة أخرى ، فإن استعمال الحجر بدل الآجر في أبنية القاهرة . منذ العصر الفاطمي . قضى بطبيعة الحال على هذه الطريقة . هذا من حيث صناعة البناء . ومن ثم يظهر أن طريقة البناء هذه شرقية المصدر . فإن الزخارف التي عثرنا عليها بالقساط . مأخذها الزخارف الطليينسية دون غيرها . أعني بها الزخارف التي كانت منتشرة في البلاد الواقعة على البحر الأبيض المتوسط الى أقصى حدود مملكة الاسكندر . مثال ذلك : الزخرفة الحصية المرسومة في (الشكل ٥٨) فانها من الطرز المعروف المكون من المشبكات والصرر الثمانية الشعب .

وهذا الرسم . كان متداولاً عند الأقباط ، ودليلنا الحشوة الخشب المحفوظة بالمتحف المصري (شكل ٦٣) . وهي قطعة قال عنها مسيو سترزنجوسكي ، أنها من القرن السادس أو السابع المسيحي . وهي منسوجة على منوال الزخارف الطليينسية .

(١) راجع ماشره ف . ص ٤٨٣ في مجلة « الآفة الفارسية » *Denkmäler persischer Baukunst* لوحة ١ ص ٥٣ وراجع أيضا ماشره (D. Jacquot) في الكتاب السابق ص ١٥٠ .

(٢) ربما يكون هذا الأسلوب الأثني . الذي استعمل به الآجر على أشكال بسيطة ، له بقية هي التي نشاهد في بيوت وشيدت في ربيع ال القرن السادس عشر . (راجع تقرير مرشدين عمارة في رشيد . في مجموعة لجنة جمع الآثار المصرية كرامة ١٣ سنة ١٨٩٦ ص ٥١ وما يليها) . ولأنك . أن طريقة العمل بها . أصبحت أقرب الى بساطة . فانحلت الزخرفة من وضع الآجر على جدران شخصية . من ألوان مختلفة . وكلها ألوانات مونة بضاء خاصة . بارزة قليلا عن وجه الجدار .

ولقد ذكر مسيو سومرس كلارك . وجود عقد كنيسة . بخاربه متخذة من طوب أحمر غامق ولطائف بيضاء . على أشكال هندسية في دير البذراء بالبحر . راجع « الآثار المسيحية في وادي النيل » (*Christian Antiquities in the Nile Valley*, p. 144) ولا يبر التاريخ الذي يرجع اليه هذا العقد .

(٣) توجد زخارف من هذا القبيل في « الفن القبطي » (*Koptische Kunst*) لاسترزنجوسكي شكل ٩٠ و ١٨٧ وفي « الآثار القبطية » (*Coptic Monuments*) لكره (Crum) لوحة ٣ ر ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٢ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٧٣ و ٤٧٤ و ٤٧٥ و ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٧٩ و ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٥ و ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٤٨٨ و ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٤٩١ و ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤٩٤ و ٤٩٥ و ٤٩٦ و ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٤٩٩ و ٥٠٠ و ٥٠١ و ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٥ و ٥٠٦ و ٥٠٧ و ٥٠٨ و ٥٠٩ و ٥١٠ و ٥١١ و ٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ و ٥١٦ و ٥١٧ و ٥١٨ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ و ٥٢٢ و ٥٢٣ و ٥٢٤ و ٥٢٥ و ٥٢٦ و ٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٢٩ و ٥٣٠ و ٥٣١ و ٥٣٢ و ٥٣٣ و ٥٣٤ و ٥٣٥ و ٥٣٦ و ٥٣٧ و ٥٣٨ و ٥٣٩ و ٥٤٠ و ٥٤١ و ٥٤٢ و ٥٤٣ و ٥٤٤ و ٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٧ و ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٥٥٣ و ٥٥٤ و ٥٥٥ و ٥٥٦ و ٥٥٧ و ٥٥٨ و ٥٥٩ و ٥٦٠ و ٥٦١ و ٥٦٢ و ٥٦٣ و ٥٦٤ و ٥٦٥ و ٥٦٦ و ٥٦٧ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٠ و ٥٧١ و ٥٧٢ و ٥٧٣ و ٥٧٤ و ٥٧٥ و ٥٧٦ و ٥٧٧ و ٥٧٨ و ٥٧٩ و ٥٨٠ و ٥٨١ و ٥٨٢ و ٥٨٣ و ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٨٦ و ٥٨٧ و ٥٨٨ و ٥٨٩ و ٥٩٠ و ٥٩١ و ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ و ٥٩٥ و ٥٩٦ و ٥٩٧ و ٥٩٨ و ٥٩٩ و ٦٠٠ و ٦٠١ و ٦٠٢ و ٦٠٣ و ٦٠٤ و ٦٠٥ و ٦٠٦ و ٦٠٧ و ٦٠٨ و ٦٠٩ و ٦١٠ و ٦١١ و ٦١٢ و ٦١٣ و ٦١٤ و ٦١٥ و ٦١٦ و ٦١٧ و ٦١٨ و ٦١٩ و ٦٢٠ و ٦٢١ و ٦٢٢ و ٦٢٣ و ٦٢٤ و ٦٢٥ و ٦٢٦ و ٦٢٧ و ٦٢٨ و ٦٢٩ و ٦٣٠ و ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٣ و ٦٣٤ و ٦٣٥ و ٦٣٦ و ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١ و ٦٤٢ و ٦٤٣ و ٦٤٤ و ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٧ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥٠ و ٦٥١ و ٦٥٢ و ٦٥٣ و ٦٥٤ و ٦٥٥ و ٦٥٦ و ٦٥٧ و ٦٥٨ و ٦٥٩ و ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٢ و ٦٦٣ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٦٧ و ٦٦٨ و ٦٦٩ و ٦٧٠ و ٦٧١ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٦٧٥ و ٦٧٦ و ٦٧٧ و ٦٧٨ و ٦٧٩ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٦٨٤ و ٦٨٥ و ٦٨٦ و ٦٨٧ و ٦٨٨ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٢ و ٦٩٣ و ٦٩٤ و ٦٩٥ و ٦٩٦ و ٦٩٧ و ٦٩٨ و ٦٩٩ و ٧٠٠ و ٧٠١ و ٧٠٢ و ٧٠٣ و ٧٠٤ و ٧٠٥ و ٧٠٦ و ٧٠٧ و ٧٠٨ و ٧٠٩ و ٧١٠ و ٧١١ و ٧١٢ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٥ و ٧١٦ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧١٩ و ٧٢٠ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٣ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٧ و ٧٢٨ و ٧٢٩ و ٧٣٠ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٣ و ٧٣٤ و ٧٣٥ و ٧٣٦ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٣٩ و ٧٤٠ و ٧٤١ و ٧٤٢ و ٧٤٣ و ٧٤٤ و ٧٤٥ و ٧٤٦ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٤٩ و ٧٥٠ و ٧٥١ و ٧٥٢ و ٧٥٣ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٦ و ٧٥٧ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٢ و ٧٦٣ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٦ و ٧٦٧ و ٧٦٨ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧١ و ٧٧٢ و ٧٧٣ و ٧٧٤ و ٧٧٥ و ٧٧٦ و ٧٧٧ و ٧٧٨ و ٧٧٩ و ٧٨٠ و ٧٨١ و ٧٨٢ و ٧٨٣ و ٧٨٤ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٧٨٧ و ٧٨٨ و ٧٨٩ و ٧٩٠ و ٧٩١ و ٧٩٢ و ٧٩٣ و ٧٩٤ و ٧٩٥ و ٧٩٦ و ٧٩٧ و ٧٩٨ و ٧٩٩ و ٨٠٠ و ٨٠١ و ٨٠٢ و ٨٠٣ و ٨٠٤ و ٨٠٥ و ٨٠٦ و ٨٠٧ و ٨٠٨ و ٨٠٩ و ٨١٠ و ٨١١ و ٨١٢ و ٨١٣ و ٨١٤ و ٨١٥ و ٨١٦ و ٨١٧ و ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢٠ و ٨٢١ و ٨٢٢ و ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢٥ و ٨٢٦ و ٨٢٧ و ٨٢٨ و ٨٢٩ و ٨٣٠ و ٨٣١ و ٨٣٢ و ٨٣٣ و ٨٣٤ و ٨٣٥ و ٨٣٦ و ٨٣٧ و ٨٣٨ و ٨٣٩ و ٨٤٠ و ٨٤١ و ٨٤٢ و ٨٤٣ و ٨٤٤ و ٨٤٥ و ٨٤٦ و ٨٤٧ و ٨٤٨ و ٨٤٩ و ٨٥٠ و ٨٥١ و ٨٥٢ و ٨٥٣ و ٨٥٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ و ٨٥٧ و ٨٥٨ و ٨٥٩ و ٨٦٠ و ٨٦١ و ٨٦٢ و ٨٦٣ و ٨٦٤ و ٨٦٥ و ٨٦٦ و ٨٦٧ و ٨٦٨ و ٨٦٩ و ٨٧٠ و ٨٧١ و ٨٧٢ و ٨٧٣ و ٨٧٤ و ٨٧٥ و ٨٧٦ و ٨٧٧ و ٨٧٨ و ٨٧٩ و ٨٨٠ و ٨٨١ و ٨٨٢ و ٨٨٣ و ٨٨٤ و ٨٨٥ و ٨٨٦ و ٨٨٧ و ٨٨٨ و ٨٨٩ و ٨٩٠ و ٨٩١ و ٨٩٢ و ٨٩٣ و ٨٩٤ و ٨٩٥ و ٨٩٦ و ٨٩٧ و ٨٩٨ و ٨٩٩ و ٩٠٠ و ٩٠١ و ٩٠٢ و ٩٠٣ و ٩٠٤ و ٩٠٥ و ٩٠٦ و ٩٠٧ و ٩٠٨ و ٩٠٩ و ٩١٠ و ٩١١ و ٩١٢ و ٩١٣ و ٩١٤ و ٩١٥ و ٩١٦ و ٩١٧ و ٩١٨ و ٩١٩ و ٩٢٠ و ٩٢١ و ٩٢٢ و ٩٢٣ و ٩٢٤ و ٩٢٥ و ٩٢٦ و ٩٢٧ و ٩٢٨ و ٩٢٩ و ٩٣٠ و ٩٣١ و ٩٣٢ و ٩٣٣ و ٩٣٤ و ٩٣٥ و ٩٣٦ و ٩٣٧ و ٩٣٨ و ٩٣٩ و ٩٤٠ و ٩٤١ و ٩٤٢ و ٩٤٣ و ٩٤٤ و ٩٤٥ و ٩٤٦ و ٩٤٧ و ٩٤٨ و ٩٤٩ و ٩٥٠ و ٩٥١ و ٩٥٢ و ٩٥٣ و ٩٥٤ و ٩٥٥ و ٩٥٦ و ٩٥٧ و ٩٥٨ و ٩٥٩ و ٩٦٠ و ٩٦١ و ٩٦٢ و ٩٦٣ و ٩٦٤ و ٩٦٥ و ٩٦٦ و ٩٦٧ و ٩٦٨ و ٩٦٩ و ٩٧٠ و ٩٧١ و ٩٧٢ و ٩٧٣ و ٩٧٤ و ٩٧٥ و ٩٧٦ و ٩٧٧ و ٩٧٨ و ٩٧٩ و ٩٨٠ و ٩٨١ و ٩٨٢ و ٩٨٣ و ٩٨٤ و ٩٨٥ و ٩٨٦ و ٩٨٧ و ٩٨٨ و ٩٨٩ و ٩٩٠ و ٩٩١ و ٩٩٢ و ٩٩٣ و ٩٩٤ و ٩٩٥ و ٩٩٦ و ٩٩٧ و ٩٩٨ و ٩٩٩ و ١٠٠٠ و ١٠٠١ و ١٠٠٢ و ١٠٠٣ و ١٠٠٤ و ١٠٠٥ و ١٠٠٦ و ١٠٠٧ و ١٠٠٨ و ١٠٠٩ و ١٠١٠ و ١٠١١ و ١٠١٢ و ١٠١٣ و ١٠١٤ و ١٠١٥ و ١٠١٦ و ١٠١٧ و ١٠١٨ و ١٠١٩ و ١٠٢٠ و ١٠٢١ و ١٠٢٢ و ١٠٢٣ و ١٠٢٤ و ١٠٢٥ و ١٠٢٦ و ١٠٢٧ و ١٠٢٨ و ١٠٢٩ و ١٠٣٠ و ١٠٣١ و ١٠٣٢ و ١٠٣٣ و ١٠٣٤ و ١٠٣٥ و ١٠٣٦ و ١٠٣٧ و ١٠٣٨ و ١٠٣٩ و ١٠٤٠ و ١٠٤١ و ١٠٤٢ و ١٠٤٣ و ١٠٤٤ و ١٠٤٥ و ١٠٤٦ و ١٠٤٧ و ١٠٤٨ و ١٠٤٩ و ١٠٥٠ و ١٠٥١ و ١٠٥٢ و ١٠٥٣ و ١٠٥٤ و ١٠٥٥ و ١٠٥٦ و ١٠٥٧ و ١٠٥٨ و ١٠٥٩ و ١٠٦٠ و ١٠٦١ و ١٠٦٢ و ١٠٦٣ و ١٠٦٤ و ١٠٦٥ و ١٠٦٦ و ١٠٦٧ و ١٠٦٨ و ١٠٦٩ و ١٠٧٠ و ١٠٧١ و ١٠٧٢ و ١٠٧٣ و ١٠٧٤ و ١٠٧٥ و ١٠٧٦ و ١٠٧٧ و ١٠٧٨ و ١٠٧٩ و ١٠٨٠ و ١٠٨١ و ١٠٨٢ و ١٠٨٣ و ١٠٨٤ و ١٠٨٥ و ١٠٨٦ و ١٠٨٧ و ١٠٨٨ و ١٠٨٩ و ١٠٩٠ و ١٠٩١ و ١٠٩٢ و ١٠٩٣ و ١٠٩٤ و ١٠٩٥ و ١٠٩٦ و ١٠٩٧ و ١٠٩٨ و ١٠٩٩ و ١١٠٠ و ١١٠١ و ١١٠٢ و ١١٠٣ و ١١٠٤ و ١١٠٥ و ١١٠٦ و ١١٠٧ و ١١٠٨ و ١١٠٩ و ١١١٠ و ١١١١ و ١١١٢ و ١١١٣ و ١١١٤ و ١١١٥ و ١١١٦ و ١١١٧ و ١١١٨ و ١١١٩ و ١١٢٠ و ١١٢١ و ١١٢٢ و ١١٢٣ و ١١٢٤ و ١١٢٥ و ١١٢٦ و ١١٢٧ و ١١٢٨ و ١١٢٩ و ١١٣٠ و ١١٣١ و ١١٣٢ و ١١٣٣ و ١١٣٤ و ١١٣٥ و ١١٣٦ و ١١٣٧ و ١١٣٨ و ١١٣٩ و ١١٤٠ و ١١٤١ و ١١٤٢ و ١١٤٣ و ١١٤٤ و ١١٤٥ و ١١٤٦ و ١١٤٧ و ١١٤٨ و ١١٤٩ و ١١٥٠ و ١١٥١ و ١١٥٢ و ١١٥٣ و ١١٥٤ و ١١٥٥ و ١١٥٦ و ١١٥٧ و ١١٥٨ و ١١٥٩ و ١١٦٠ و ١١٦١ و ١١٦٢ و ١١٦٣ و ١١٦٤ و ١١٦٥ و ١١٦٦ و ١١٦٧ و ١١٦٨ و ١١٦٩ و ١١٧٠ و ١١٧١ و ١١٧٢ و ١١٧٣ و ١١٧٤ و ١١٧٥ و ١١٧٦ و ١١٧٧ و ١١٧٨ و ١١٧٩ و ١١٨٠ و ١١٨١ و ١١٨٢ و ١١٨٣ و ١١٨٤ و ١١٨٥ و ١١٨٦ و ١١٨٧ و ١١٨٨ و ١١٨٩ و ١١٩٠ و ١١٩١ و ١١٩٢ و ١١٩٣ و ١١٩٤ و ١١٩٥ و ١١٩٦ و ١١٩٧ و ١١٩٨ و ١١٩٩ و ١٢٠٠ و ١٢٠١ و ١٢٠٢ و ١٢٠٣ و ١٢٠٤ و ١٢٠٥ و ١٢٠٦ و ١٢٠٧ و ١٢٠٨ و ١٢٠٩ و ١٢١٠ و ١٢١١ و ١٢١٢ و ١٢١٣ و ١٢١٤ و ١٢١٥ و ١٢١٦ و ١٢١٧ و ١٢١٨ و ١٢١٩ و ١٢٢٠ و ١٢٢١ و ١٢٢٢ و ١٢٢٣ و ١٢٢٤ و ١٢٢٥ و ١٢٢٦ و ١٢٢٧ و ١٢٢٨ و ١٢٢٩ و ١٢٣٠ و ١٢٣١ و ١٢٣٢ و ١٢٣٣ و ١٢٣٤ و ١٢٣٥ و ١٢٣٦ و ١٢٣٧ و ١٢٣٨ و ١٢٣٩ و ١٢٤٠ و ١٢٤١ و ١٢٤٢ و ١٢٤٣ و ١٢٤٤ و ١٢٤٥ و ١٢٤٦ و ١٢٤٧ و ١٢٤٨ و ١٢٤٩ و ١٢٥٠ و ١٢٥١ و ١٢٥٢ و ١٢٥٣ و ١٢٥٤ و ١٢٥٥ و ١٢٥٦ و ١٢٥٧ و ١٢٥٨ و ١٢٥٩ و ١٢٦٠ و ١٢٦١ و ١٢٦٢ و ١٢٦٣ و ١٢٦٤ و ١٢٦٥ و ١٢٦٦ و ١٢٦٧ و ١٢٦٨ و ١٢٦٩ و ١٢٧٠ و ١٢٧١ و ١٢٧٢ و ١٢٧٣ و ١٢٧٤ و ١٢٧٥ و ١٢٧٦ و ١٢٧٧ و ١٢٧٨ و ١٢٧٩ و ١٢٨٠ و ١٢٨١ و ١٢٨٢ و ١٢٨٣ و ١٢٨٤ و ١٢٨٥ و ١٢٨٦ و ١٢٨٧ و ١٢٨٨ و ١٢٨٩ و ١٢٩٠ و ١٢٩١ و ١٢٩٢ و ١٢٩٣ و ١٢٩٤ و ١٢٩٥ و ١٢٩٦ و ١٢٩٧ و ١٢٩٨ و ١٢٩٩ و ١٣٠٠ و ١٣٠١ و ١٣٠٢ و ١٣٠٣ و ١٣٠٤ و ١٣٠٥ و ١٣٠٦ و ١٣٠٧ و ١٣٠٨ و ١٣٠٩ و ١٣١٠ و ١٣١١ و ١٣١٢ و ١٣١٣ و ١٣١٤ و ١٣١٥ و ١٣١٦ و ١٣١٧ و ١٣١٨ و ١٣١٩ و ١٣٢٠ و ١٣٢١ و ١٣٢٢ و ١٣٢٣ و ١٣٢٤ و ١٣٢٥ و ١٣٢٦ و ١٣٢٧ و ١٣٢٨ و ١٣٢٩ و ١٣٣٠ و ١٣٣١ و ١٣٣٢ و ١٣٣٣ و ١٣٣٤ و ١٣٣٥ و ١٣٣٦ و ١٣٣٧ و ١٣٣٨ و ١٣٣٩ و ١٣٤٠ و ١٣٤١ و ١٣٤٢ و ١٣٤٣ و ١٣٤٤ و ١٣٤٥ و ١٣٤٦ و ١٣٤٧ و ١٣٤٨ و ١٣٤٩ و ١٣٥٠ و ١٣٥١ و ١٣٥٢ و ١٣٥٣ و ١٣٥٤ و ١٣٥٥ و ١٣٥٦ و ١٣٥٧ و ١٣٥٨ و ١٣٥٩ و ١٣٦٠ و ١٣٦١ و ١٣٦٢ و ١٣٦٣ و ١٣٦٤ و ١٣٦٥ و ١٣٦٦ و ١٣٦٧ و ١٣٦٨ و ١٣٦٩ و ١٣٧٠ و ١٣٧١ و ١٣٧٢ و ١٣٧٣ و ١٣٧٤ و ١٣٧٥ و ١٣٧٦ و ١٣٧٧ و ١٣٧٨ و ١٣٧٩ و ١٣٨٠ و ١٣٨١ و ١٣٨٢ و ١٣٨٣ و ١٣٨٤ و ١٣٨٥ و ١٣٨٦ و ١٣٨٧ و ١٣٨٨ و ١٣٨٩ و ١٣٩٠ و ١٣٩١ و ١٣٩٢ و ١٣٩٣ و ١٣٩٤ و ١٣٩٥ و ١٣٩٦ و ١٣٩٧ و ١٣٩٨ و ١٣٩٩ و

وفي نقوش بويط : (شكل ٦٤) ، ودير القدس سمعان (شكل ٦٥) ، توجد زخارف من هذا القبيل مكونة من أشكال متعاقبة ، وفي وسطها شكل مثلث الزوايا . والنوع الذي رمزنا له بحرف « (شكل ٦٢) » مقتبس من ذلك . ولا يختلف عن زخرفة اسوان إلا في أن الصورة التي في الوسط مستبدلة بخيمة ذات ثمانية شعب وأن القطعة كلها على شكل حنية مكندجة .



(شكل ٦٣)

كما تقدم . يظهر أن العرب وجدوا في أرض مصر . وقت الفتح . بعض الأشكال الهندسية من هذا القبيل ، فتوسعوا فيها بما أوتوه من ملكة التصور والدوق . ولكن ذلك لا نعهده



(شكل ٦٥)



(شكل ٦٤)

دليلا على أن العرب قلدوا الأقباط دون غيرهم ، فإن التقاليد اليونانية لا يزال أثرها باقيا في بلاد فارس والعراق وسوريا ومصر .

وإذا كانت الزخارف الحصية المكتشفة بإسمرا بها أثر من التقاليد الشرقية ، فإن هناك زخارف أخرى اكتشفت بها ، تثبت انتشار الزخارف التي فيها مميزات الفن السكندري في أنحاء

(١) بل ، أورده كليدا في الكتاب السابق لوحة ٦٥

(٢) عن حاشية في "الفن القبطي" ص ٢٨٤ وراجع أيضا "مهرت آثار وكتابات مصر القديمة" ج ١ ص ١٣٥

(٣) لوحة في الآثار النبطية عقود حكمة بها شبكات ونجوم ذات تماثل شعاع ورسوم ملونة اراجع "حجرات بويط" لشاربوا لائحة ٣ و ٤

و ٥٨ و ٧١ و ٧٦ و ٩١ وكليدا في الكتاب السابق ذكره لائحة ٥٨

العالم الاسلامي . ومن الأمثلة التي تذكرها قطعة من الفخار (شكل ٦٦) . فإن لوحة الرسم فيها كما في حشوات الفسفاط مشبكات وصرر ذات ثمانى شعب .



(شكل ٦٦)

على هذا المنوال ، كانت البلاد التي دخلت في حوزة المسلمين لا يزال موجودا بها وقت الفتح ، ما يكفي من التقاليد الطليينية الحية ليتخذها العرب مرشدا في خطواتهم الأولى . وهذه التقاليد هي التي بقيت قاعدة أساسية للفن الاسلامي . وهي التي تفسر لنا كيف وجدت هذه المجانسة التي تعم المصنوعات العربية في ذلك المجال العظيم الذي انفتح لهذا الفن .

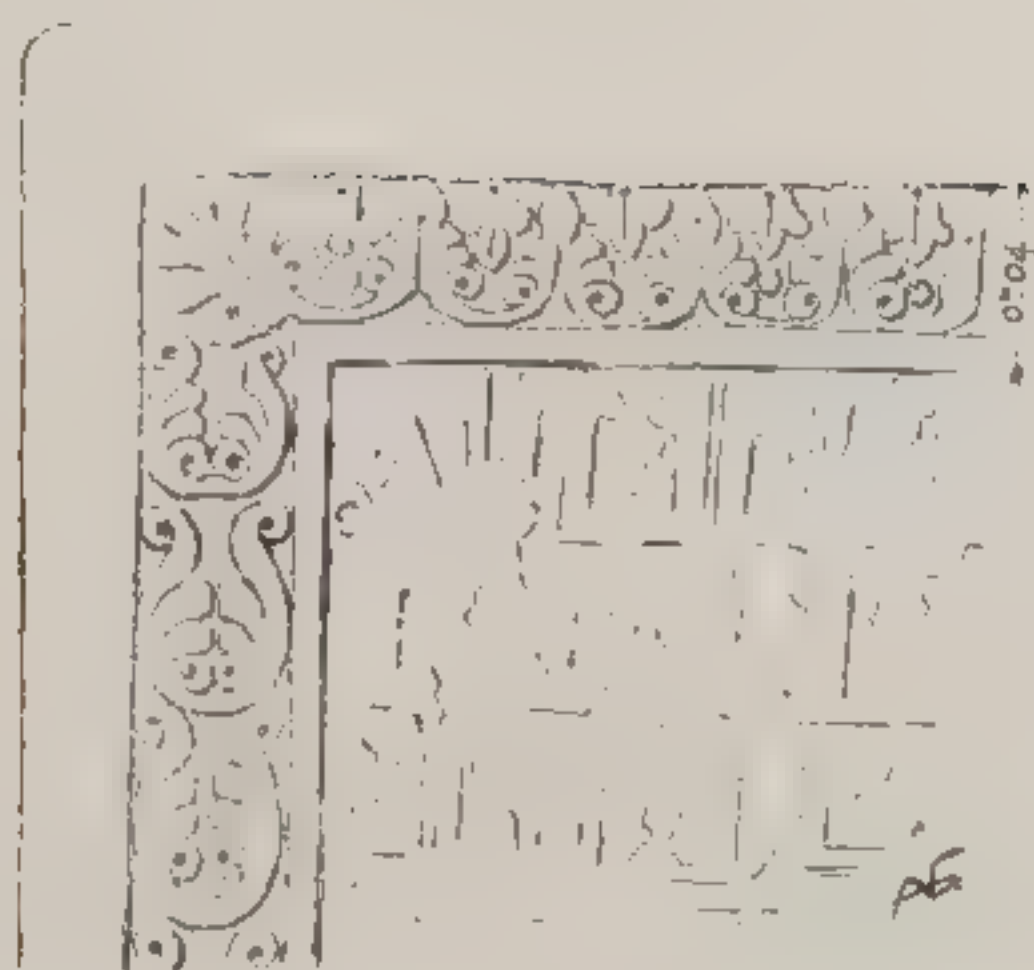
وما ذكرناه من الزخارف ، سواء كان من الجبس المصبوب في القالب أو المؤلف من الجبس والآجر ، لا يمكن اعتباره ، بالنظر لقله عدده بالنسبة لامتداد منطقة الحفر . نموذجاً عاماً للزخارف مدينة الفسفاط . ولكنه ربما ساعد على تعيين تاريخ الأبنية التي أخذ منها على وجه التقريب .

أما الزخارف الجصية ، فلا متاحة في وجود الشبه النام بينها وبين أول طرز للزخارف سامرا . ولذلك نعددها من النصف الأول من القرن الثالث الهجري . ويوجد بدار الآثار العربية بالقاهرة ، شاهد مؤرخ سنة ٢٤٣ هجرية (٨٥٧ ميلادية) شكل ٦٧ . محلى بإطار من هذا الطرز ، ولكنه أحط منه في الرسم . وهناك شواهد أخرى مؤرخة سنة ٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٥٠ هجرية . وأما الزخارف الهندسية ، فإن هناك من بعض القرائن ما يبعث على الشك بأنها متأخرة قليلا .

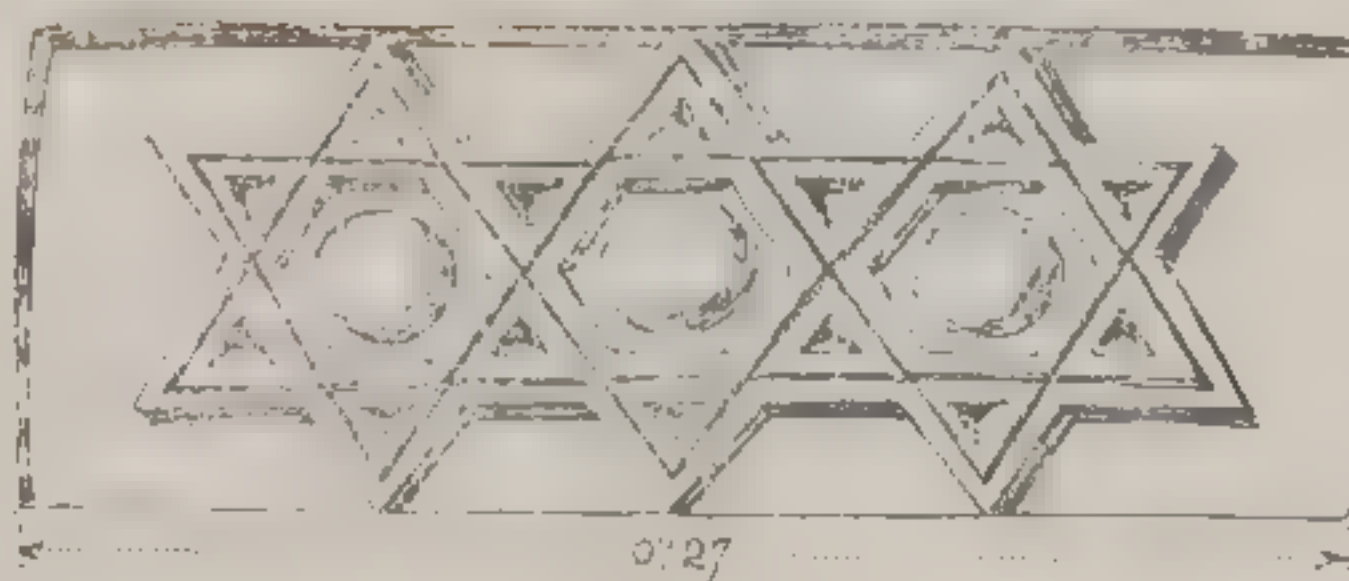
(١) خلاص "سار" من "المقاييس" من قبل سامراء وأهميتها في الفن الإسلامي في القرن التاسع (الكتاب المجلد) "Die Kleinfinde von Samarra und ihre Ergebnisse für die islamische Kunstgeschichte des 9. Jahrhunderts d. H. Der Islam, Strasbourg, 1914, Tafel 3, fig. 5.

(٢) هذا الشاهد محفوظ بدار الآثار العربية تحت رقم ٣٩٠٥

(٣) بدار الآثار العربية تحت رقم ٢٩٥٣ و ١٢٧٣ و ١٢١٤



(شكل ٦٧)



(شكل ٦٨)

وأقدم شاهد عرفناه من طرز هندسى (شكل ٦٨) مؤرخ سنة ٣٠٧ هجرية (٩١٩ ميلادية) .
 وآخر من سنة ٣١٣^(١)

ولكن هذا التقريب ضعيف . وقضلا عن ذلك . فإن الفرق فى الصناعة بين الزخرفة بالحص
 والزخرفة بالآجر والجبس . يكفى وحده للبرهنة على اختلاف قواعد الرسوم .

ولقد مرت بنا من جهة أخرى . أن الأقباط لم ينقطعوا عن استعمال الأشكال الهندسية على
 الطريقة الهلينية . وأنها فى سامرا كانت معاصرة للزخرفة الزهرية . ولما كشفت فتحات
 الجدار الخارجى . من عهد قريب بجامع ابن طولون . وجدت عليها شاييك زخارفها هندسية من
 الجبس المفرغ . وكذلك . الحنايا بهذا الجامع . مزخرفة بنقوش على هيئة الفصوص الملتوية . على نسق
 طرز سامرا الثانى . ومن ذلك يتبين . أن الطريقتين كانتا معمولاً بهما . فى آن واحد . منذ العصر
 الطولونى .

(١) بدار الآثار العربية ، تحت رقم ١٢٧٨ و ١٢٧٩



الباب الثامن

في العهد الذي ترجع اليه الأبنية التي كشفت من القسطة

علينا مما تقدم، أن نراب القسطة كان يند. على عهد ابن دقاق والمقرري، حتى يقرب من جامع عمرو وقصر الشمع . وقد تخلفت معالم كثيرة تكاد تنلس فيها حقيقة الحد الذي كان يفصل وقتئذ بين العامر الماهول، والخراب المهجور . ولو نظرنا الى المنطقة التي أجرين بها الحفر (راجع الشكل رقم ١) ، تظهر لأول وهلة أنها كلها من الخراب . ويدور بخلدنا، وان أعوزتنا النصوص التاريخية الصريحة، أن حدود الخراب لم يطرأ عليها تغيير كبير بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر الميلادي، وأن الخطط التي غادرها سكانها، على أيام المستنصر لم نجد عمارتها. وقد كانت الحركة الصناعية والتجارية، تمتد من القسطة، وتنتشر على شاطئ النيل، في الوقت الذي نشأت فيه خطط جديدة على الشاطئ، بين القاهرة والقسطة. وفي الجنوب منه الى دير الطين . ومن ثم يظهر، أن الروايات التاريخية تكاد تدل على أن الخطط التي رفعت عنها الأتربة، بقيت، منذ القرن الحادي عشر الى اليوم، مطمورة في التراب . وسرى فيما بعد أن هذا الاستنتاج يتفق مع المعلومات التي كشفت عنها عملية الحفر .

فمن ذلك، أن موضع الحفر، سواء كان في الموقع الرئيسي بالقسطة، أو في العسكر والقطائع، انكشف عن مبان متحدة الأسلوب، متشابهة النظام، قوامها الأجر تظلل، لحامات نحنية، ومونة متخذة من الجير والقصرمل . أو من الجير والحمة، وبلاط من الحجر الجيري، وأنايب مصنوعة من الفخار، وشباك من الحجارير المنقورة في الصخر . وإن لم يتيسر لنا في المناطق البعيدة أن نحصل على معالم تكفي لتكوين رسم أفقي لدار من الدور، فإن ما عثرنا عليه من نظام التفاصيل

المتشابه يكفي للدلالة على أن جميع المنطقة التي أزرعنا عنها التراب، كان مشيدا عليها في وقت ما أبنية أقيمت على أصول واحدة، وطراز متشابه .

فإن قيل : وماذا لا تكون هذه المباني مخلفة من تجدد العمارة بعد الشدة العظمى التي حدثت على عهد المستنصر، مما لم ترد عنه اشارة في النصوص التاريخية ؟ فالجواب : ان ذلك يقتضى وجود بنائين مثلا، أقيم أحدهما فوق الآخر مع تباين في الوضع، واختلاف في مواد البناء . ولكن ما اتفق لنا العثور عليه من آثار التعديل، والتحويل، أو التجديد الكلى، إنما هي أمثلة فردية متفرقة . وما كنا نجده من ذلك في الدار الواحدة، كان يتكرر باستمرار ولا يتغير .

وقد شوهد أن لكل دار من الدور شبكة من الاقنية والمخارير، تنتهى كلها الى بئر صرف واحدة، أو عدة آبار . وهذه الاقنية والآبار . نستعمل كلها إلا اليسير في الدور التي كشفناها، وتبع في اتجاهها تخطيط الدار . ولا يمكن التسليم بأن هذه الأعمال الصحية، ترجع الى عهد متأخر عن انشاء الدور . وقد التزم في إعدادها الدقة والعناية التامة، بغاءت متداخلة في أجزاء البناية الأصلية، بحكمة الوضع والارتباط .

ومن مشاهدة مواقع الحفر، التي اندثر ما عليها من الأبنية، ندين أهمية هذه الأعمال التي كانت مطمورة في التراب . ولا يدل ظاهرها على أنها من تجديدات أجريت بسرعة، في عصر انحلال والمخطاط . ولكنها مثل المباني المتخذة لها، ترجع الى الوقت الذي كانت فيه مدينة الفسطاط زاهية زاهرة .

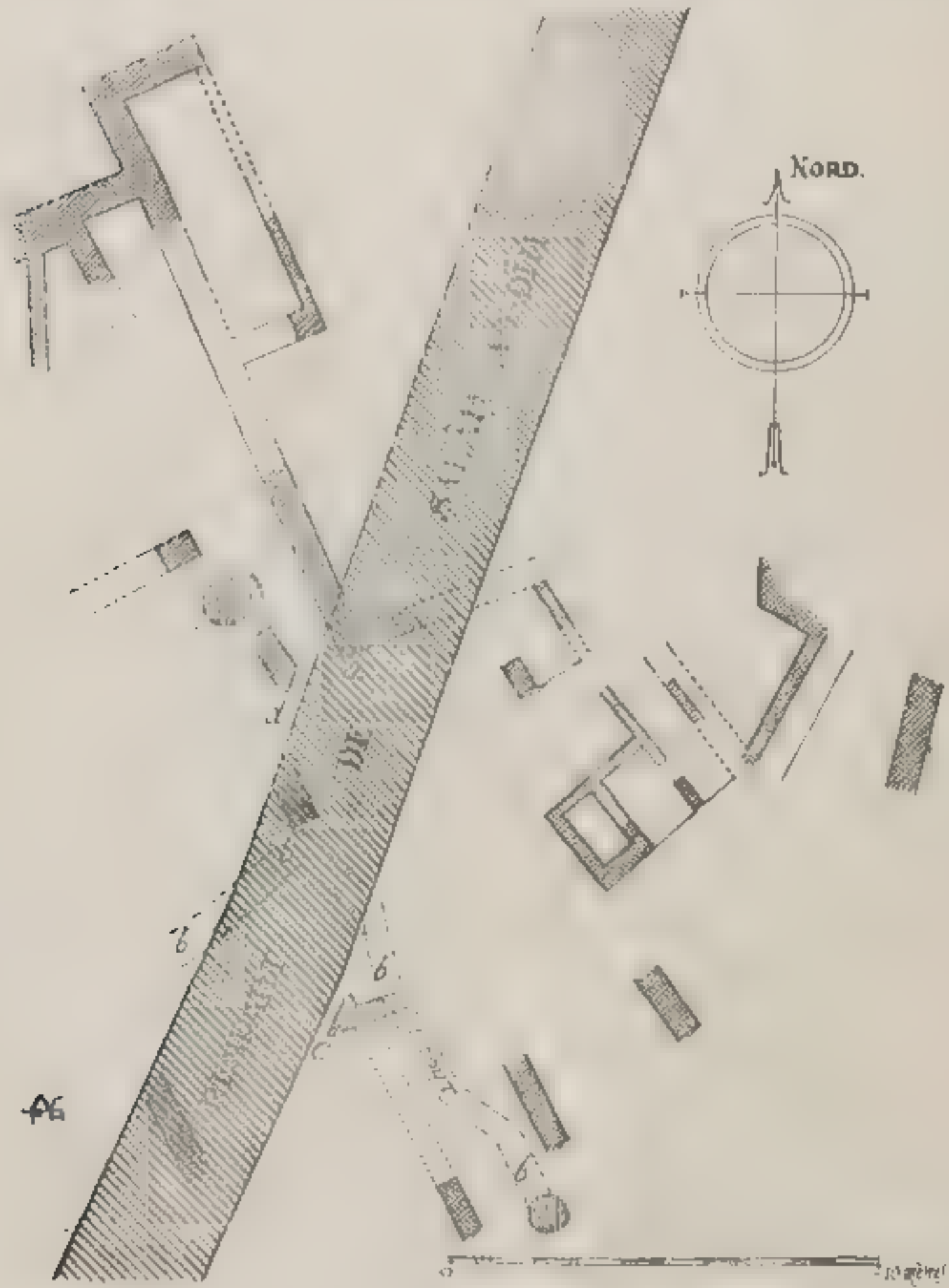
ولكى نعزز ذلك، نأتى ببرهان آخر نستمد من فحص سور صلاح الدين . وقد سبق لنا ان قلنا أن صلاح الدين رأى الضرورة قاضية بأن يبنى سوراً يجمع داخله الفسطاط والقاهرة، وان أعمال الحفر أظهرت أجزاء من هذا السور، مما كان أعد لحماية الفسطاط من الجهة الشرقية . وسنبين فيما بعد الظروف التي وضع فيها هذا المشروع، وكيف نفذ، وندرس تفاصيل بنائه .

١ - من الملاحظ أن بعض منحدرات السور من الجنوب الى الشمال وانضم الى قلعة قديمى من السور .

٢ - مع كازانوف " تاريخ مصر في عهد محمد بن طاهر " ص ١٨٩١ ص ٢٢٥ وما يليها من ص ٢٣٧ ولوحة ١٠٢ ويلاحظ أن سبور كازانوف قد ذكره في وصفه لآثار مصر القديمة هذا السور تعبيرا إيجابيا، وقد حفقت الحفريات في مئونه .

ونقتصر الآن على ابداء بعض ملاحظات تساعد على تعيين تاريخ بناء الدور التي تكلمنا عنها، فنقول :

انه بالبحث عن الطريقة التي بنى بها السور (راجع اللوحة ١٤ - ١ و ٢ وشكل ٦٩).



(شكل ٦٩)

ظهر أنه يمز بين الدور قاطعا لها ، مخلفا على جانبيه . بل وفي حشوه ، أجزاء من دار واحدة . كما أننا نراه يقطع في امتداده المجرور (١) . . . مما يتبين منه أن بناء السور متأخر عن بناء الدور .

ويلاحظ أيضا أن بعض المواقع بها جدران مبنية بالآجر مقطوعة على بعد بضعة سنتيمترات من صفحتي السور (١) . مما يدعو الى الظن بأن الدور كانت هناك ملتصقة بالسور ، والسبب في ذلك يعرف . اذا لوحظ أنه في الوقت الذي وضع فيه أساس السور كانت المنطقة التي هبئت له مهجورة ، فأعدت فيها الحفر اللازمة ورمي الأساس فوق الصحراء حتى امتلأت ، وهدم ما كان هناك من الأبنية المشيدة بالآجر .

وبالاجمال . فإن تخطيط السور يتفق مع هذا الاستنتاج . لأن صلاح الدين أراد أن يجمع بين القلعة والطرف الجنوبي من القسطنطين ، وفي الوقت الذي بدئ فيه العمل ، كانت هذه العاصمة القديمة على ما انتابها من الانحطاط لا تزال مدينة عظيمة . تجاريا وصناعيا ، ولكن حدودها أصبحت دون ما كانت عليه في القرن العاشر ، فكانت كشريط من الأبنية عرضه يختلف ويمتد على شاطئ النيل . ولقد كان في المشروع الذي اختاره صلاح الدين لحماية عاصمة البلاد من الهجوم المفاجئ . أحسن حل وأيسره اقتصاديا ، مع مناعة من الوجهة الحربية ، لأن مد السور مستقيما من القلعة الى الكوم الأحمر كان جامعا مايلزم من كل الوجوه .

ولقد كان من العيب ، أن يشيد السور على حدود الخراب . فيطول كثيرا بلا جدوى . وكان بين السور والمخطط المأهولة بالسكان أرض براح تملؤها الأبنية المنحربة شبيهة باليومريوم ، أي حرم النطاق الحربي عند الرومان .

ومن ذلك يظهر ، أن أساس السور كله أقيم في الخراب ، وأن الاطلال التي لتخلل أرضه كانت تتكون منها تلال مرتفعة . وفي الواقع ، أننا اذا رسمنا امتداد السور على حقيقته ، نجده

(١) قال مير كازانوفا إن هذا العمل بدئ فيه سنة ٥٧٢ هجرية لأن هذه السنة أقرب الى الحقيقة التاريخية من سنة ٥٦٦ التي أوردتها المراجعين (أزل من ٣٧٩) ولقد جرى ملاحظته على أن مثل هذا المشروع « لم يكن من الممكن أن يهكر فيه إلا من كان مستيدا قري السان كما كان في سنة ٥٧٢ سلطان دمشق الجديد حليف زعيم المماليك » (راجع كازانوفا في كتاب السنين ذكره من ٥٣٨) .

في جملة . واقع قد خرج كثيرا عن استقامته . وظهر فيه ازورار واضح دء اليه كما نعتقد وجود كيمان على مقربة . وتركنا كما هي . لأن محاولة ازالته لتهيئة الأرض الى الصحر فيها . كان يكلف عناء كبيرا ومشقة عظيمة . ومن البدهة . أن يختار بناء السور في بين التلال من الفجاج حيث لا يحتاج العمل إلا الى نقل أقل مقدار ممكن من التراب .

وزيادة على ذلك يوجد في صفحتي السور . اختلاف جوهري في بنائهما لأن الصفحة الخارجة . مبنية من مبدأ الأساس . بالحجر الجيد النحت . مداميك منتظمة . محدبة الوسط "بقجة" . ومحاطة باطار "تمويص أو ميه" على مثال السور الشمالى الشرقى لمدينة القاهرة . ولا شك ان هذا الجانب . كان موجودا به خندق يمنع ميله الطبيعي الوصول إلى السور . أما الصفحة الداخلية . فانها مبنية بالدبش الذي يكاد لا يكتفى لمقاومة دفع الأجار المحتسب السور . وانما كانت تستند الى التلال التي قامت الشواهد على أنها مخلفة من عهد صلاح الدين .

والآن وقد انتهينا الى هذا الحد . يلاحظ أننا قد تركنا جانبنا الكلام على بقايا الخزف وغيرها . مما عثر عليه في أثناء الحفر . وذلك . لأننا عقدنا العزم على أن نورد لها بحثا خاصا . واذا كنا قد بينا في مقدمة هذا الكتاب . أن هذه الكيمان تكونت على وضع لا يساعد على استنتاج معلومات قيمة من هذه البقايا . فكذلك لم يأت فحص المجموعات العديدة . من البقايا التي دخلت دار الآثار العربية . بما ينق استنتاجاتنا العامة التي أوردناها . والواقع . أن البقايا التي ترجع الى ما قبل العصر الفاطمى . وبعض المصنوعات الفاطمية . قد يمكن التسليم بأنها من مخلفات الدور التي وجدت فيها . وأن كثيرا من بقايا الخزف الفاطمى وغيره . من المصنوعات المخلفة من الدولة الأيوبية . وعصر المماليك . معلوم أنه منقول الى الكيمان من الجهات المجاورة التي كانت لا تزال معمورة .

ومما تقدم يستنتج . أن زمن المستنصر . هو العهد الذي ينتهى اليه أحدث الدور التي تكلمنا عليها . وما عداها وهو الأغلب . يرجع الى عصر أقدم من ذلك . وعلى الأخص . الى زمن العباسيين والطولونيين . وفي عهدهما بلغت مدينة القسطة الغاية في الزهو والثراء .

(١) حفري . قبل برج القاهرة . ولأجل . نحت في سور ملاح . حفر يوم غيرة عصر تحريرات خاصة في هذه المنطقة حيث تم رفع الكثير من الأتربة .

وإذا حاولنا أن نجعل البحث - ونرجع بعض المباني إلى أزمان معينة - فخير لنا أن لا نفعل - لأننا لم نزل نجهل معالم منازل العرب الأولى في القسطنطينية . ولكن مجال التخيل واسع - في أن الدور التي اتخذها العرب بها على عهد الفتح كانت دورا مؤقتة - فلم تدم طويلا . ثم على عهد بني أمية - أخذ في إنشاء الدور المشيدة . ولا يمكننا الآن أن نعين المادة التي كان يبنى بها ، هل هي اللبن - أو الآجر - وغاية ما وصلنا إليه بالمقارنة - بين أبنية القسطنطينية وأبنية سامرا التي أنشئت في سنة ٢٢٧ هجرية (٨٤٢ م) وجمع ابن طولون - ومن تشابه الزخارف التي كانت تتخذ في واجهات بعض الدور بالقسطنطينية - بالزخارف المنقوشة على بعض شواهد القبور - التي من القرنين الثالث والرابع الهجري . يمكننا أن نقول أن معظم أبنية القسطنطينية هي من عصر الدولتين العباسية والطورونية . وليس في وسعنا الحكم - بأنه لا يوجد بينها ما يرجع إلى أقدم من زمن هاتين الدولتين . أو أن يكون وقع فيه إصلاحات - أو تجديدات - أدخلت على طرزها الأصلي تعديلات جديدة . ولكن التزام ما كانت تمليه التصورات الأصلية . والعمل بنفس الطرق القديمة . لم يطرأ عليه أي تغيير ظاهر - إلا في القليل من التفاصيل . على أن ما اهتمدنا إليه من المعلومات في هذا الباب ليس بالكثير . ولا يمكن أن يكون له الأثر الذي يساعد على ترتيب الأبنية بأنواعها ترتيبا تاريخيا صحيحا .

(١) الباب الذي نضفه ابن دقاق لدور (ج ٢ ص ٨ وما يليها) منى كله على روايات من نسخة - وقد ذكر في هذه الروايات - أن كثيرا من الدور بحلف من عصر النبي عليه الصلاة والسلام . وفي ذلك شيء من المبالغة . وكل ما يمكن قوله أن بعض الدور التي ذكرت في هذه الروايات أنشئت في القرن الأول الهجري - وبين مواد نظوى على المقاومة .

بيان اللوحات الملحقه بهذا الكتاب

اللوحة الأولى — منظر الفسطاط مأخوذ من كوم غراب ، في صدره بقايا الكيان . و وراء ذلك . الموقع الذي تم فيه التنقيب . وفي الجوف ، المقطم والقلمة ومدرسة السلطان حسن على بعد .

اللوحة الثانية — (١) قل السباح المستخرج من موقع الحفر ، على ظهور الجبل . (٢) إحدى مساطق الحفر بكوم غراب ، تحفلها جدران اكتشفت مبنية بالآجر . وعلى اليسار عمال يغربلون التراب ، لتصل السيخ ، وفرد القطع الأثرية .

اللوحة الثالثة — صورة المساطق الحارثي فيها الحفر ، مأخوذة من الطيارة (بمسرفة فرقة الطيران الانجليزية ، في يناير سنة ١٩٢٠) ، ويرى فيها : (١) تخطيط الطرق ، ومنظر البساتين المجاورة لقصر الشمع (بأعلى اللوحة على اليسار) ، وجامع عمرو (على اليمين) ، والمخارج أسفل ذلك . (٢) جامع عمرو (بأعلى اللوحة على اليسار) ، وأبنية تابعة لشركة السباح (على اليمين بأعلى اللوحة) ، وهي في وسط منطقة من أهم المناطق ، تحول دون التنقيب فيها .

اللوحة الرابعة — منظر مأخوذ بالطيارة من إحدى مناطق الحفر ، يبين حالة الأعمال . وهيئة الأرض ، في سنة ١٩١٨ والحفر الكبيرة التي على اليمين محاجر .

اللوحة الخامسة — (١) منظر مأخوذ من فوق الكيان ، المشرقة من الجهة الغربية على عين الصيرة . وهي التي ترى في الشكل التالى « ٣ » ، وفي الجوف المقطم ، والقلمة ، والمجرة « العيون » . وبسج المرتفعات البساتين . (٢) الكيان المشرقة من الجهة الغربية على عين الصيرة ، تشاهد فيها الحفائر التي تحفلها ، وهي تدل على المواقع التي كان ينقب فيها عن الآجر خمره .

اللوحة السادسة — منظر القسم المتوسط من موقع الحفر .

اللوحة السابعة — (١) منظر الفسطاط مأخوذ من فوق الكيان المشرقة من الجهة الغربية على عين الصيرة (اللوحة الخامسة ٢) ، يرى فيه و الجوف وادى النيل ، وأهرامات الجيزة والطرق التي تسير فيها العربات الحاملة للباخ ، والجمر الوارد من المحاجر .

(٢) الدار الأولى مرسومة من جهة الجنوبية الغربية مع الحوش ذا « والعرف » و « و » و « و » و « و »

- اللوحة الثامنة — (١) فتحة مجرور . (٢) الدار الأولى مع الحوش A وفسيته .
- اللوحة التاسعة — الدار الأولى مع الحوش B وفسيته، وبعض القوائم الحجرية الموجودة الآن بمكانها، وأخرى في صدر الرسم .
- اللوحة العاشرة — الدار الثانية، مرسومة من الجهة الجنوبية الشرقية. وبعض التفاصيل من القاعة C .
- اللوحة الحادية عشر — الدار الثالثة، مرسومة من الجهة الجنوبية الغربية .
- اللوحة الثانية عشر — الدار الرابعة، مرسومة من الجهة الجنوبية الشرقية .
- اللوحة الثالثة عشر — منظر الحرم، يتبين فيه أماكن للأعمال الصحية من الأهمية . من البيارات والمجاوير وغيرها .
- اللوحة الرابعة عشر — سور صلاح الدين (١) منظر بين مرور السور وسط المياني السابقة عليه في العهد . (٢) السور وأبراجه .
- اللوحة الخامسة عشر — تفاصيل نية : (١) قطعة من أساس . (٢) قوائم حجرية باطن حدار .
- اللوحة السادسة عشر — تفاصيل نية : ١ و ٢ و ٣ و ٥ قوائم حجرية، وقطع من الحجر مما يستعمل في باطن الحدار، ٤ و ٦ قطع من أساس . (٧) واجهة مكعولة .
- اللوحة السابعة عشر — مراجيع .
- اللوحة الثامنة عشر — محارير، وفسيات .
- اللوحة التاسعة عشر — قناة صرف رأسية (المجموعة الأولى من الدور R من الشكل رقم ٥) . (٢) تفاصيل تين نية من فتحة مجرور، ومكان الأربطة الخشبية .
- اللوحة العشرون — زخارف متخذة من قطع الآجر المجموعة بالمحصر . (١) النوع الأول H . محتوية تجاوزية على قطع من الصنف . (٢) النوع الأول H ، كتابة كوفية تقرأ فيها كلمة "قصورا" . (٣) النوع الثاني K ، مشبكات ونجوم ذوات ثمان شعب .
- اللوحة الحادية والعشرون — (١ و ٢) قطع من كسوة متخذة من الجص المصبوب بالقالب . (٣) قطعة من كسوة متخذة من البلاط (من الدار السادسة) . (٤) مشبكات من النوع الثاني H ، وجدت في الدار الثالثة .

اللوحة الثانية والعشرون - (١) قطع من النوع الأول ، وجدت في الدار السابعة .

(٢) قطع من النوع الثاني ، وجدت في الدار الخامسة .

اللوحة الثالثة والعشرون - (١ و ٢) قطع من النوع الثاني ، (٣) قطع من النوع الثالث .

اللوحة الرابعة والعشرون - نماذج من مصنوعات متخذة من الحجر والرخام .

اللوحة الخامسة والعشرون - قطع من زخارف جصية .

اللوحة السادسة والعشرون - قطع من زخارف جصية .

اللوحة السابعة والعشرون - قطع من الخشب المنقوش .

اللوحة الثامنة والعشرون - قطع من العظم والسن .

اللوحة التاسعة والعشرون - مصنوعات من النحاس .

اللوحة الثلاثون - حلي من ذهب .

اللوحة الحادية والثلاثون - مسوجات .

اللوحة الثانية والثلاثون - قطع من زجاج مطلي بالمينا .

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٨/٥٣٠-٢٠٠)

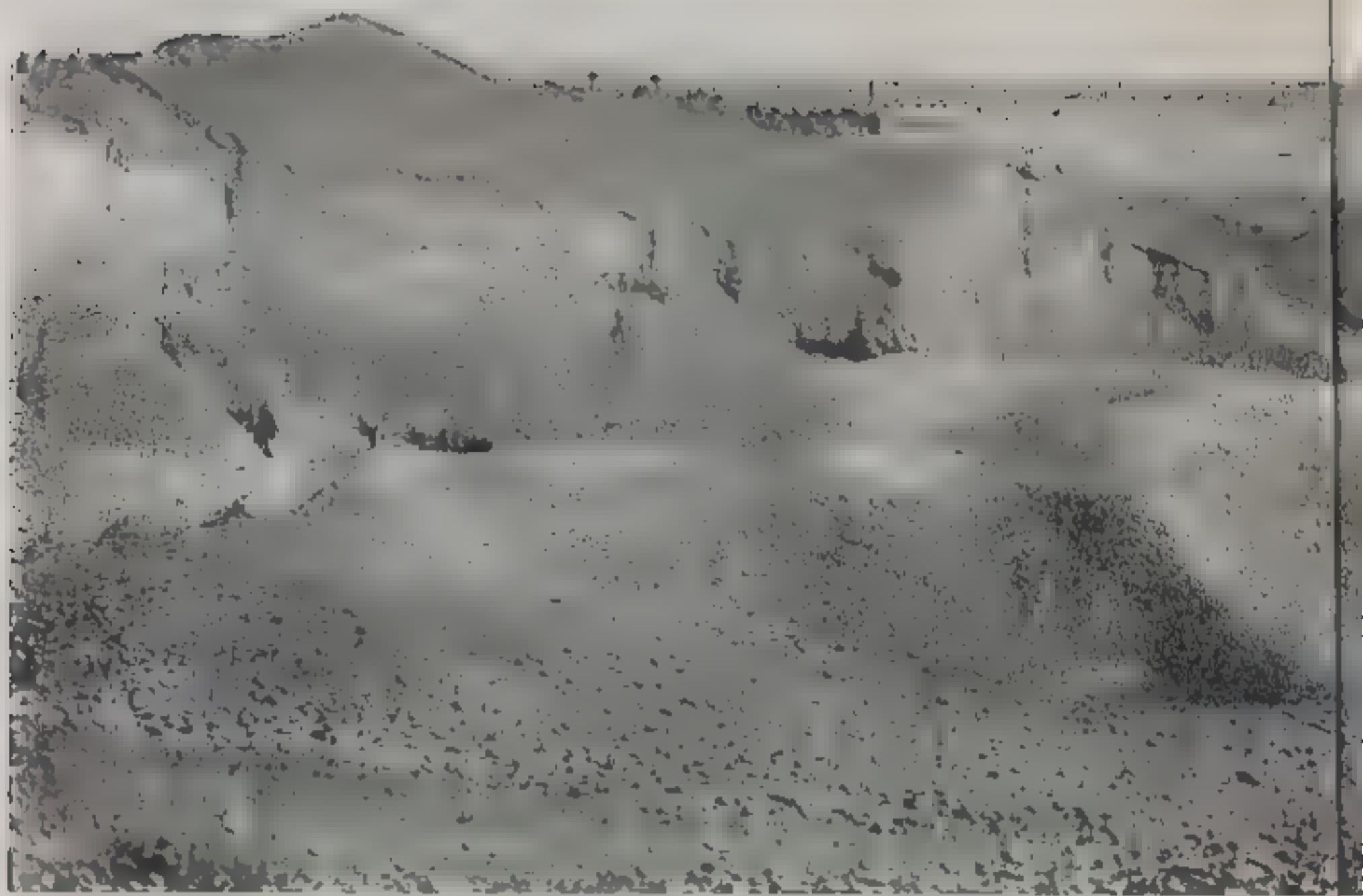


(الوحدة رقم ١)



منظر عام للفسطاط مأخوذ من كوم غراب

(Pl. 1)



Vue générale du Foustât prise de Kôm Gbu

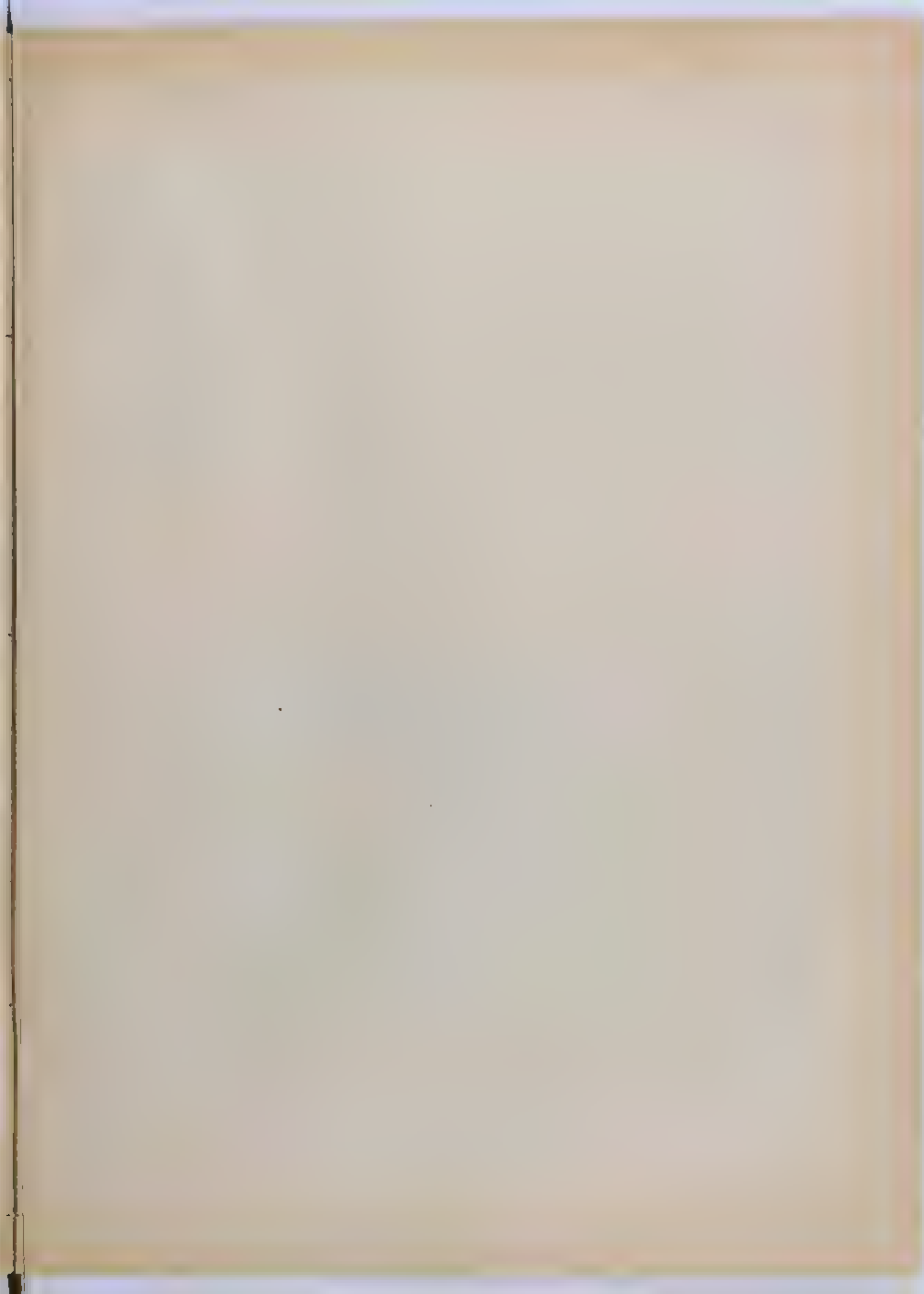




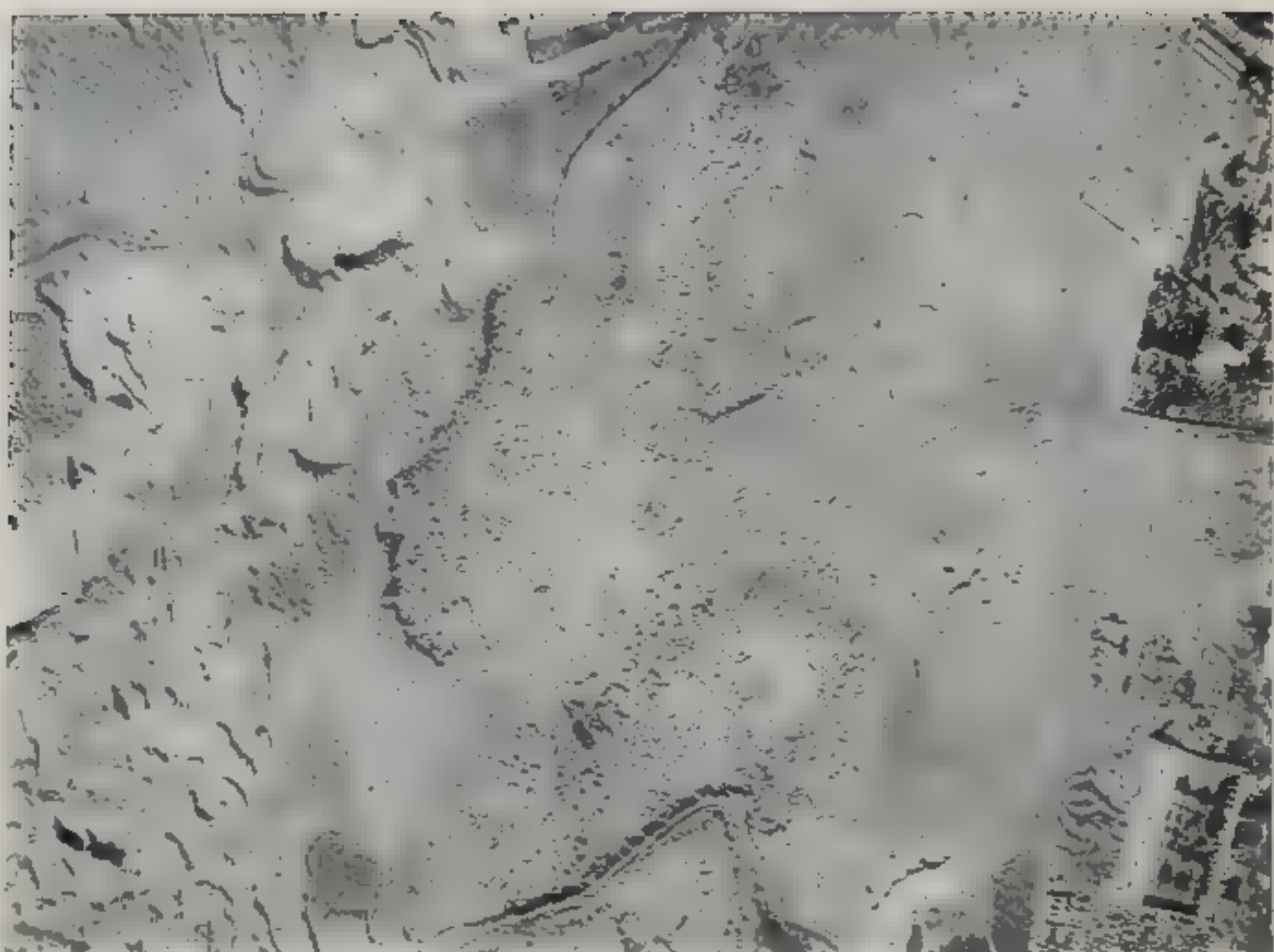
جمال تنقل السبخ - Transport du sabakh à dos des chameaux.



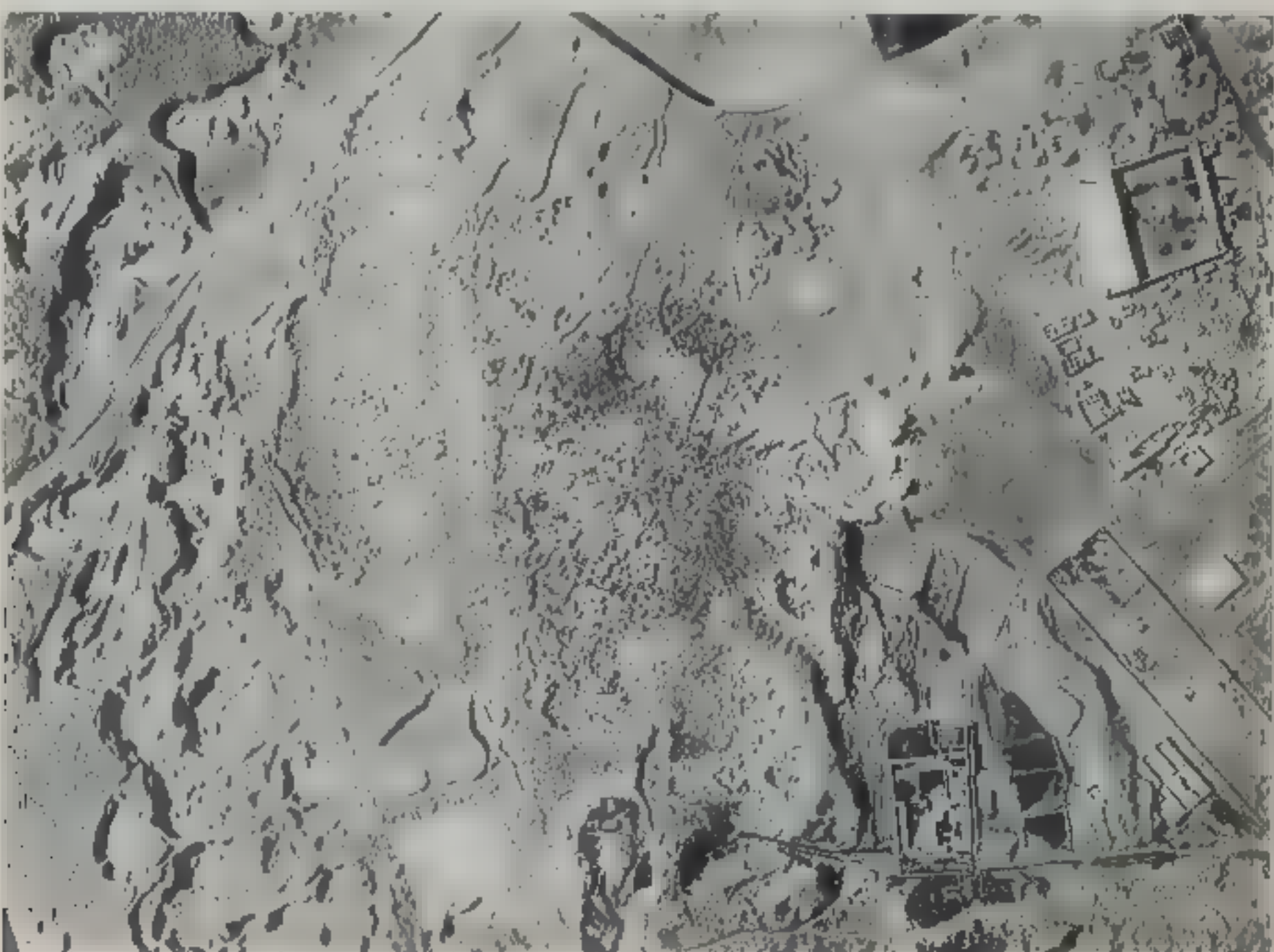
بعض مناطق حفر كوم غراب - Foudles à Kôm Ghourâb.



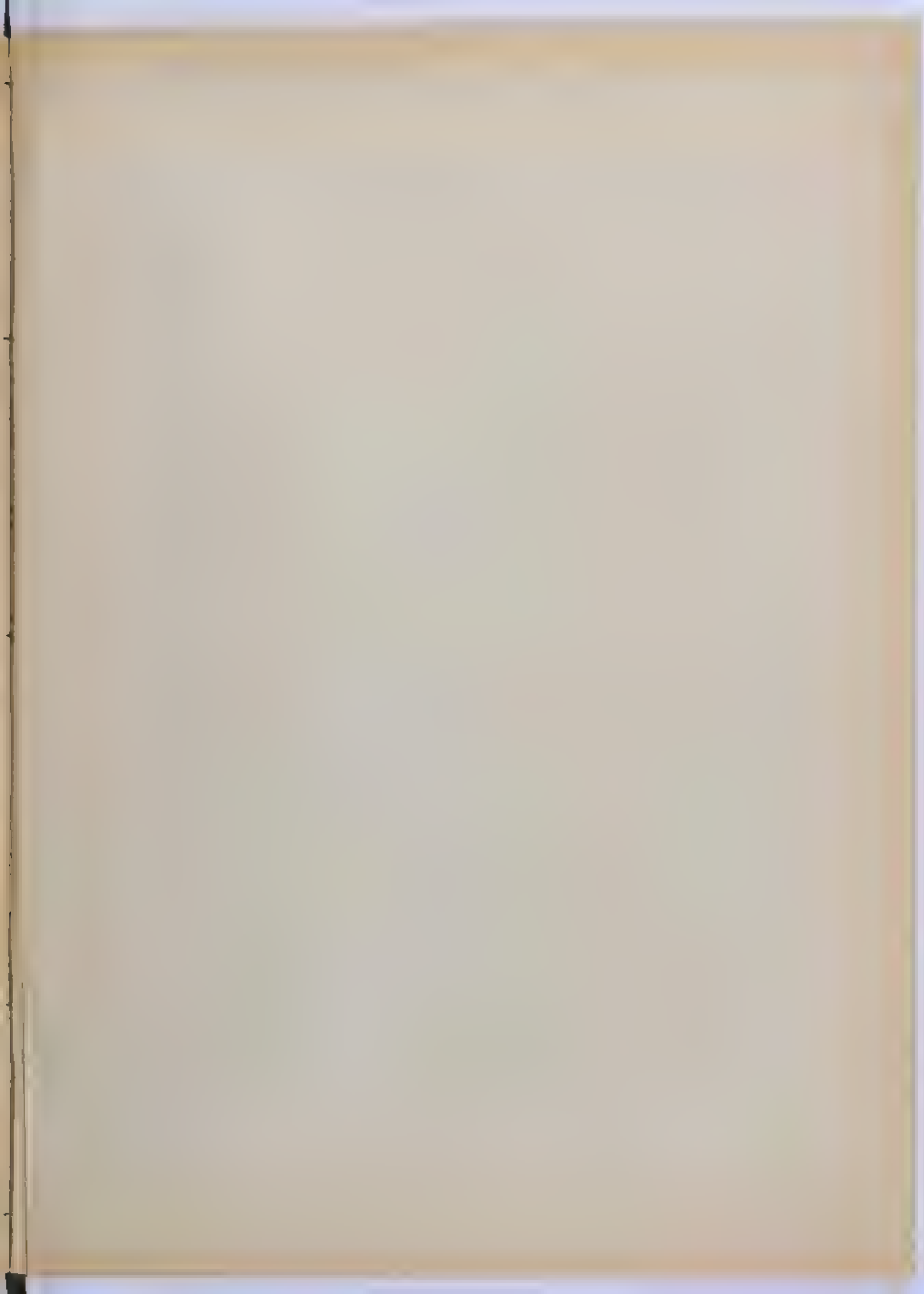
(Pl. III.)

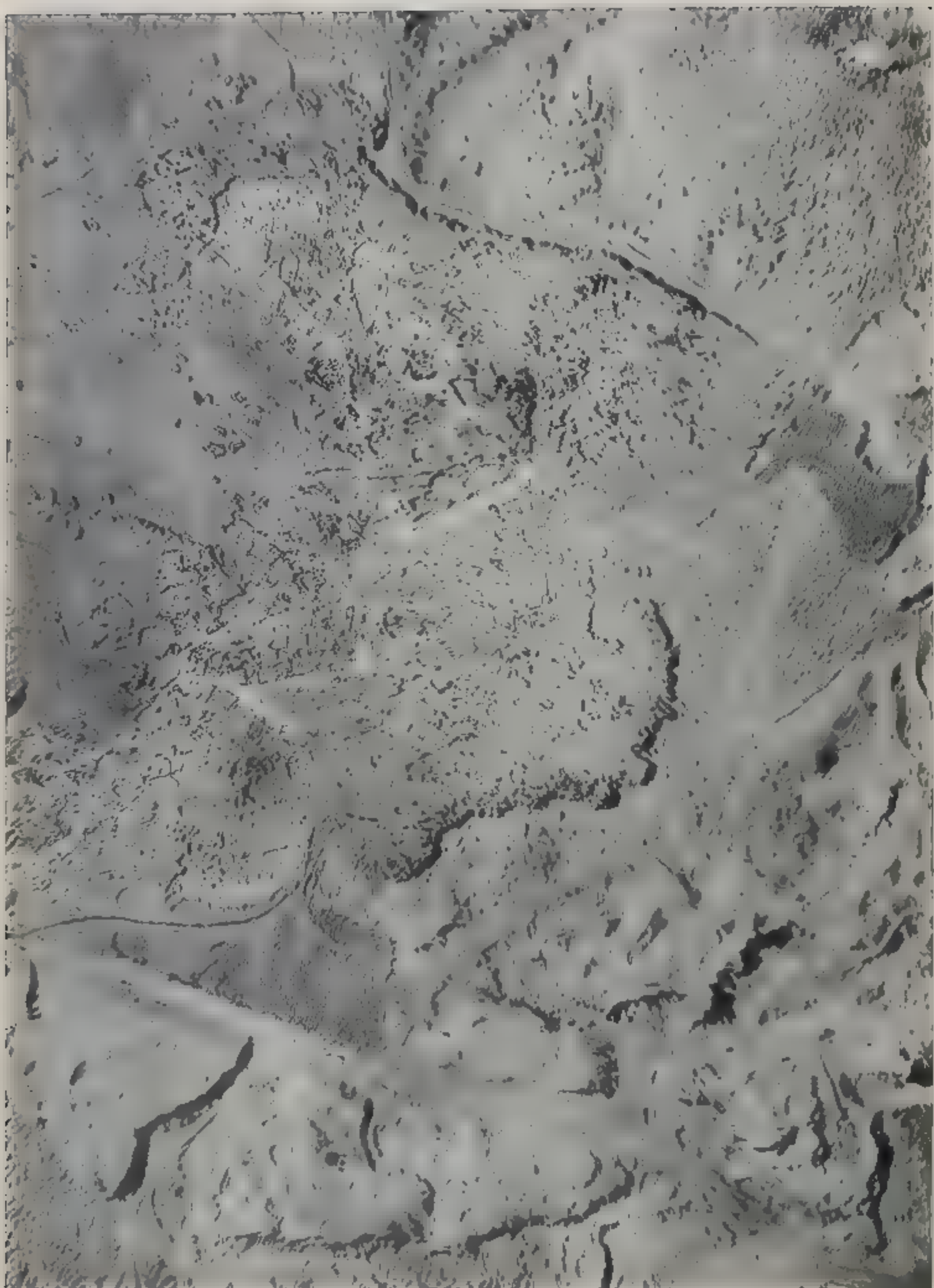


(نوع ٢ رقم ٣)



مناطق الحفر وصقورة الطيارة سنة ١٩٢٠ - ١٩٢١
Vues des fouilles prises en aéroplane en 1920





قصر من مناطق الحفر حفرة الحفرة سنة ١٩١٨
Vue d'une partie des «mills» prises en aéroplane en 1918.





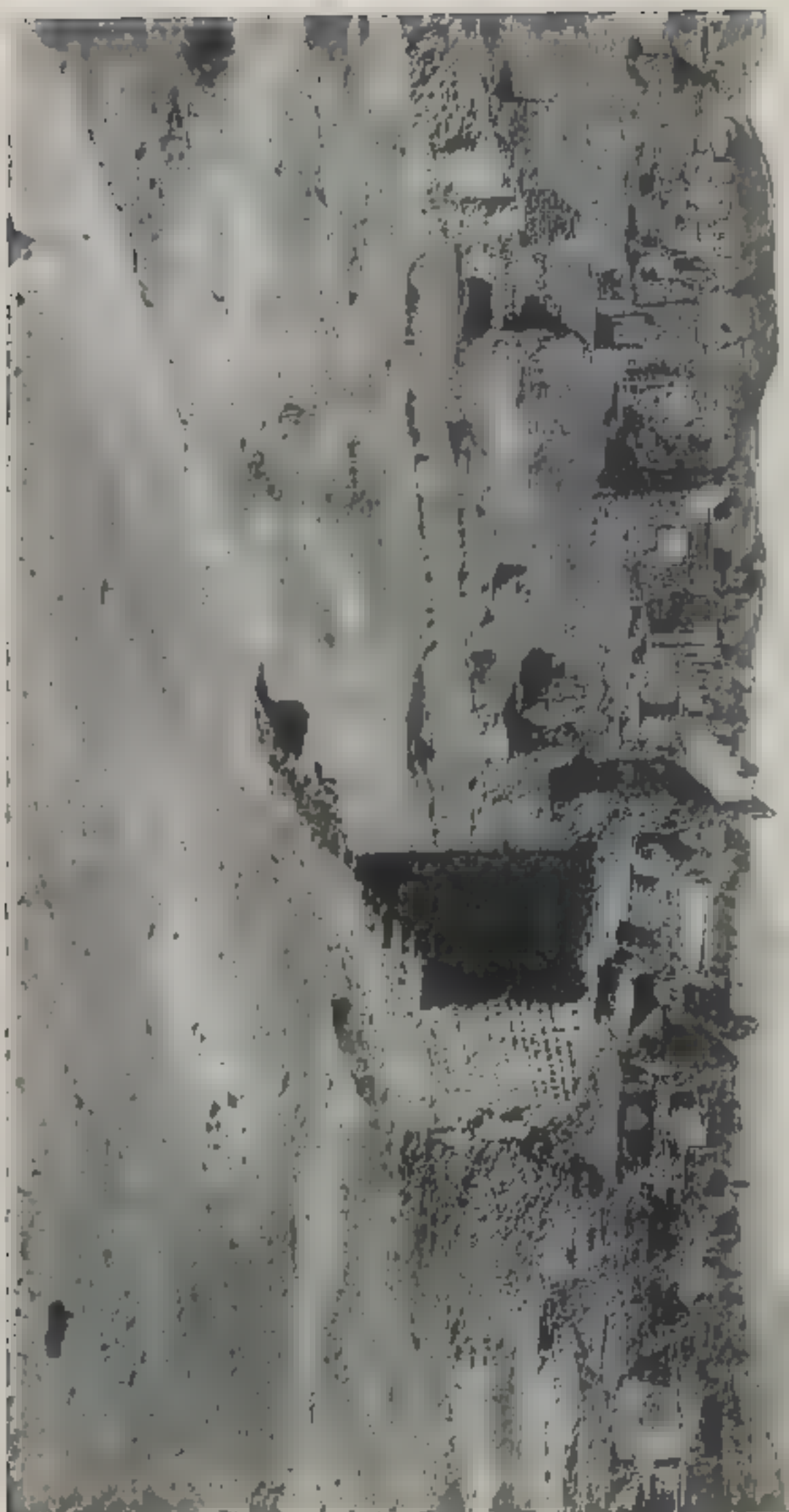
View of the Red Sea and the small structure on the horizon

البحر الأحمر من السفينة



البحر الأحمر من السفينة





صورة من الجدار الجنوبي للمسجد القديم





منظر عام عن موقع القسطنطينية — View d'ensemble du site du Foussat



منظر مقرب من مبنى I — Vue de la maison I

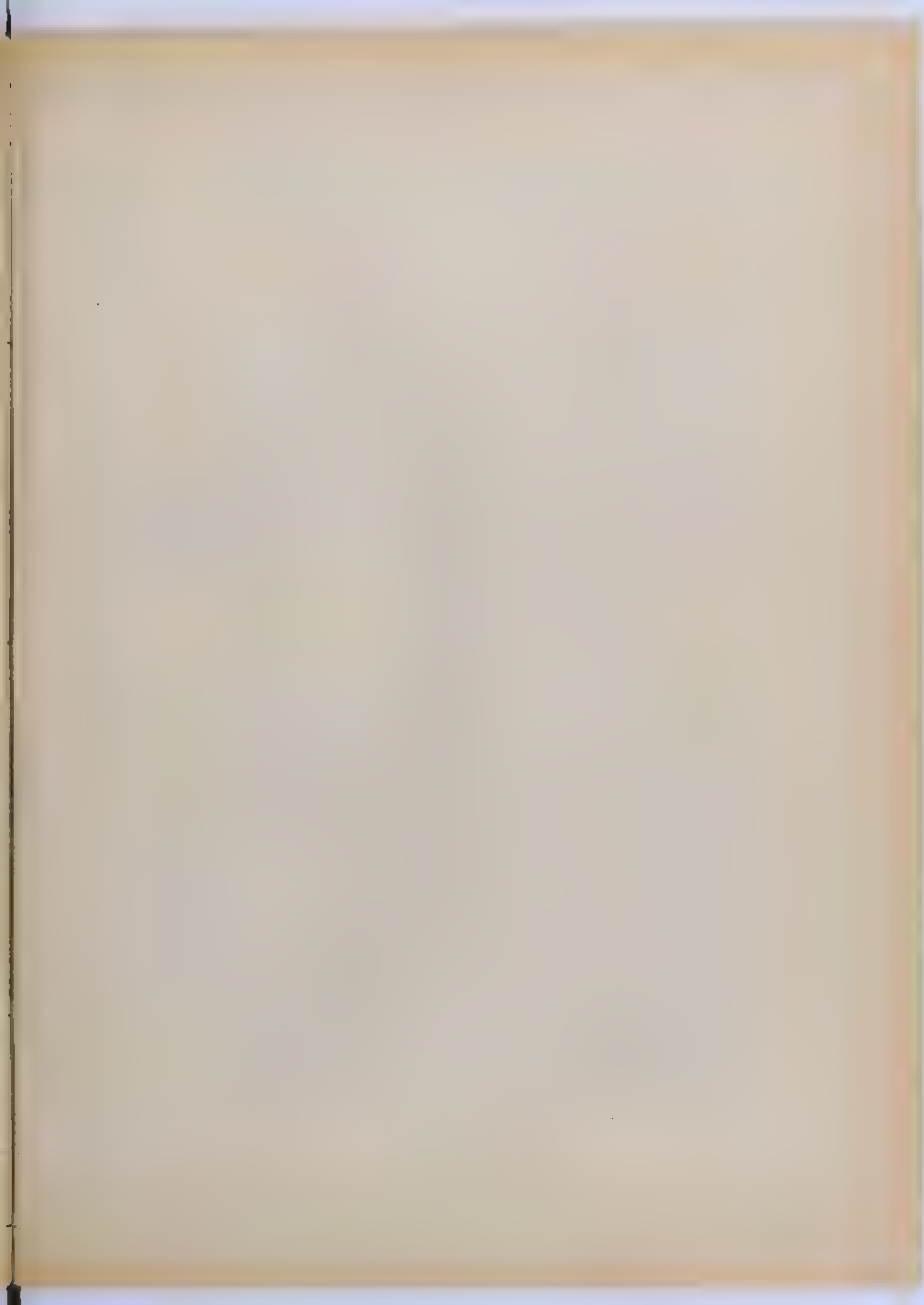




Ouverture d'un égout. فتحة مغرور



Cour de la maison I. حوش الدار الأولى



(Pl. IX)

(1-1-1)



حوش زن من "آلای لایف" | Atrio court de la maison |





الدار الثانية — Vue de la maison II.



تفاصيل قاعة من الدار الثانية — Détails d'une salle de la maison II.





Figure 11. 11. 11. 11.



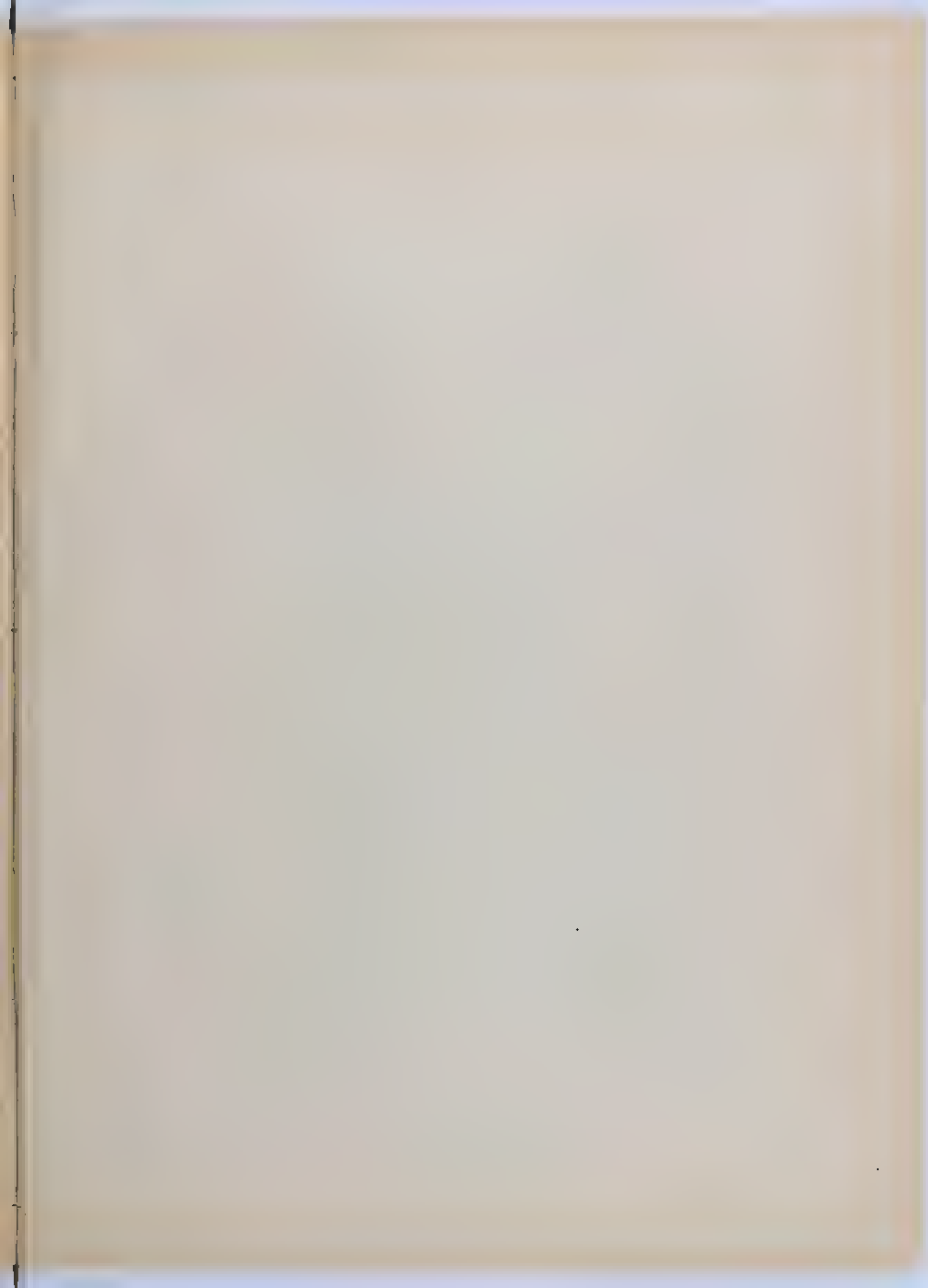


الدار البيضاء - Maison VI.





الوجه الثاني من القسم ١٢





مدرسة سليمان — Mur de Saladin.





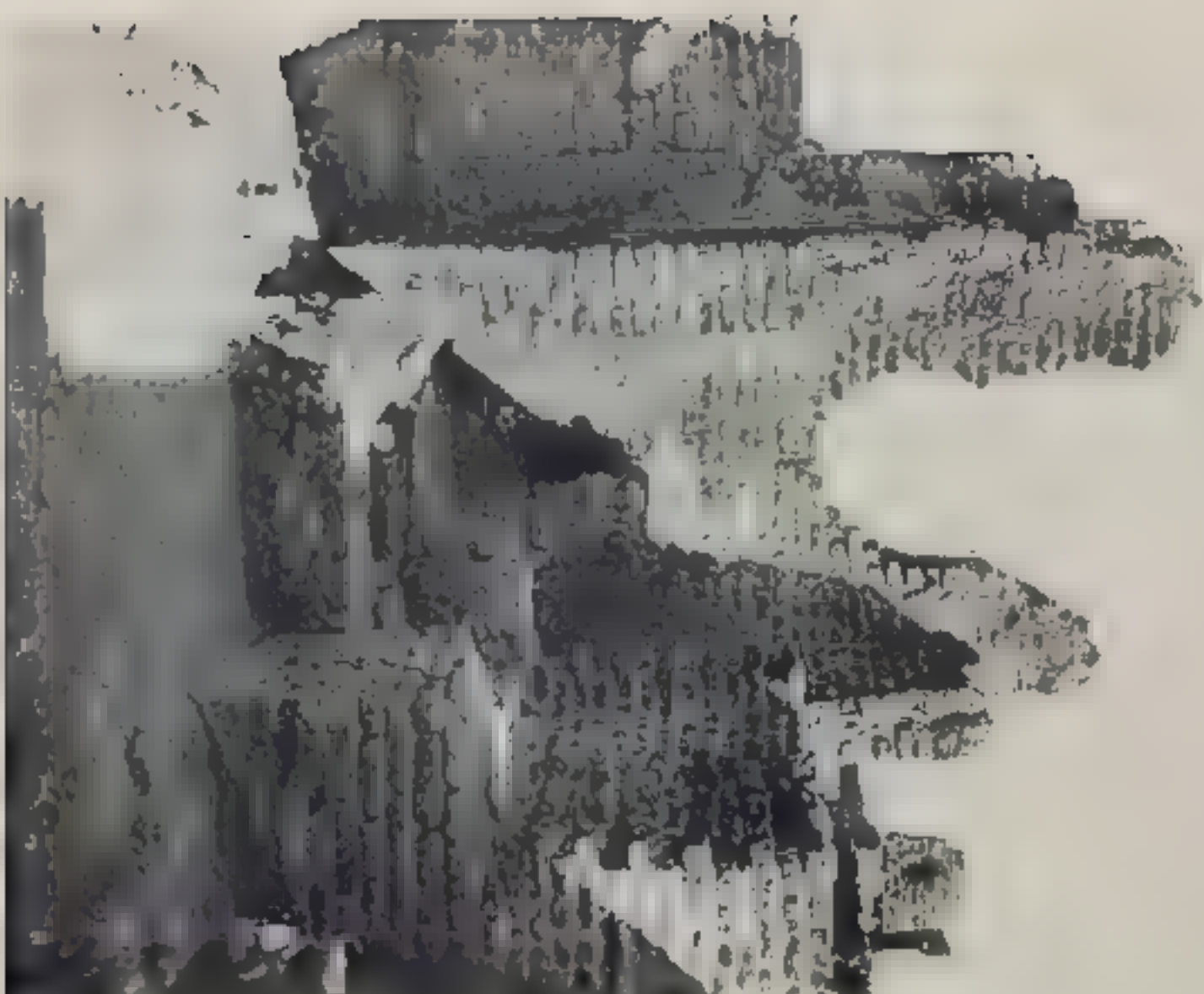
Détails de construction. — تفاصيل من الأبنية



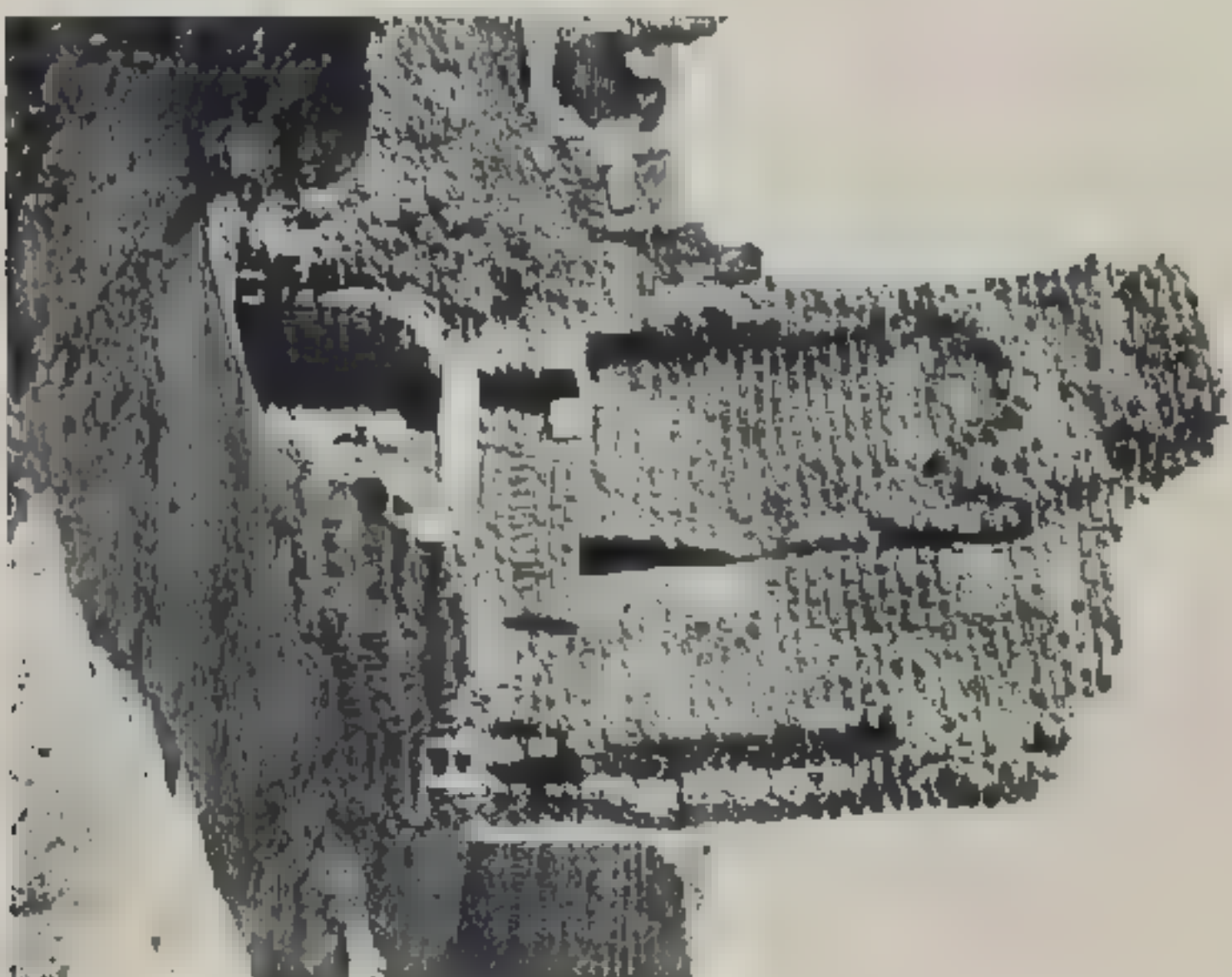




(Pl. XVII)



(Pl. XVIII)



لا تفرس - لا تفرس

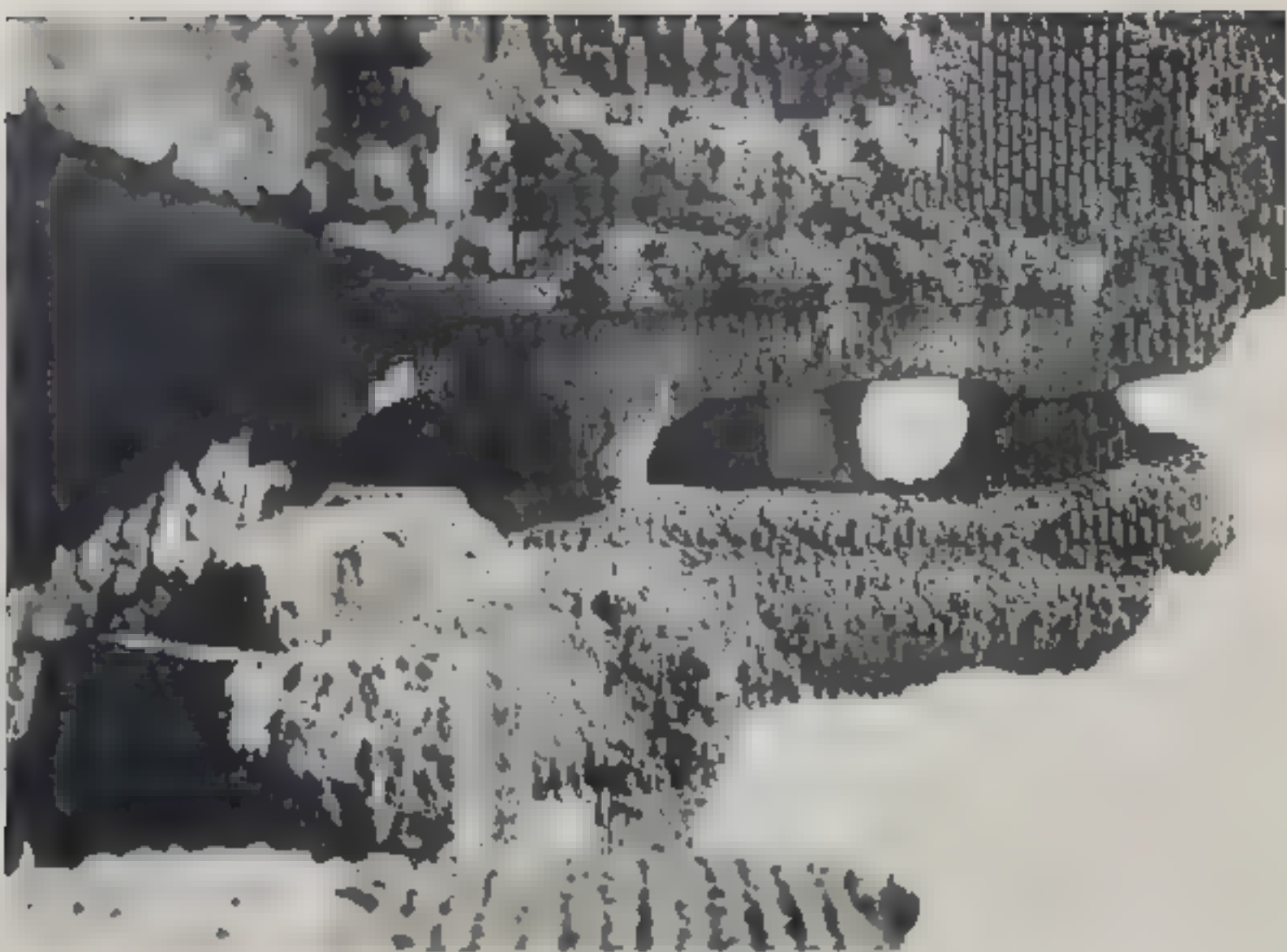




Figure 18. (Pl. XVIII)







Conduite d'évacuation.

قناة خروج المياه



Détails de maçonnerie

تفاصيل البناء



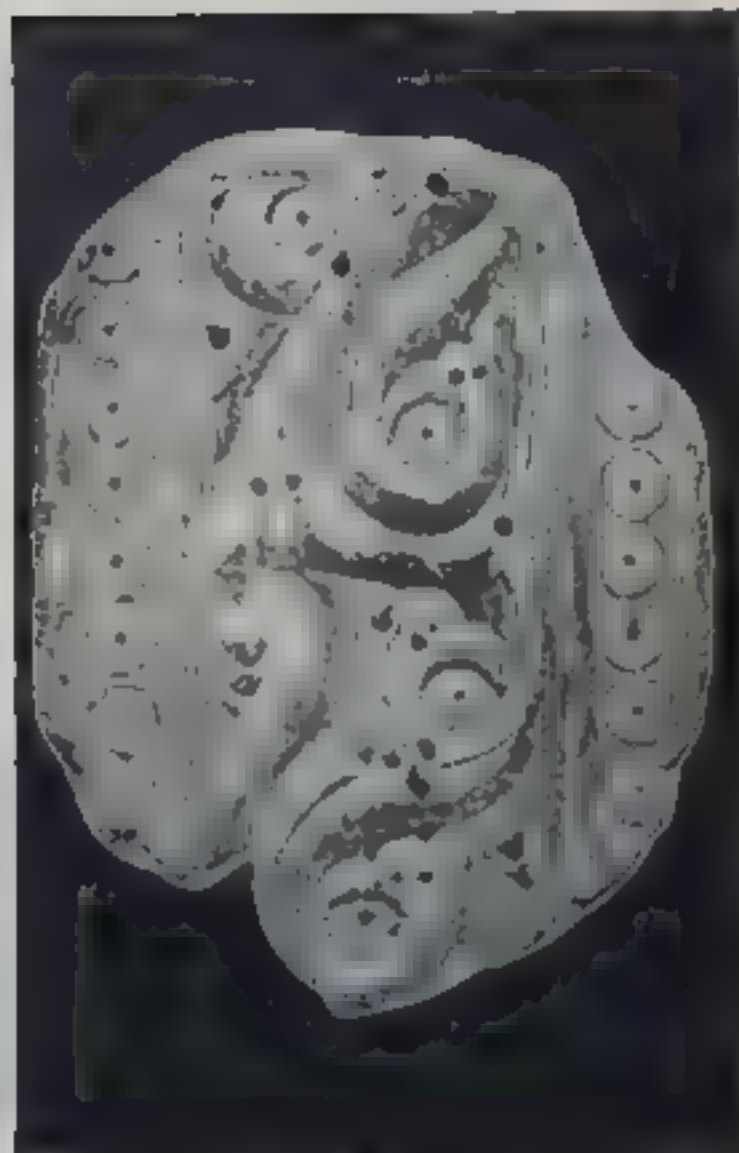


زخارف متنوعة -- Fragments décoratifs.



(Pl. XXI)

(لوحة رقم ٢١)



زخرفة بالجص Revêtements en plâtre



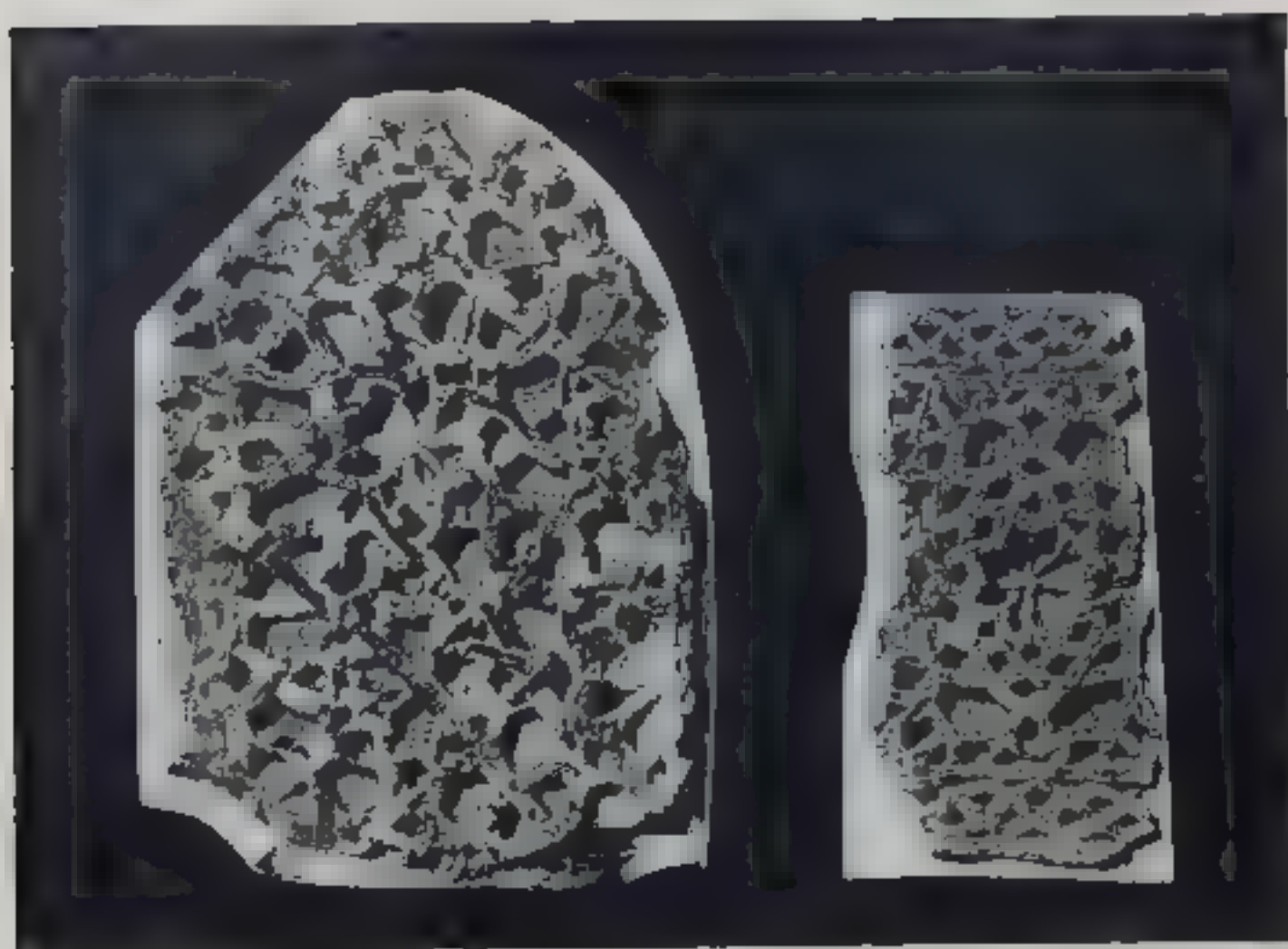


فخاريات زخرفية — Fragments Décoratifs.



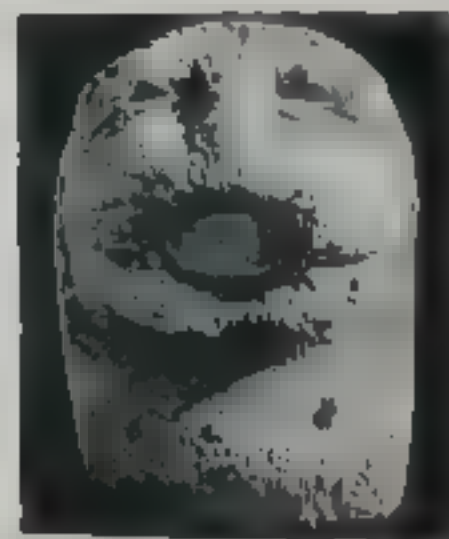
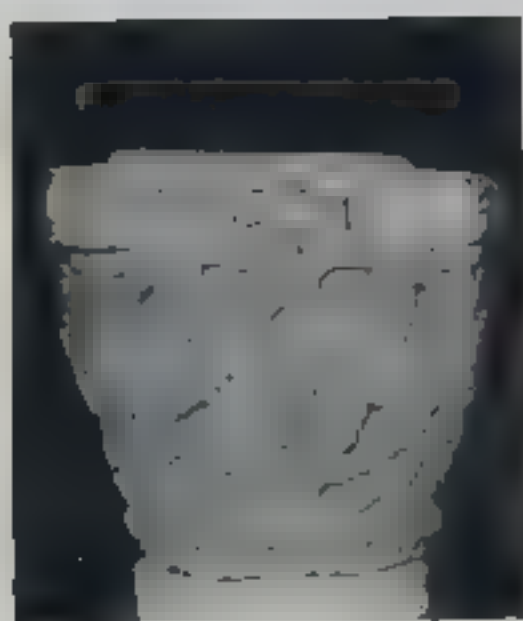
(Pl. XXIII.)

(الوحدة رقم ٢٣)

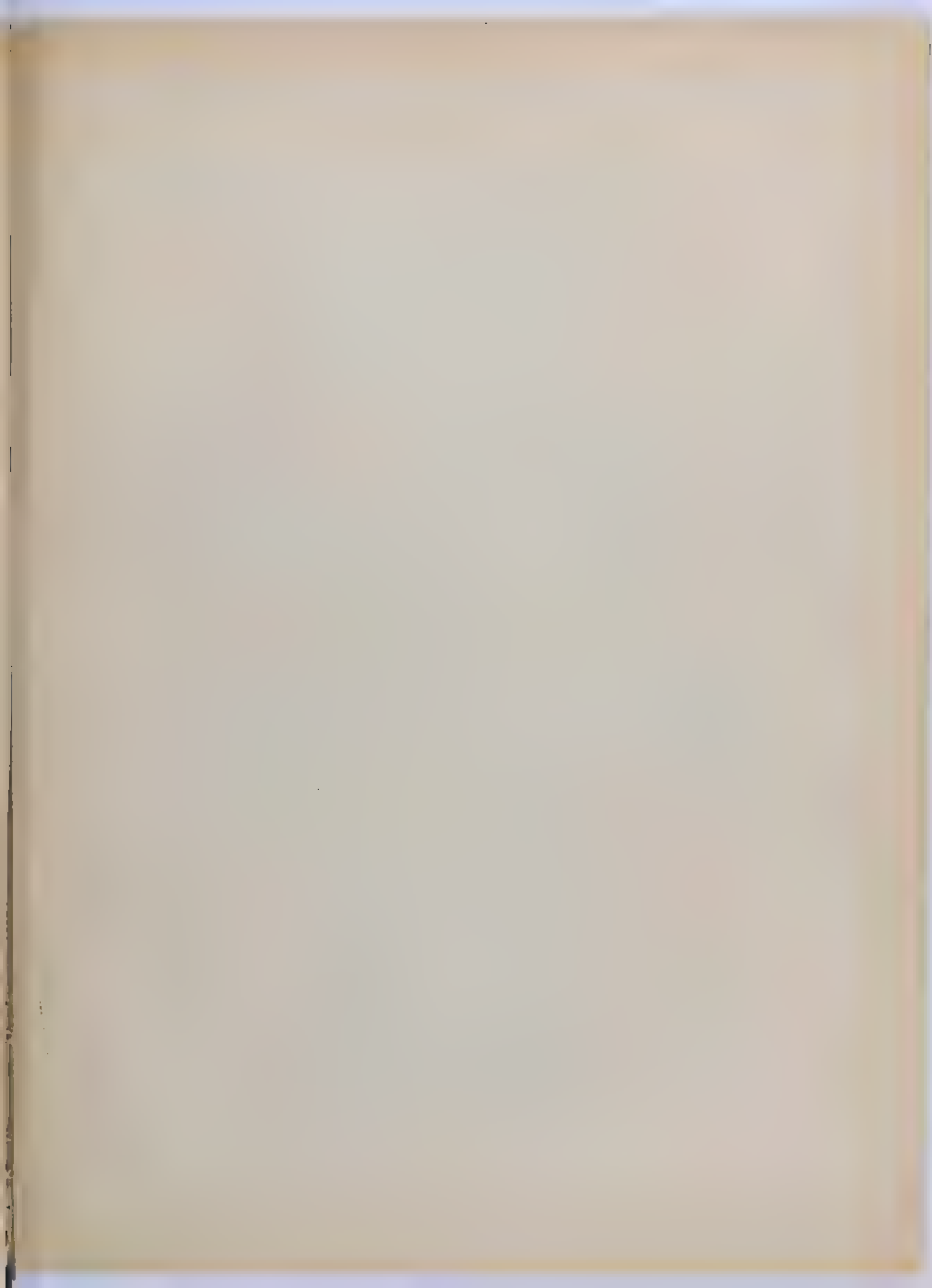


فُسَاذِج زُخَارِف — Fragments Décoratifs.





Objets en pierre et marbre. — نماذج مصنوعات بالحجر والرخام





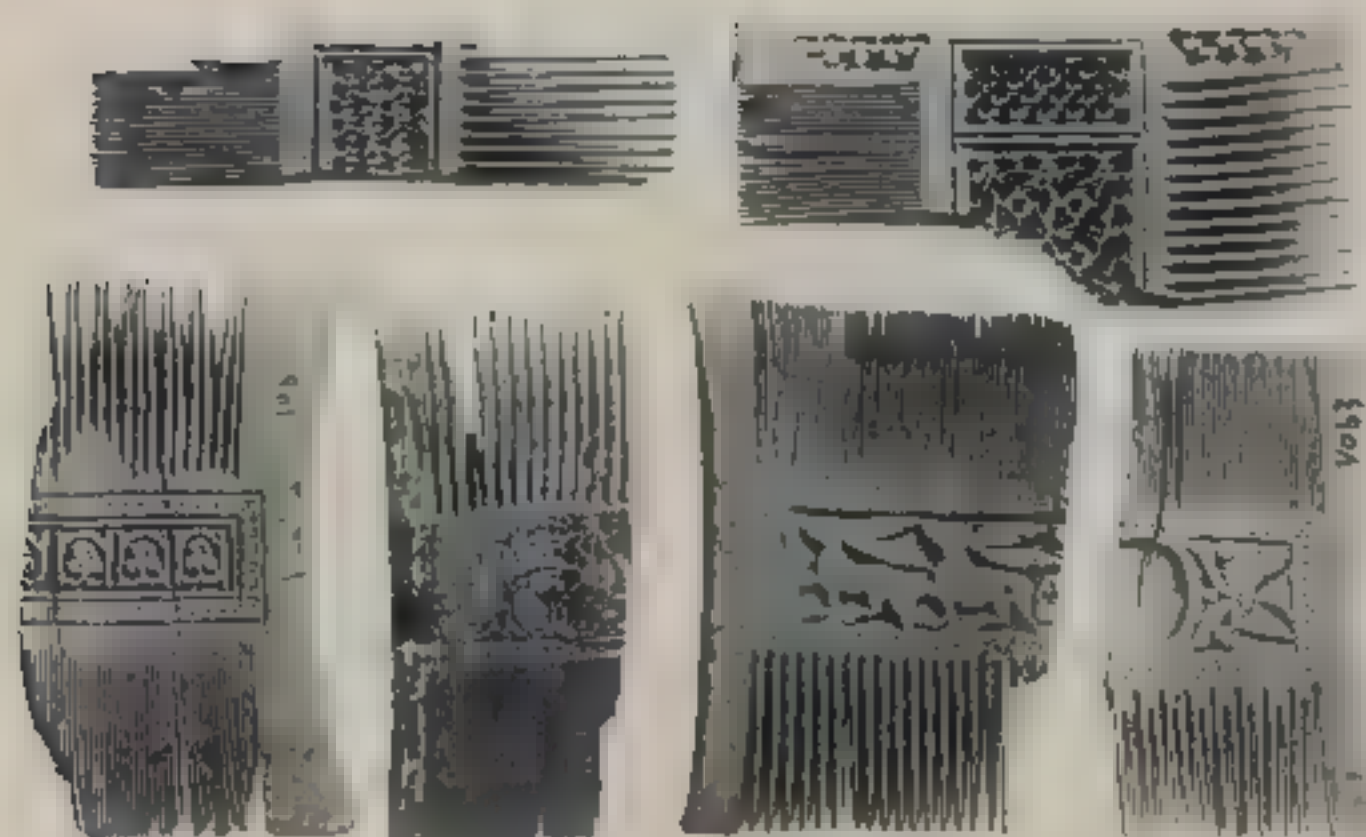
Fragmente de stucs فخاريات من حقل



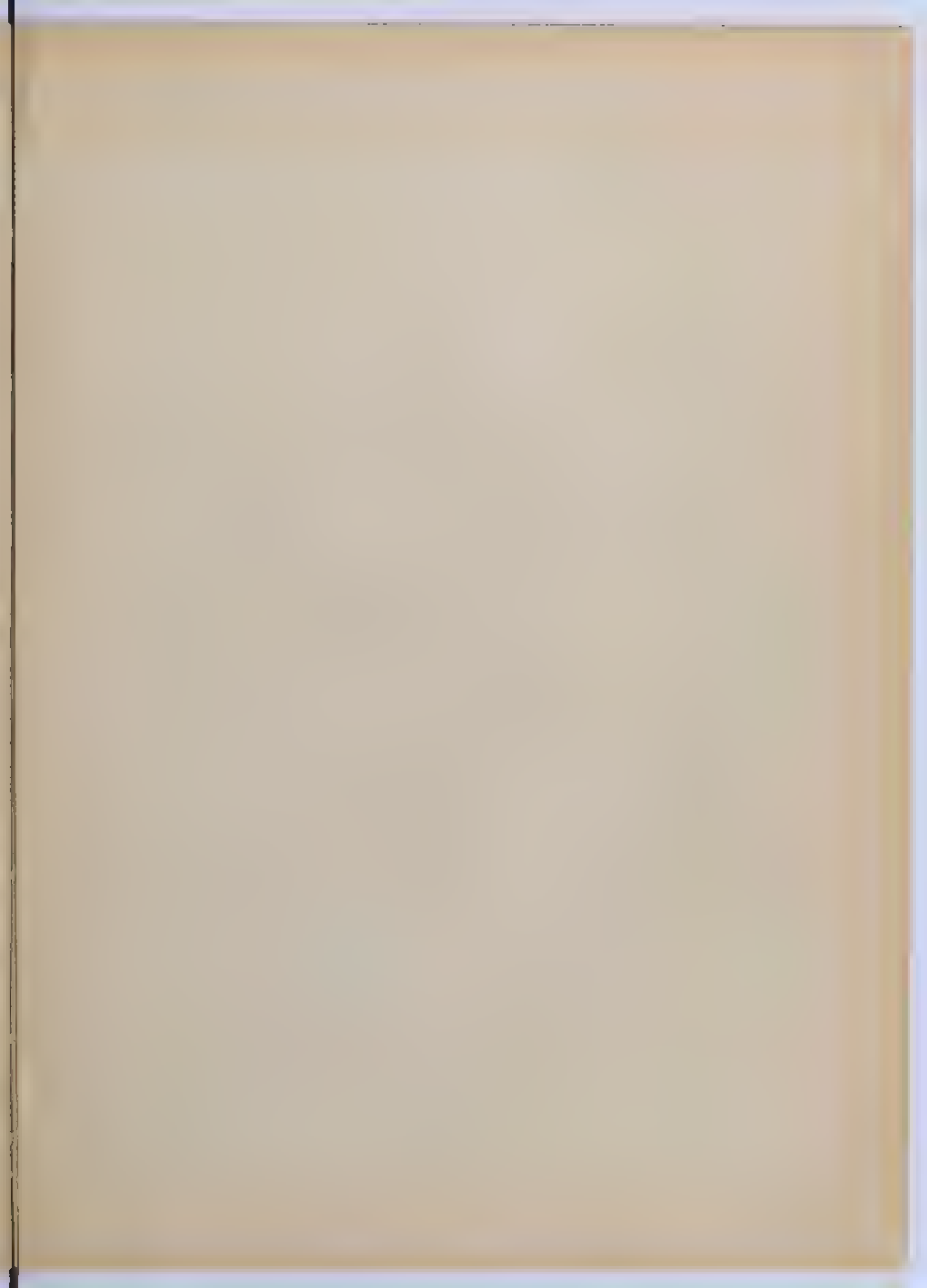


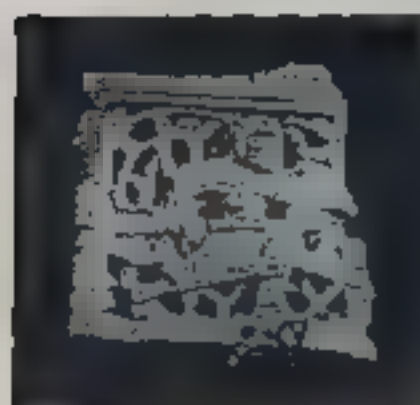
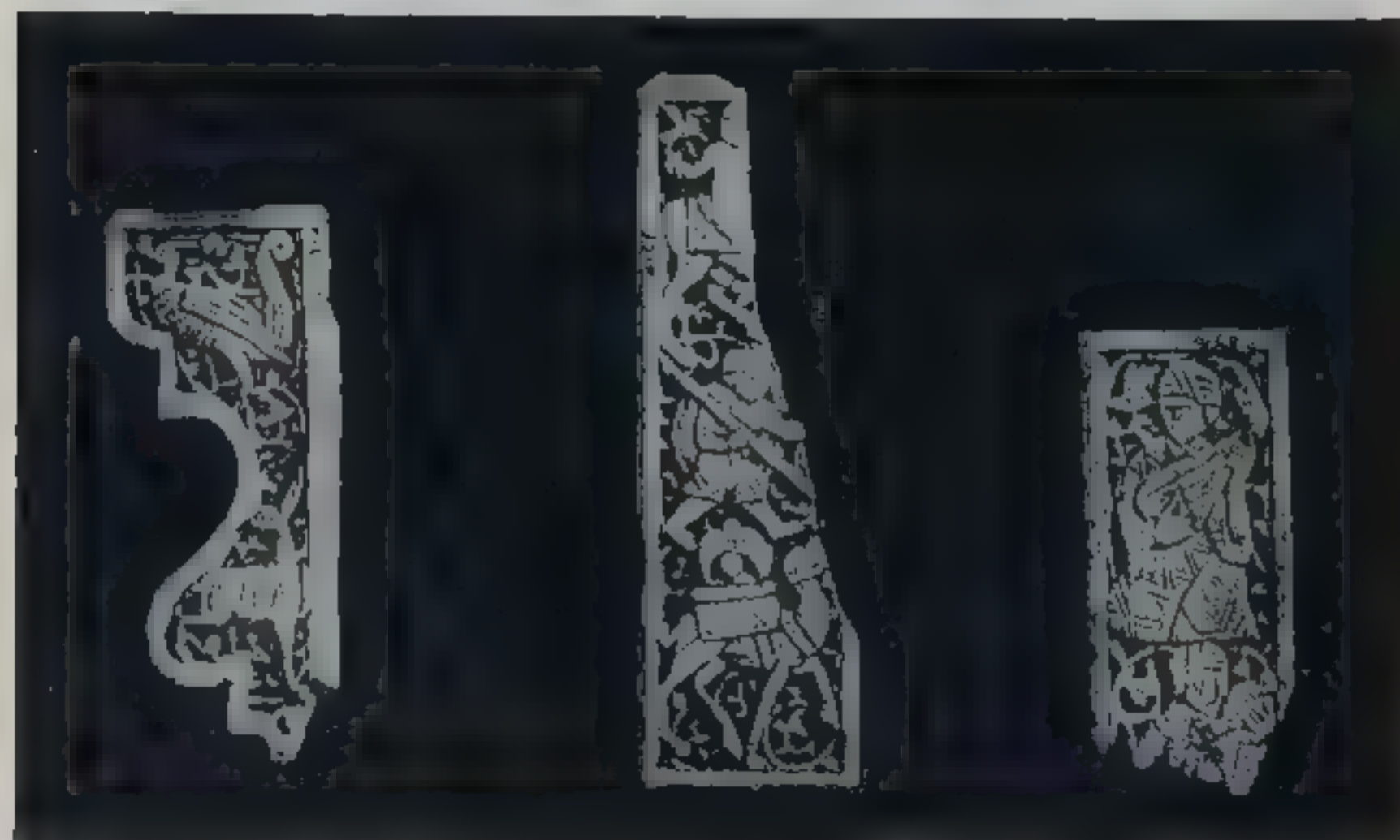
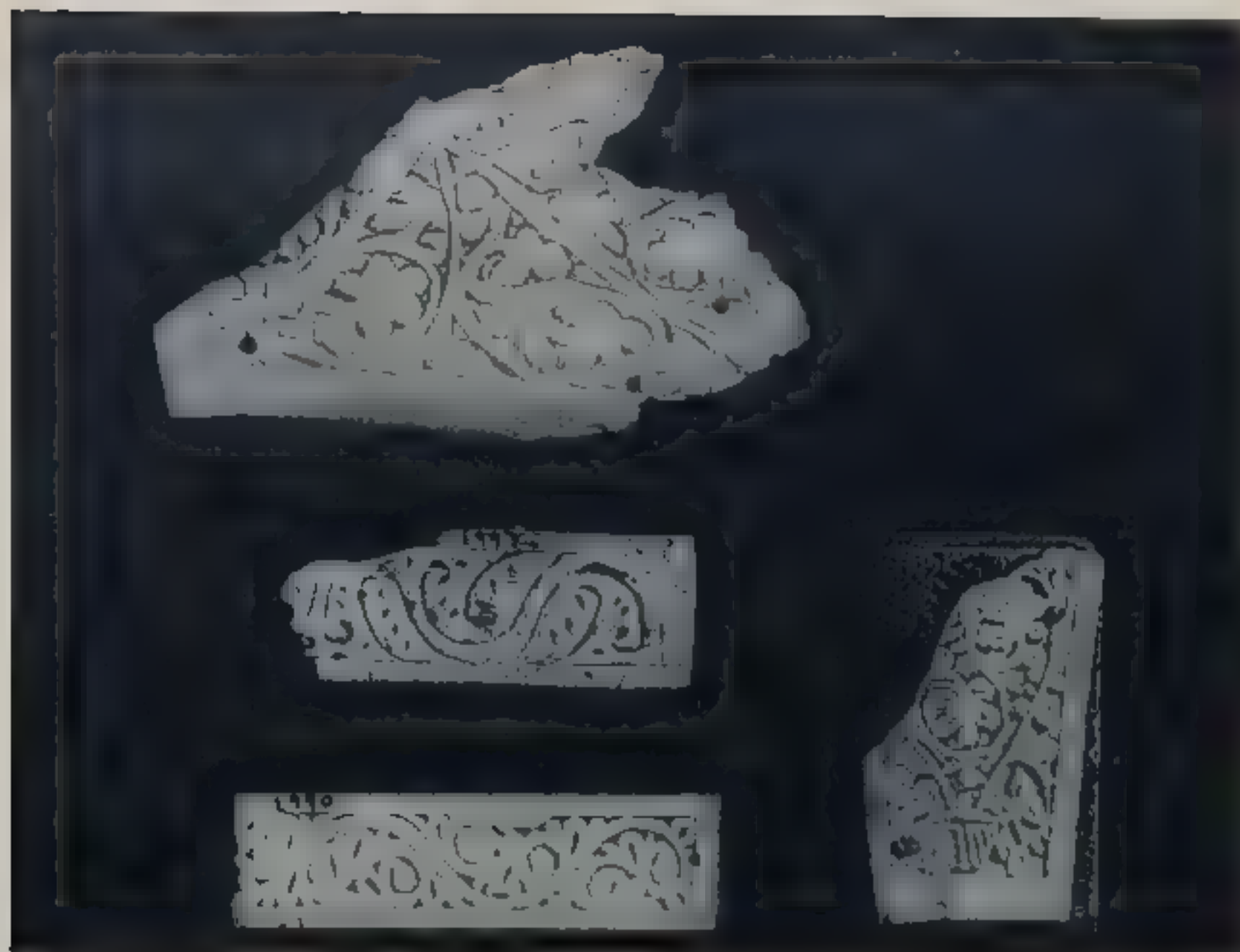
Fragments de bois sculptés. — مصنوعات منخرفة من الخشب





مصنوعات من الخشب المنقوش. — Fragments de bois sculptés.





قطع من حنيفة من العظم والعاج. — Fragments d'os et d'ivoire.







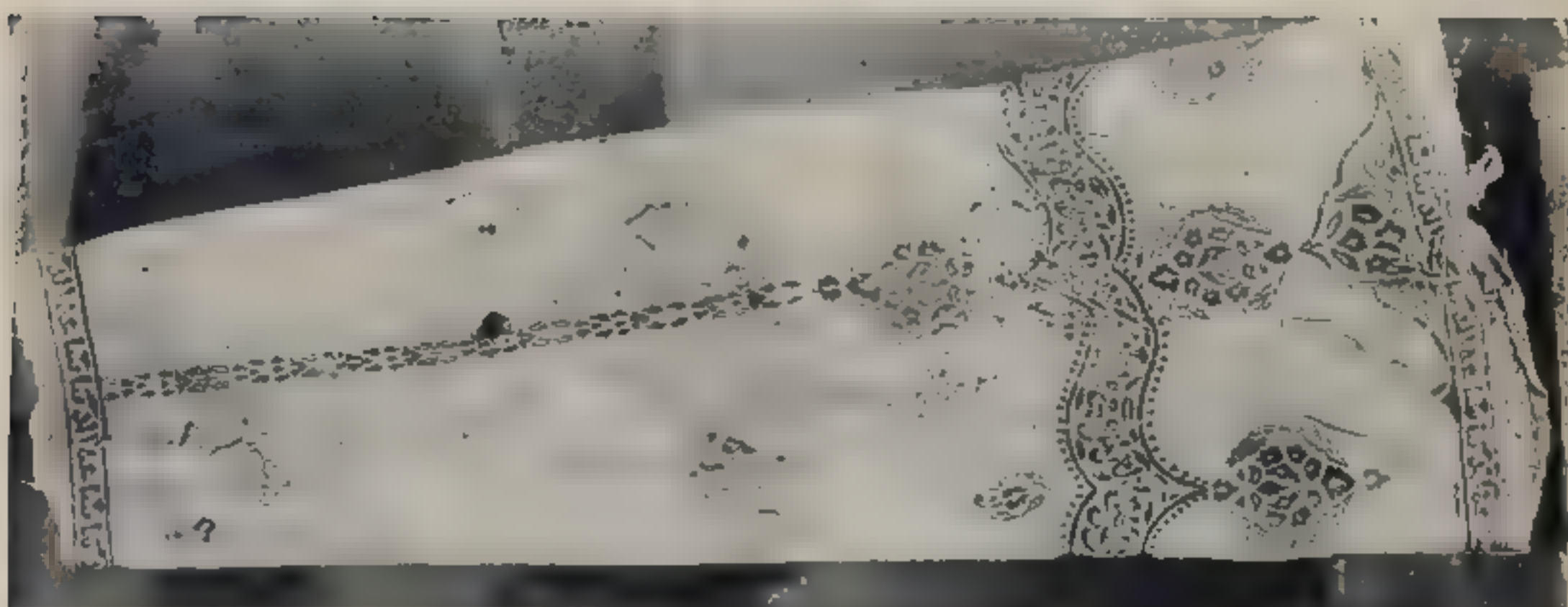
(Pl. XXX.)

(وجهة رقم ٢٠)



مصنوعات من الذهب — Or. —





قطع من سجاد ونسيج — Fragments de tapis et de tissus.





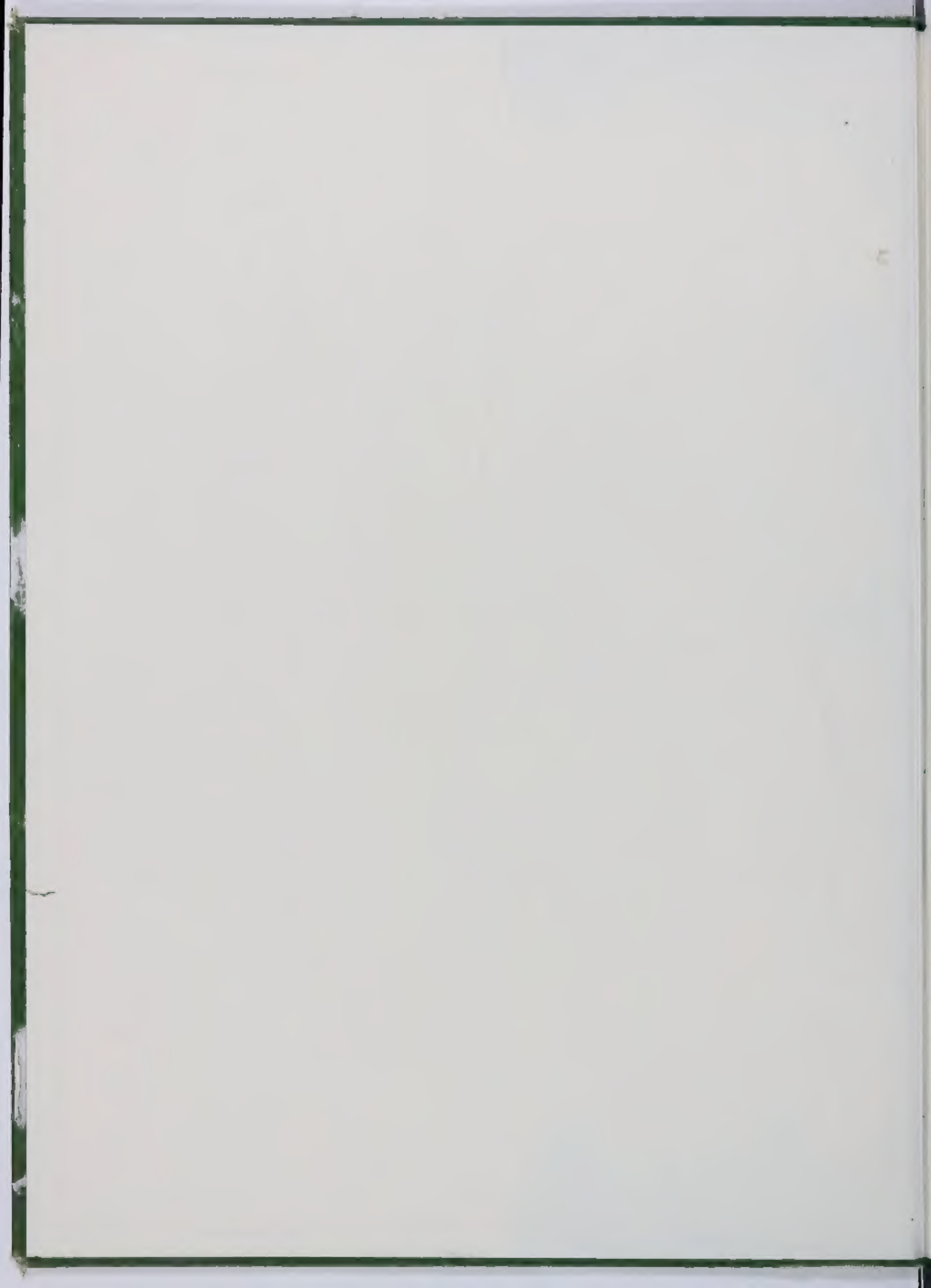
Fragments de verre émaillé. — قطع من الزجاج المموء بالمينا



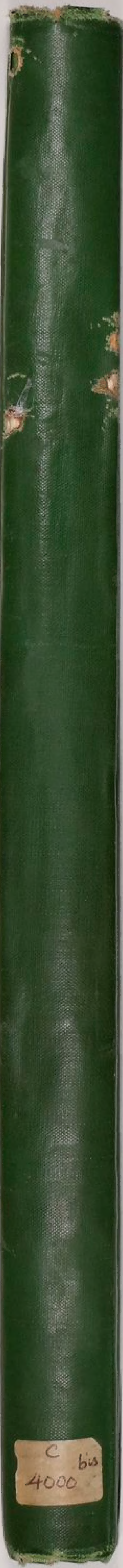












C bis
4000